

الإعجاز

في روائع الإعجاز

بحث مؤصل في علوم القرآن، وإعجازه "الغبيبي والتشريعي واللفوي والأسلوبي والعلمي"
وما جدّ فيه من البحوث والاكتشافات ، وفي علم المناسبات بين السور والآيات
على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والدراسات العلمية الحديثة



د. عبد العزيز بن سعيد بن غائب

اللّٰهِيَجَاز

فِي رَوَائِعِ اللّٰهِيَعَجَاز

بحث مؤصل في علوم القرآن، وإعجازه "الغبيبي والتشريعي واللغوي والأسلوبي والعلمي"
وما جد فيه من البحوث والاكتشافات، وفي علم المناسبات بين السور والآيات
على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والدراسات العلمية الحديثة

د. عبد العزيز بن سعيد بن غائب

ح عبد العزيز بن سعيد بن غائب ، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن غائب ، عبد العزيز بن سعيد

الإيجاز في روائع الإعجاز / عبد العزيز بن سعيد بن غائب. - ط ١ الرياض،

١٤٤٢ هـ

٤١٥ ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٧٣٦٨-٠

١ - علوم القرآن ٢ - القرآن - إعجاز أ - العنوان

١٤٤٢/٦٦٣٣

ديوي ٢٢٠

رقم الإيداع : ١٤٤٢/٦٦٣٣

ردمك : ٩٧٨- ٦٠٣- ٠٣- ٧٣٦٨- ٠

فسح وزارة الإعلام : رقم / ٥٧٢٤٢٤٢٠٢١٠٣١٥

وتاريخ / ٢ / ٨ / ١٤٤٢ هـ

الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٤٢ هـ

قال تعالى :

﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

الإسراء: ٨٨

وقال تعالى :

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبِي وَإِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾

يونس: ٥٣

فصول الكتاب

- الفصل الأول:** في تعريف القرآن وجمعه وخصائصه وحقوقه وعقيدتنا فيه.
- الفصل الثاني:** في معنى الإعجاز وضوابطه ومواقف الناس منه.
- الفصل الثالث:** في الوحي ونزول القرآن وما فيه من اللمسات الإعجازية.
- الفصل الرابع:** حقيقة القرآن ومكانته ومقارنته بالكتب السابقة وبالحديث.
- الفصل الخامس:** تحريم الاستغناء بالقرآن عن السنة وبيان أنهما وحيان متكاملان.
- الفصل السادس:** سور القرآن وآياته وتحزيبه ومُحكّمه ومتشابهه وقراءته وتفسيره وقصصه وأمثاله وأقسامه وناسخه ومنسوخه؛ وما فيها من الأوجه الإعجازية.
- الفصل السابع:** الإعجاز الغيبي والإعجاز التشريعي.
- الفصل الثامن:** الإعجاز اللغوي والبلاغي في المعاني والمباني.
- الفصل التاسع:** إعجاز الأسلوب والتأثير على القلوب.
- الفصل العاشر:** تناسب القرآن وما في تناسبه من الجمال والإعجاز.
- الفصل الحادي عشر:** رسم القرآن وما فيه من الإتقان والإعجاز.
- الفصل الثاني عشر:** الإعجاز العلمي ومناهجه وضوابطه وأمثله من الواقع.
- الفصل الثالث عشر:** الإعجاز وواقعنا المعاصر بين الإفراط والتفريط.
- الفصل الرابع عشر:** معجزة الشفاء القرآني للأرواح والأبدان والمجتمع.
- الفصل الخامس عشر:** تقارير وأخبار بعد معرفة ما في القرآن من الإعجاز والأسرار.
- ثم خاتمةٌ ورسالة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الواحد الحقّ المبين ، الذي قال وقوله الحقّ :
﴿ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ ، وصلى الله
وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمد ؛ الذي بلّغ الرسالة ؛ وأدى الأمانة ؛
ونصح الأمة ؛ وجاهد في الله حتى أتاه اليقين ، أما بعد :

فإن القرآن الكريم في مكانته وعلمه وعجائبه وإعجازه وبلاغته وتناسبه
وفضله وفضائله وبركته بحرٌ لا يُبلّغ ساحله ؛ ومعين لا يُنضب نبعه ؛ ومصباحٌ
لا يطفأ نوره ، من ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، ومن تركه من جبارٍ قصمه
الله ، وهو النور المبين ، وهو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط
المستقيم ، وحسبُ السابح في بحرِ علومه وإعجازه التذكير والإشارة ، وربُّ
إشارةٍ أغنتُ عن عبارة.

ولا شك أن البحث في علوم القرآن وإعجازه وعجائبه وبلاغته.. من أنفع
الوسائل لتقوية الإيمان ؛ وترسيخ العقيدة ؛ وإظهار الحق ؛ وسعادة الروح ؛
وطمأنينة القلب ؛ وهو أيضاً من وسائل الدعوة الإسلامية المؤثرة في هذا العصر
الذي بات أهله - في أنحاء المعمورة - يتخاطبون بلغة العلم والتقنية والبحث
والإقناع والاكتشاف والتكنولوجيا ..

وإذا كان البحث عميقاً دقيقاً مؤصلاً ؛ وخاضعاً للضوابط العلمية والقواعد
الشرعية ؛ والأسس المنهجية الصحيحة .. فإنه سيكون أكثر نجاحاً ؛ وأعظم نفعاً
وأبعد عن الزلل والخطأ والهوى وتحميل النصوص الشرعية ما لا تحتمل ، مع
السلامة من الخلاف والصراع الفكري بين المؤيدين والمعارضين ؛ إلا ما أيده
الدليل الصحيح والبرهان الصريح.

وهذا هو المنهج الذي حاولتُ انتهاجه ..

غير أنني لا أدعي سبق ولا الكمال ولا الإحاطة ؛ ولا أتجاهل الدراسات والبحوث القديمة والحديثة في هذا الباب ؛ والتي لها بَعْدَ الله تعالى الفضل ؛ ومنها استفدتُ ، والفضل للمبتدئ ولو أحسن المقتدي ، وليس المُسابق كالمُسبق ، وإنما يَنجح الناجحون إذا ابتدأوا من حيث انتهى الأولون.

وكان من دوافع هذا البحث : التفقه في القرآن وعلومه وإعجازه وأحكامه وتحقيق بعض المسائل المتعلقة بالإعجاز وأنواعه ، وبيان الضوابط الشرعية والعلمية للبحث في الإعجاز ، والرد على بعض الشبه والبدع المثارة حوله ، وإظهار عظمة القرآن وسعة إعجازه ؛ وأنه الدستور الصالح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة ؛ وأنه المخرج الوحيد للأمم والشعوب مما يحل بها من المحن في سائر مناحي الحياة ، وأنه المتبوع الذي تتبعه وتخضع له العلوم والأبحاث العصرية. وقد أتى في تمهيدٍ ، وخمسة عشر فصلاً ، ثم الخاتمة والفهارس. وأرجو من الله تعالى التوفيق والسداد والعفو والقبول.

الباحث

١٣ / ٣ / ١٤٢٨ هـ

a22b2a22@gmail.com

تمهيد

في تعريف علوم القرآن وفوائدها وتاريخها وجهود السلف فيها

العلوم جَمْعُ عِلْمٍ ، و" علوم القرآن " مُرَكَّبٌ إِضَافِي ، أَضِيفَ لِلْقُرْآنِ لِأَنَّهُ يَبْحَثُ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَلَمَّا تَوَسَّعَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ صَارَ فَنًّا مُسْتَقِلًّا ، وَصَارَ هَذَا الْاسْمُ الْمُرَكَّبُ عِلْمًا عَلَيْهِ ، وَقَدْ يُسَمَّى "أصول التفسير" ؛ لِأَنَّهُ كَالْمَقْدِمَةِ وَالْقَوَاعِدَ اللَّازِمَةَ مَعْرِفَتِهَا وَالْإِلْمَامَ بِهَا عِنْدَ تَفْسِيرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِ مَقَاصِدِهِ .

إِذَا يُعْرَفُ فَنُ " علوم القرآن " بِأَنَّهُ : (العلوم والمعارف والمسائل المتعلقة بالقرآن ؛ والخادمة له ؛ والموضحة لتعريفه وأسمائه ومكانته وخصائصه ونزوله وجمعه وسوره وآياته وتفسير معانيه وقصصه وأمثاله ، ومُحَكِّمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ ، وَنَاسِخِهِ وَنَسُوخِهِ ، وَأَسْبَابَ نَزُولِهِ ، وَقِرَاءَاتِهِ وَإِعْجَازِهِ ... وَنَحْوَ ذَلِكَ)^(١) .

أما فوائده معرفه علوم القرآن فكثيرة ، منها :

- (١) القيام بحق القرآن علينا من العلم والتعلم ؛ كما روى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) ؛ وَالثَّقَفُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْبِرْكَةِ إِذَا أَخْلَصَ وَعَمِلَ .
- (٢) القيام بالنصيحة لكتاب الله ، فإن التفقه في القرآن وعلومه وأحكامه والعمل بها والدعوة إليها .. كل ذلك من النصيحة لله ورسوله وكتابه والتي أمرنا الرسول ﷺ بها في أحاديث صحيحة كثيرة .
- (٣) تيسير تفسير القرآن وفهمه ومعرفة مقاصده ؛ فهذه العلوم أصل ومفتاح لتفسيره وفهمه .

(١) البرهان في علوم القرآن للزرکشي ص١٦ و لمحات في علوم القرآن ص٩٦ د.محمد الصباغ.

(٤) إعطاء التصور الصحيح والكامل عن مكانة وعظمة وحقيقة هذا القرآن

العظيم، لأن الحكم على الشيء فرغ عن تصوّره، وكما قيل: فاقد الشيء لا يعطيه، والجاهل بحقيقة الشيء لا يقدر له قدره.

(٥) التسليح بالمعارف والعقائد والأحكام الصحيحة والواجبة نحو القرآن،

والتي تُمكن من الدفاع عن القرآن، وصدّ الشبهات والشكوك التي يثيرها أعداء القرآن حوله.

(٦) معرفة جهود واهتمام السلف، وعظيم خدمتهم لكتاب الله تعالى.

ولقد اهتم "الصحابة" بالقرآن وعلومه، وكانوا إذا تعلّموا عشر آيات تعلّموا

معها معانيها والعمل بها، فتعلّموا القرآن والعمل جميعاً؛ كما قال عبد الله بن

مسعود - رضي الله عنه - : (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله

إلا وأنا أعلم أين أنزلت؛ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت،

ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تَبْلُغُه الإبل لركبتُ إليه)^(١).

لكنهم لم يدوّنوا من ذلك شيئاً ؛ لأمر :

منها: النهي الوارد عن النبي ﷺ قال: (لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني

غير القرآن فليمحّه وحدثوا عني ولا حرج ؛ ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ

مَقْعده من النار)^(٢). وحكمة ذلك : هي خشية التباس القرآن بغيره.

ومنها : أن الصحابة الكرام لم يحتاجوا للتدوين ، فهم ذوا السليقة الصحيحة

والحافظة القوية ؛ والقلوب السليمة ؛ ولقد اشتهر منهم كثيرون ببيان تفسير

وعلوم القرآن ، كالخلفاء الراشدين الأربعة ، وترجمان القرآن : عبد الله بن

عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي موسى الأشعري ، وعائشة ؛ رضي الله عنهم.

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٢) ومسلم في فضائل الصحابة (٦٣٣٣).

(٢) رواه مسلم (٧٥١٠) كتاب الزهد.

أما "التابعون" :

فكذلك حظي القرآن وعلومه منهم ببالغ الاهتمام والعناية ، وظهر في عصرهم مدارس لتعليم القرآن وعلومه وتفسيره ؛ ومن مشاهيرهم في ذلك : مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاووس بن كيسان ، وعكرمة البربري ، وجعفر بن محمد ، وسعيد بن جبير ، و محمد بن اسحاق ، والأعمش.. رضي الله عنهم^(١) ، وهؤلاء كلهم رؤاة ثقات أختيار، اعتمد عليهم من بعدهم في نقل المأثور عن الصحابة ، رضي الله عن الجميع.

حُكم تفاسير الصحابة والتابعين : تفسير (الصحابة) له حُكم المرفوع ؛ يجب الأخذ به فيما لم نجد له تفسيراً في القرآن والسنة ، أما تفسير (التابعين) فيُستأنس به ؛ إلا ما أجمعوا عليه فيجب الأخذ به^(٢).

أما المعتزلة والرافضة والباوية والصفوية .. فإن لهم تفاسيرٌ كلها مرفوضة مردودة غير مقبولة عند أهل السنة والجماعة ؛ لأنها تفاسيرٌ تعتمد على الهوى والعقائد الفاسدة ؛ بعيدة عن السنة والمأثور.

وجاء "**عصر التدوين ؛ ق ٢هـ**" فصارت علوم القرآن الكريم فناً مُستقلاً يدرس ما يتعلق بالقرآن والمعارف ، ومنذ بداية عصر التدوين في القرن الثاني الهجري والعلماء يهتمون بالقرآن وعلومه ، ويدرسون ويُدوّنون ما نُقل إليهم عن الصحابة والتابعين ..

فبدأ الاهتمام بتفسير القرآن كاملاً ومرتباً ، ومن أشهر التفاسير وأعظمها تفسير الإمام الطبري الذي مات (٣١٠هـ) رحمه الله^(٣).

(١) انظر التفسير والمفسرون د. محمد الذهبي ٤٥/١ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٣٦٨/١ وما بعدها.

(٣) انظر الإتقان للسيوطي ١٢٧/٢ ، ومناهل العرفان ١٧/١ وما بعدها.

ثم في القرن الرابع الهجري ألف العلماء كذلك في تفسير القرآن ، وناسخه ومنسوخه ، وأسباب النزول وغرائب القرآن وإعرابه ، وتجويده ، والمحكم والمتشابه.

وهكذا حتى ظهر في "القرن الثامن الهجري" أول مؤلف يجمع تلك العلوم في كتاب واحد وهو "البرهان في علوم القرآن" للإمام الزركشي ت (٧٩٤هـ) رحمه الله.

ثم تبعه في ذلك الإمام السيوطي ت (٩١١هـ) في كتابه الحافل: "الإتقان في علوم القرآن".

وفي عصرنا الحالي :

ظهر الاهتمام بعلوم جديدة نحو القرآن كترجمة معانيه وتفسيره إلى لغات متعددة ، وظهر إعجاز القرآن ، وخاصة العلمي منه ، وكثرت فيه المؤلفات والدراسات ، كما جَدَّت واشتهرت كتبٌ أخرى ممتعة كأضواء البيان للشنقيطي ، وصفوة التفاسير للصابوني ، وتفسير الجزائري ، وكتبٌ كثيرة ومنظومات في علوم القرآن والتجويد وعلم القراءات ..

أما إعجاز القرآن :

فقد حظي أيضاً بالكتابة والتأليف ؛ ومن العلماء من أفرده بالبحث والتصنيف من السلف والخلف ؛ وعينت به هيئات ومُنظَّمات .. خاصة في الوقت الحاضر.

ومما يحتاج إلى التنبيه :

أن الزرقاني في كتابه: (مناهل العرفان) أجاد الأسلوب وردّ كثيراً من الشبهات ، لكنه خالف عقيدة أهل السنة والجماعة في تبني مذهب الأشاعرة والمتأولة في صفات الله تعالى ، وقال بجواز التأويل في صفات الله ؛ عزّ وجلّ ،

وانتقد السلف الصالح إذ لم يؤوّلوا الصفات ، وهو في ذلك يشبه المفسّر
الزّمخشري في "الكشاف" والغزالي في "الإحياء" .. مما يجب التنبيه عليه والحذر منه .
وقد تعقبه الشيخ الدكتور: "توفيق علوان" ؛ تعقب الزرقاني في مزالقه
بكتابٍ مهم سمّاه: (نقض عقائد الأشاعرة في كتاب مناهل العرفان)، وقد
أحقّ الحقّ وأبطل الباطل بالدليل والحجة على ضوء العقيدة الصحيحة عقيدة
السلف الصالح ، فجزاه الله خيرا.

الفصل الأول

في تعريف القرآن الكريم

وجمعه وتدوينه

وخصائصه وحقوقه وعقيدتنا فيه

تعريف القرآن الكريم

القرآن الكريم: هو كلام الله - تعالى - المُنزَّل وَحياً على رسوله محمد ﷺ؛ باللسان العربي المعجز لفظاً ومعنى، والمتعبد بتلاوته والمنقول بالتواتر^(١).

فالقرآن من كلام الله تعالى: تكلم الله به حقيقةً بلفظه ومعناه، وتكلم بغيره، ولا يزال الله تعالى متكلماً بما شاء، متى شاء.

المُنزَّل وَحياً: أي بالوحي من الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام، فلم ينزل من القرآن شيء برؤيا منامية، ولا بدون واسطة، ولكنه وحياً، وقد انقطع الوحي

بوفاة النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ الشعراء ١٩٤، والخطاب لنبينا محمد ﷺ.

باللسان العربي: أي بالعربية لغة العرب لفظاً ومعنى، فهو معجزٌ بألفاظه ومعانيه، ولذلك كانت تلاوته عبادةً تُؤجر عليها، متعبدون بها.

المنقول بالتواتر: أي تناقلته الأجيال جيلاً عن جيل، وجماعة عن جماعة عن النبي ﷺ محفوظاً تاماً لا ريب فيه، ولا انقطاع في سنده^(٢).

والفرق بين "القرآن" و"كلام الله": أن القرآن هو كلام الله المعدود والمحدود الذي أوله الفاتحة وآخره سورة الناس؛ والمنزل على محمد ﷺ.

وكلام الله: فهو جنس كلام الله تعالى؛ وصفته الذاتية الثابتة له - سبحانه -

ولا نصفَ ولا رُبعَ ولا نهايةً لكلامه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان ٢٧.

(١) وفي اللغة: "قرآن": اسم جامد؛ عَلم على القرآن، مُشتقٌ من "قرن" لاقتران سورته ببعضها أو مُشتقٌ من: قرأ؛ أي تلى؛ لأنه يُتلى؛ والنون زائدة.

(٢) الإتيان في علوم القرآن، للإمام السيوطي ٨٨/١.

وفَرَّقَ اللهُ تعالى بين (الوحي) و(كلامه لنبِيِّه موسى) - عليه السلام - فقال

تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤.

أما قوله تعالى: ﴿... فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ﴾ التوبة: ٦؛ فهو عمومٌ أُريد به الخصوص؛ أي يسمع "القرآن".

وعندما نقول: القرآن كلام الله؛ فالمعنى: من كلام الله، فكلُّ قرآن هو كلام الله؛ وليس كلُّ كلام الله هو قرآن^(١).

* * *

وللقرآن الكريم (أسماءٌ كثيرة)؛ وكثرة الأسماء للشيء الواحد تدلُّ على عَظَمَتِهِ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ، فالقرآن دَلَّتْ أَسْمَاؤُهُ الْكَثِيرَةُ عَلَى عُلُوِّهِ وَعَظِيمِ مَكَانَتِهِ، كما هو الشأن في أسماء الله لعَظَمَتِهِ تعالى؛ وأسماء القيامة: دَلَّتْ كَثْرَتُهَا عَلَى هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

فمن أسماء القرآن: الكتاب - الذِّكْر - التنزيل - الفرقان - الرحمة - النور - الهدى - الشفاء - الحق - الوحي - البُشْرَى - العِلْم - كلام الله - الروح - القصص - البيِّنة - الصِّدْق^(٢).

أما: المتشابه، والمثاني، والمبين، والمبارك، والمجيد، والحكيم، والكريم، والعظيم، والعزیز..؛ فإنها من صفات القرآن العظيمة.

ولا شك أن هذه الأسماء كلها توقيفية، وأنها على كثرتها أسماءٌ لمسمًى واحد؛ هو القرآن؛ تدل عليه كلها، ولا فرق بينها إلا في المعاني، وفي هذا ردُّ على مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ لِيَدَّعِي خَلْقَ الْقُرْآنِ^(٣).

(١) التذكار - للقرطبي ص ٢٣؛ وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ١٢/٣٧ - ٣٩.

(٢) انظر كتاب: (الهدى والبيان في أسماء القرآن) للبلهبي، وعلوم القرآن للقطان ص ٢١ - ٢٣.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/١٢٥.

جَمْعُ الْقُرْآنِ وَمَرَاهِلُ تَدْوِينِهِ

جَمْعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَصْحَفٍ وَاحِدٍ ؛ كَانَ عَلَى مَرَاهِلِ ثَلَاثٍ :

المرحلة الأولى : فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَذَلِكَ بِحِفْظِهِ فِي الصُّدُورِ ، كَمَا كُتِبَ كُلَّهُ لَكِنِّهِ لَمْ يُجْمَعْ بَيْنَ دِفْئَيْنِ ، بَلْ كَانَ مَتَفَرِّقًا .

المرحلة الثانية : فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ جُمِعَ مَكْتُوبًا فِي مَصْحَفٍ وَاحِدٍ مَجْمُوعًا ، وَكَانَ مُشْتَمَلًا عَلَى الْقِرَاءَاتِ وَالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ ، وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ ، وَلَكِنْ لَمْ يُكْتَبَ فِي هَذِهِ الْمَرِحَلَةِ إِلَّا مَصْحَفٌ وَاحِدٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَقَدْ حُفِظَ هَذَا الْمَصْحَفُ عِنْدَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ) فِي حُجْرَتِهَا بَعْدَ جَمْعِهِ ؛ وَمِنْهُ نُسِخَ الْقُرْآنُ كَامِلًا وَتَنَاقَلَهُ النَّاسُ ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ حَفْصَةُ بِمَجْرَسَةِ الْمَصْحَفِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَارِضَاهَا .

المرحلة الثالثة : فِي عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَيْثُ رَأَى اخْتِلَافَ الْقُرْآنِ ، فَأَمَرَ بِتَشْكِيلِ لَجْنَةٍ تَخْطُ مَصْحَفًا وَاحِدًا لِلْأُمَّةِ حَتَّى لَا تَخْتَلِفَ وَيَتَضَمَّنَ الْأَحْرَفَ الَّتِي أُثْبِتَتْ فِي الْعَرِضَةِ الْأَخِيرَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَسْخِهِ خَمْسَ نُسخٍ وَأَرْسَلَ لِكُلِّ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ نُسخَةً ... كَالشَّامِ ، وَالْيَمَنِ ، وَالْكُوفَةِ ، وَمَكَّةَ ، وَأَبْقَى نِسخَةً فِي الْمَدِينَةِ .

وَأَرْسَلَ مَعَ كُلِّ مَصْحَفٍ قَارِئًا يَفْعَلُ بِالْقِرَاءِ بِهِ ، وَأَجْمَعَ الصَّحَابَةَ وَالْأُمَّةَ كُلَّهَا عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ وَتَلَقَّوهُ بِالْقَبُولِ ^(١) .

(١) مباحث في علوم القرآن للقطان ص ١٢٧ ، وانظر : تأملات قرآنية للدكتور إبراهيم ص ٤٦ .

القرآن الكريم في عقيدة أهل السنة والجماعة

إن من عقيدة - أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم :

- ١- أن القرآن كلام الله تعالى صدقٌ وحقٌ وعدلٌ.
 - ٢- أن القرآن غيرُ مخلوق ، ومَن قال بخلق القرآن فقد كفر؛ لأن القرآن من كلام الله تعالى ، (والكلام) صفةٌ من صفات الله الفعلية الثابتة له سبحانه.
 - ٣- أنه نزل على محمد ﷺ ، وهو آخر الكتب المنزلة وأفضلها.
 - ٤- أنه مُهيمنٌ على الكتب السماوية السابقة ، فقد هيمنَ عليها ونسخها، واحتوى على كل ما فيها من العلم والحكمة والهداية.
 - ٥- يجب حُبّه وتلاوته وتدبره والعمل به ، وتحكيمه والحكم به في جميع الشؤون.
 - ٦- أن مَنْ كَذَّب به أو بشيءٍ من أخباره أو اعتقد أنّ غيره أحسن منه.. فقد ضلّ.
 - ٧- لا تجوز روايته بالمعنى ، ولا تجوز ترجمته بلفظه ، ولكن يجوز ترجمة معانيه وتفسيره فقط إلى اللغات الأخرى.
 - ٨- أن القرآن هو الحق ، وكل ما نزل على محمد ﷺ من الوحي والتشريع والقرآن هو الحق الناسخ لما قبله، ومَن ابتغى الهدى في غيره من الكتب والشرائع السابقة فقد ضلّ ؛ وهو في الآخرة من الخاسرين.
- وقد روي : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أتى رسولَ الله بورقة من التوراة ؛ فغضب ﷺ وقال : (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا يُخبروكم بحقٍ فتكذبوا به ؛ أو بباطل فتصدّقوا به ، والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسّعه إلا اتباعي) ، فرماها عمر ، ثم إنه - رضي الله عنه - لما فتح الإسكندرية وجد فيها كتباً كثيرة من كتب الروم والنصارى ، فأمر بإحراقها كلها وقال : "حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ الْقُرْآنُ" ^(١).

(١) رواه أحمد (١٥١٩٥) وحسنه الألباني، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٢/١٢٢، وجواب

أهل العلم والإيمان ص ٥٦ لابن تيمية، والتبيان للنووي ص ٧٥.

٩- وفي آخر الزمان يُرْفَعُ الْقُرْآنُ مِنَ الْأَرْضِ ؛ ويعود إلى الله تعالى كما بدأ منه ،
ولا يَبْقَى في الأرض منه آية واحدة ، لقول النبي ﷺ: (يُسْرَى على كتاب الله ليلاً
فِيُصْبِحُ النَّاسُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي جَوْفِ مُسْلِمٍ مِنْهُ آيَةٌ) (١) .

ويكون ذلك في آخر أيام الدنيا ، إذا ظَهَرَ شِرَارُ الْخَلْقِ وَهَجَرُوا الْقُرْآنَ
وَتَرَكَوا الْعَمَلَ بِهِ ، كما صَحَّتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمَرْوِيَّةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فحينها
يَرْفَعُ اللَّهُ تَعَالَى كَلَامَهُ غَيْرَةً عَلَيْهِ ، وإِكْرَاماً لَهُ مِنْ غُرْبَةِ آخِرِ الزَّمَانِ ..

لأن القرآن: يصير غريباً في جوف عَبْدٍ يَحْفَظُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَقُومُ بِهِ اللَّيْلَ ،
ويصير غريباً في بيوتٍ لَا يُتْلَى فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً ، وفي أَقْوَامٍ تُعْرِضُ عَنْهُ ؛ وقد
استبدلته بالجاهلية والأهواء ؛ لذا قال ﷺ: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا
بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) (٢) (٣) .

(١) رواه البخاري في "خَلْقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ" برقم (٣٦٧) ؛ وابن ماجه (٤٠٤٩) في كتاب الفتن وابن
حبان في صحيحه (١٩١٠) ؛ والحاكم في مستدرکه ٥٠٦/٤ و صححه ؛ وواقفه الذهبي وانظر
السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٨٧) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣٧٢) في كتاب الإيمان ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) هذه المسألة من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ، وأحاديثها في الصحيحين وغيرهما ، انظر
العقيدة الطحاوية وشرحها لأبي العز ص ١١٨ تحقيق الزواوي ، وانظر كتاب (اختصاص القرآن
بعوده إلى الرحمن) للإمام محمد الضياء - رحمه الله - .

خصائص القرآن الكريم وصفاته

تفرد القرآنُ بصفاتٍ عظيمةٍ ؛ منها :

- ١ - أنه آخر الكتب المنزلة وأفضلها على الإطلاق.
 - ٢ - أنه (قرآن مجيد)، أي عظيم الشأن ، له حُرمةٌ ومكانةٌ عظيمةٌ عند الله تعالى.
 - ٣ - أنه نُقِلَ إلينا بسنَدٍ تامٍّ متواترٍ عبر الأجيال ، لا انقطاع ولا شك فيه.
 - ٤ - أن تلاوته عبادةٌ عظيمةٌ نُوجِرُ عليها .
 - ٥ - أن الله هو الذي تكفل بحفظه إلى يوم القيامة ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ**
- نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ الحجر: ٩ .
- ٦ - أنه توقيفيٌّ في ترتيب سُورِهِ وآياته وفي أسمائه وأسماء سُورِهِ وآياته كذلك ؛ فلا يجوز تغيير شئٍ من ذلك ولا الاجتهاد فيه.
 - ٧ - أن له قراءاتٍ متعددةٍ (وهي عشرٌ متواترةٌ صحيحة).
 - ٨ - أنه يجب عند تلاوته الطهارة الكاملة من الحدّثين.
 - ٩ - أنه يجب عند تلاوته الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.
 - ١٠ - أنه يجب تدبّره وتحسين الصوت به ، مع العمل به.
 - ١١ - أنه مُعجِزٌ بِلُغَتِهِ وعلومه ومعانيه وأخباره وأحكامه وتشريعه.
 - ١٢ - أنه لا يُكتب إلا (بالرسم العثماني).
 - ١٣ - أنه سهلٌ مُيسرٌ في تلاوته وحفظه وتفهمه وتدبّره والعمل به ، للعرب والعجم ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ** ﴾ القمر: ١٧
 - ١٤ - أنه شفاءٌ من كل داء ؛ قال تعالى : ﴿ **وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ**
- لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾ الإسراء: ٨٢
- ١٥ - أنه مبينٌ ، ومجيدٌ ، وعزيزٌ لا يُغالب ، ولا يعارضه أحدٌ.
 - ١٦ - أنه كريمٌ مباركٌ ؛ لكثرة خيراته وبركاته ومنافعه وعلمه ونوره.

١٧ - أنه حكيم ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُولَىٰ الْأَكْتَابِ لَذِينَ عَلِمُوا ﴾

حَكِيمٌ الزخرف: ٤ ؛ أي مُحَكَّمٌ سالم من التناقض ومن الباطل ، لاحتوائه على بدائع الحِكم واتصافه بالحِكمة ، ووضع الأوامر والنواهي والأشياء في أماكنها ، وربط الأمور بعلمها.

١٨ - أنه لا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، وكما روي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنه قال : « لو طَهَّرْتُ قلوبنا ما شَبَعَتْ مِن كَلامِ ربنا وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَمُرَّ عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَنْظُرُ إِلَى المِصْحَفِ »^(١) . وكما قيل :

يزيدُ على مرِّ الجديدين جِدَّةً وألفاظُهُ مهما تَلَوْتَ عِذابُ
فيه الدواء من كُلِّ داءٍ فثِقُ به وفيه علومٌ جَمَّةٌ وثوابُ
وفيه هُدىٌ للعالمين ورحمةٌ فوالله ما عَنَّهُ ينوبُ كتابُ

١٩ - **ومن صفات القرآن** : أنه فُرقان ، يفرِّق بين الحق والباطل ، وأنه قولٌ ثقيلٌ .
كما وصفه الله تعالى - لمكانته وعظمته وروعته ، ولثقل وعظمة ما احتواه من التكاليف والفرائض والحدود والأحكام.

٢٠ - وأنه متشابهٌ مثاني - كما وصفه الله أيضاً - فهو متشابه : أي يُشبهه بعضه بعضاً في البلاغة والفصاحة والتناسب والإعجاز والحلاوة والهداية .
ومثاني : أي يُثني ويكرِّر القصص والأخبار والأحكام للإيضاح .

٢١ - **ومن أعظم صفاته وخصائصه** : أنه (عامٌ) لكافة الثقليين ، جِنِّ وإنس ، عَرَبٍ وعَجَم ، وعامٌ وصالح لكل زمان ومكان وعصر ومصر ، ولا يختص بطائفة ولا بقوم ؛ كما هو الحال في الكتب السابقة الخاصة .

اللهُ أكبرُ إن دينَ مُحَمَّدٍ وكتابهُ أهْدَى وأقومُ قِيلاً
لا تَدْكُرُوا الكُتُبَ السِوَالفَ عنده طَلَعَ الصبَاحُ فأطفأ القِنديلاً

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٨٢ ، وذكره أحمد في كتاب الزهد .

حقوق القرآن الكريم

- للقرآن الكريم حقوقٌ عظيمةٌ واجبةٌ له علينا ، ومنها :
- ١ - الإيمان به وبما فيه ، والتصديق به تصديقاً جازماً لا ريب فيه .
 - ٢ - محبته ومحبة ما فيه من التشريع والأحكام .
 - ٣ - تعلّمه وتعلّمه والتفقه فيه وفي تفسيره وتجوّده ، وتعليمه للناس .
 - ٤ - الإكثار من تلاوته وتدبره وتعلّقه ، والخشوع والتفكير عند قراءته .
 - ٥ - استماعه والإنصات له إذا قرئ ؛ في الصلاة أو خارجها ، قال تعالى :
﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأعراف ٢٠٤ .
 - ٦ - تحسين الصوت به عند تلاوته ، كما قال النبي ﷺ (حَسِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا) ^(١) .
 - ٧ - تعظيمه والتأدب معه ، واحترامه واحترام أهله وإجلالهم .
 - ٨ - العمل به والاعتصام به وبالسنة النبوية ، وعدم العدول عنهما .
 - ٩ - المداومة على هذه الحقوق كلها ؛ والحذر من هجران القرآن ، فلا نهجر تلاوته ، ولا نهجر تدبره ، ولا نهجر العمل به ، ولا نهجر الحكم به ^(٢) .

(١) رواه ابن ماجة (١٣٤٢)، والدارمي في سننه (٣٤٩٩)؛ والحاكم في المستدرک (٢١٢٥)، وصححه الألباني

في صحيح الجامع (٣١٤٠) وفي صحيح المشكاة (٢١٤٩).

(٢) هذه الحقوق وجوبها ومشروعيتها وأدلتها من القرآن والسنة واضحة لمن تتبعها وتأملها.

القرآن والناس

القرآن والناس : كالمطر والأرض وأشجارها..

والمطر ماءً طيبٌ طهورٌ يسقي الأشجار ، حلّوها ومُرّها ، فأما حلّوها فيزداد حلاوة ، وأما مُرّها فيزداد مرارة.

وحَمَلَة القرآن كذلك ؛ العامل به يزداد هدى وشفاءً ، والمعرض يزداد ضلالة

وعسى ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يَنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٤ .

وقال النبي ﷺ: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً : فكانت منها طائفةً طيبةً ؛ قَلَّتْ الماءُ وأنبَت الكَلأُ والعُشب الكثيرُ، وكان منها أجادب ؛ أمسكت الماء ففنع الله بها الناس فشرَبوا منها وسَقوا وزَرَعوا، وأصاب طائفةً أخرى منها ؛ إنما هي قيعان ؛ لا تُمسك ماءً ولا تُنبِتُ كلاً ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ؛ ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)^(١) .

وقال ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل [الأترجة] ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل [التمرة] لا يريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل [الريحانة] ريحها طيب وطعمها مُرٌّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل [الحنظلة] ليس لها ريح وطعمها مُرٌّ)^(٢) .

(١) رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٥٩٠٦).

(٢) رواه البخاري (٥٤٢٧)، ومسلم (١٨٦٠)، (والأترجة) شجرة طيبة وثمرها طيب يُشبه

البرتقال ؛ له فوائد صحيّة ، (والحنظلة) شجرة ضارّة مرّة.

الفصل الثاني

الإعجاز القرآني

معناه وحقيقته وضوابطه وأنواعه

ومواقف الناس منه

تعريف الإعجاز القرآني

أصل معنى الإعجاز : إثبات العجز والقصور عن فعل الشيء ؛ وضده : القدرة ، يقال : عَجَزَ عن الأمر إذا قَصُرَ وِضْعُفَ عنه ^(١) .

فالإعجاز القرآني إذا : (هو قوّة القرآن الكريم وسموّه في بلاغته وتشريعه وعلمه وأخباره الغيبية ؛ بدرجة تُعجز الثقلين عن الإتيان بمثله ، وتُثبت عجزهم عن مُعارضته) ^(٢) . قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ يونس ٣٨ ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء ٨٨ .

ومن التعريف والآيات السابقة يتضح : أن القرآن مُعجزٌ لا من وجّه ؛ بل من وجوهٍ عدّة ، وأن هذا الإعجاز مُوجّهٌ لكافة الجن والإنس ، ومُستمرٌّ إلى يوم القيامة..

وأن هذا الإعجاز يَحْصُلُ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ فِي الْقُرْآنِ ، وقليله وكثيره في الإعجاز سواء ، فالحرف والكلمة منه كالأية والسورة ؛ لا فَرْق.

(١) مختار الصحاح ص ٣٩٤ ، وانظر الإتقان للسيوطي ٢/٢٢٨ ، ومصطلح "الإعجاز" اعتبره

العلماء صحيحا وسائغا لأن له مرادفات جاءت في القرآن ؛ كالبينة والآية والبرهان والسلطان فلا مانع من وصف القرآن به ، (انظر رسالة الإعجاز للدكتور المصلح).

(٢) والإعجاز العلمي : هو إخبار القرآن أو السنّة بحقيقة علمية أثبتتها العلم الحديث لم تتمكن

القدرات البشرية من اكتشافها في السابق ، وسيأتي الكلام عنه.

ثم إن القرآن الكريم بذاته "معجزة"؛ وهو معجزة نبينا محمد ﷺ، مثلما أن الناقة آيةٌ لصالح عليه السلام، والعصا آيةٌ لموسى عليه السلام، غير أن القرآن معجزةٌ دائمة على مرّ الأيام والأجيال^(١).

قال أحمد شوقي في مدح النبي ﷺ ومعجزاته^(٢):

جاءَ النبيونَ بالآياتِ فانصَرَمَتْ
آياتُهُ كُلُّمَا طَالَ المَدَى جُدُدُ
فاقَ البَدورَ وفاقَ آيَ مَنْ سَبَقُوا
وحيثنا بحكيمٍ غيرِ مُنصرَمِ
يزينُهُنَّ جلالُ العِتقِ والقِدَمِ
حديثُهُ الشَّهْدُ عندَ الذائقِ الفَهِمِ



وقال د أحمد هاشم:

قُلْ للبلاغَةِ أنصتِي لبيانِ
ما الفِكرُ؟ ما الفُصحى؟ وما أربابها
ما الخَلْقُ كُلُّ الخَلْقِ من إنسٍ ومن
لن يستطيعوا أن يَصُوغوا كُلَّهُمْ
ألا إن كِتابَ اللهِ مُقدَّسٌ
لا قولَ بَعْدَ بلاغَةِ القرآنِ
عَبَر الدُّنا؛ وعلى مَدَى الأزمانِ
جنٌّ؛ إذا اجتمَعوا في أنِ
أيا كآيِ الذِكرِ والتبيانِ
يَحمي حِمَاهُ خالِقُ الأكوانِ

(١) الإتقان للسيوطي ١/٨٧، وإعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٩ وما بعدها تحقيق السيد صقر.

(٢) ديوان أحمد شوقي ١/١٩٧، مع التحفظ على وصف القرآن بـ"القَدَم" ولو اقتضاه الوزن.

حقيقة الإعجاز القرآني

حقيقة الإعجاز القرآني هي أن القرآن مُعجزٌ بذاته حقيقةً ، إعجازاً حقيقياً ثابتاً مؤكداً ملموساً وملازماً له ؛ وصفةٌ من صفاته وخصائصه الفاعلة الدائمة.

ليس خيالاً ولا تجوّزاً ، بل حقيقةٌ ثابتة.

وهذا هو الاعتقاد الصحيح ؛ اعتقاد السلف الصالح في حقيقة إعجاز القرآن الكريم.

وبذلك يتضح بطلان قول المعتزلة الضالين ومن على شاكلتهم ؛ كالنظام^(١) وغيره .. القائلين كذباً وزوراً: "إن إعجاز القرآن في صَرف العرب عن مُعارضته ، وأن الله صَرف العرب والمشرّكين عن الإتيان بمثله ؛ فإعجازه مُجرّد "صِرفة" ..!"

هذا قولهم الباطل ، وهو افتراءٌ على الله وكتابه ، وبهتانٌ مردود ، والحقّ ما دُكر سابقاً ؛ أن إعجاز القرآن حقيقةٌ لا صِرفةٌ^(٢) .

(١) النظام هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام، من المعتزلة مات سنة ٢٢٣ هـ ، وأول من تصدى له وعارضه تلميذه الجاحظ (انظر الفرق بين الفرق ص ١١٣).

(٢) البداية والنهاية ٦/٦٩ ، وانظر الإتقان للسيوطي ٢/٢٣١ ، والبرهان للزركشي ٢/٩٣.

والمعجزة : هي ما يُجْرِيه الله تعالى لرسله فقط من خوارق العادات على وجه التحدي بلا معارضة ^(١).

ولا تكون المعجزة إلا للرسل ، فكل نبيٍّ أيده الله بمعجزة فيما برع فيه قومه.

ولماذا لا تكون إلا فيما برع فيه قومه؟

ذلك ليتمكنوا من تصوّرها تصوراً صحيحاً ليحكموا عليها حكماً صحيحاً ويعرفوها فيتأثروا بها ، لأن الحكم على الشيء فرغ عن تصوّره ، كالعرب : انبهروا من فصاحة القرآن وعرفوا صدقه وجلالته ؛ لأنهم أهل فصاحة ؛ ولأنه كان على ما تدركه عقولهم وطباعهم ..

ومثال ذلك : كمن يُلقِي قصيدة فصيحة رائعة على أعاجم لا يجيدون العربية ؛ إنهم لن يعطوها حقها ولن يفهموها ؛ لأنهم لا يدركونها ، وذلك غير من يلقِيها على عربٍ فصحاء يُقدِّرونها ويتأثرون بها ، ولا يَعْرِف الفضل لأهله إلا الفضلاء ! ، كذلك الأنبياء والأقوام والمعجزات.

(١) وهناك "الإرهاص" وهو ما يكرم الله به النبي قبل النبوة ، كتسليم الحجر على الرسول ﷺ قبل النبوة ؛ والذي ثبت في صحيح البخاري.

وهناك "الكرامة" يجعلها الله تعالى لبعض الصالحين المتقين ؛ ككرامة عمر - رضي الله عنه - لما كتب للنيل أن يجري بأمر الله ، وكشرب خالد بن الوليد السم ليُظهر التوكل على الله ، وكاطلاع عمر على جيش المسلمين بنهاوند وقُرْبهم من جبلٍ فيه كمين للكفار ؛ فأسمع الله القائد نداء عمر من المدينة وهو يخطب : يا سارية الجبل ..

أما "السحر" فخيالٌ وهم لا يحصل إلا بالشرك مع الجن والكفر بالله تعالى ..

والفرق بينها : أن (المعجزة) (والكرامة) (والإرهاص) حقائق ، أما (السحر) : فإنه وإن خرق العادة إلا أنه ليس بحقيقة بل أوهام وأكاذيب ، وأما المعجزة فيُظهرها النبي متى شاء. (انظر طبقات الشافعية ٢/٣٢٦ ، والنبوّات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣١ وما بعدها).

وفي ذلك أدبٌ كبيرٌ للدعاة أن لا يُخاطبوا الناس إلا بما يفهمون ..

"فموسى" عليه السلام ؛ جعل الله تعالى معجزته في العصا التي تحاكي سحر قومه ؛ لأنهم اشتهروا بالسحر.

و"عيسى" عليه السلام ؛ جعل الله معجزته بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ؛ لأن قومه برعوا في الطب.

فهاتان معجزتان حسيتان وانتهتا بوقتتهما.

أما "محمد" ﷺ فكان القرآن معجزته ؛ ببلاغته وبيانه وفصاحته وعلومه ؛ لأن العرب آنذاك لم يشتهروا بغير الفصاحة والبيان ^(١).

والفرق بين معجزة القرآن وغيره ؛ أن القرآن : أنه معجزة باقية إلى قيام القيامة ، وأنه عامٌ لكافة الثقلين لكل زمان ومكان ، وبلا اختصاص ^(٢).

وللإعجاز وسائر المعجزات فوائد ؛ منها : إقامة الحجة على المدعوين ، وإظهار الدليل على صدق الرسول ﷺ ؛ وما جاء به من الكتاب وصحة الرسالة ، ولتسقط شبه المبطلين ، ويسكت المعاندون ، ولتتحقق فائدة الرسالة ومقصودها وهو اجتماع الناس على دين الله وتوحيده ، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ النمل: ٩٣ .

(١) انظر البرهان للزرکشي ٩٠/٢ ، وانظر بصائر ذوي التمييز ٥٦/١ للفيروزآبادي.

(٢) كتاب النبوات ص ٣٢ وما بعدها ، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

مواقف المشركين من القرآن وإعجازه

لقد أدرك المشركون والكفار من العرب وأهل الكتاب بلاغة القرآن وإعجازه ؛ ورأوا الحقيقة بأُمّ عقولهم ؛ لكنهم انقسموا أمامها قسمين :

﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ النحل: ٣٦.

وإذا كان الكلّ قد سلّموا للأمر فلا غرابة من إذعان المدعين وخضوع الخاضعين واهتداء المهتدين .. ، إنما السرّ هو سبب ضلالة الضالين رغم وضوح الحقّ كالشمس .. ؛ إن السبب هو (الكبر والعناد والجحود) وهو السبب الذي من أجله عصَى وفسق إبليس ، وبه عصتْ وفسقتْ الأقوام السابقة كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط ..

قال الله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِي وَاسْتَكْبَرَ ﴾ البقرة: ٣٤.

وقال تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ القصص: ٤.

وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ فصلت: ١٥.

وعن المشركين قال تعالى ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ

بِبَلَاغِهِ ﴾ غافر: ٥٦ ، ثم قال تعالى عن الجميع : ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ

فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مِمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ فصلت: ٢٨.

إن الحقائق لا تنطمس بجحود الجاحدين ، والشمس لا تُحجب بكف

أحمق ، قال المتنبي :

وهبني قلتُ هذا الصبح ليلٌ أيعمى العالمون عن الضياء؟

نماذج

من الذين أسلموا متأثرين ببلاغة القرآن وإعجازه

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه :-

من سادة قريش وأعداها للرسول والقرآن في بادئ أمره ، فسمع القرآن من أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد ، لَمَّا قرؤوا عليه فواتح سورة "طه" ؛ فما كان من عمر إلا أن خضع وأذعن وانبهر أمام الإعجاز والبيان ؛ ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ مُعَلِّناً إسلامه وتوحيده لله رب العالمين.!

الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه :-

من سادة قريش وأشرفهم وأشعرهم وأفصحهم وأحكمهم ، ولما جاء مكة حذّروه من سماع الرسول خشية أن يتأثر بالكلام الذي جاء به... فأدخل الكرسف - القطن - في أذنيه ليُرَضِيَ قَوْمَهُ ، ثم ذهب إلى المسجد ، فسمع ما يتلوه الرسول لكي يَنْقُدَهُ وَيَقْوِمَهُ وَيَحْكُمَ عَلَيْهِ .. ، فلما سمع القرآن تأثر به وبفصاحته وجذبه عظيم أسلوبه ، ودخل الإيمان قلبه ، وأنسلَّ إلى الرسول ﷺ مسلماً مدعئاً.

لبيد بن ربيعة - رضي الله عنه :-

من أشرف قريش وأشعرها ، وصاحب إحدى المعلقات السبع ، وفدَّ على الرسول ﷺ ؛ فلما سمع القرآن أسلم وذاب شِعْرُهُ أمام فصاحة القرآن ، وأفحمه القرآن عن قول الشعر وسماعه ونظمه ، فلم يَقُلْ بَعْدَ إسلامه إلا بيتاً واحداً ؛ قال فيه :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى لبستُ من الإسلام سيربالاً

حسان بن ثابت رضي الله عنه :

من فحول الشعر في الجاهلية ، تأثر بالقرآن وإعجازه اللغوي فأسلم ؛ ثم أذهله القرآن عن المعاني الشعرية التي كان يجيدها ، فهبَّط شِعْرَهُ في الإسلام عن ذي قبل متراجعاً أمام عظمة وإعجاز القرآن ..

إلا أن الرسول ﷺ كان يشجعه بعد أن أسلم على قول الشعر والردّ به على الكفار والمشركين والدفاع به عن الرسول والدين والقرآن ، وله - رضي الله عنه - ديوان جميل وكل ذلك فيه .

هؤلاء مجرد أمثلة لكثيرين جداً من أمثالهم^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ، وانظر الأعلام للزركلي ، والإتقان للسيوطي ٢/٢٢٨ .

نماذج

من الذين طغى عليهم الكبر والعناد رغم تأثرهم بالقرآن

وهؤلاء هم الكثير من المشركين ، حتى إنهم أعلنوا أن ما بهم غير الكبر والمعاندة ، واستعانوا باليهود والنصارى في معارضة القرآن ، ولكن هيهات فقد

كشف الله تعالى نفسياتهم وطواياهم ؛ فقال سبحانه : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام: ٣٣ ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ

هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف: ٣١ .

أي رجل عظيم وجية من إحدى البلدتين ، وذكر المفسرون أن هؤلاء المشركين أرادوا بعظيم مكة : الوليد بن المغيرة ، وبعظيم الطائف : مسعود ابن عمرو الثقفي ، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك ؛ وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ؛ فلا يجعلها إلا في الأزكى قلباً ونفساً^(١) .

ثم ظهر من هؤلاء من يدعي النبوة ويقول قرآناً من عنده ، كمسيمة الكذاب ؛ الذي له معارضات مضحكة ساذجة كأقواله في الضفدع ، والثريد ، والفيل ، والكوثر .. وما لا داعي لذكره .

وكالوليد - المذكور آنفاً - عظيم الطائف الذي قالوا له : قُلْ قولاً في القرآن وإلا تتهمك قريش .. فقال : والله إني أعلمكم بالسحر والكهانة وليس القرآن كذلك بل هو أعلى ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليس بقول بشر..! ولكن دعوني أفكر . ففكر وقدّر ثم وصّف القرآن بالسحر من غير قناعة

، فأنزل الله تعالى فيه هذا التهديد الرهيب : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾

﴿٢٠﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٢٦/٧ عند هذه الآية ؛ تحقيق د. السيد محمد.

يُنزِرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِحِهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا يُبْقِي وَلَا يَنْزُرُ

﴿٢٨﴾ الْوَاحَةَ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ المدثر: ١٨ - ٣٠

فبئس المصير مصيره ، إن مصيره سقر ؛ هو وكُلُّ مَنْ عَمِلَ أَعْمَالَهُ أَوْ
حاول محاولاته أو قدّر تقديراته على مرّ الزمان ؛ ثم مات من غير توبة.

ولقد استمرّت محاولات المعارضة والقُدح إلى القرن الرابع الهجري
(ق٤هـ) ثم ذابت وأدبرت بعد أن عجزت ويئست.

ثم نبت لهم نبتة سوء في القرن ١٣ الهجري على يد مذهب
(البهائية) ؛ الذين زعموا نزول كتاب ينسخ القرآن ، كتبوه من عندهم اختلاقاً..
ولكن سرعان ما أخفوه ومزّقوه خوفاً من العار والفضيحة بفشله ^(١).

واليوم:

يقف العالم بحضارته وفنونه وتقنياته وقوانينه حائراً صاغراً مذهولاً أمام
عظمة القرآن.. ويقف الطغاة والفساق عاجزين ذليلين أمام شموخ القرآن..
ولم يعد أحد في أي زمان أو مكان من أهل عصرنا هذا وإلى الأبد يتجرأ
على ما تجرأ عليه الأقدمون منهم من معارضة القرآن ، وكل من حاول ذلك
طيشاً وسفهاً فإنه سرعان ما ينجر ساقطاً مهزوماً.

الضوابط العامة للبحث في الإعجاز القرآني

للبحث والكتابة في علم الإعجاز القرآني - بأنواعه - ضوابط واحترافات لازمة لعدم الوقوع في مزالق عقدية أو علمية أو شرعية ؛ منها :

١ - أنه لا يجوز تثبيت القرآن بالعلم ، ولا الاستدلال له من العلم ؛ ولكن العكس.

٢ - لا يجوز التعسف والتكلف في دلالة القرآن ، ولا يجوز تأويله تأويلاً يوافق النظريات أو الأهواء أو الآراء.

٣ - لا يجزم الناظر والباحث بأن رأيه هو الحق وما عداه خطأ ؛ ففوق كل ذي علم عليم.

٤ - اعتقاد أن حقائق القرآن وعلومه قطعية وثابتة ؛ لا تقبل الخطأ ولا النقص ، وأنه لا يوجد تعارض بين (الآيات القرآنية) و(الحقائق الثابتة).

٥ - الصبر والإخلاص وتحري الصدق والصواب ؛ والبعد عن الهوى ، وعدم تحميل النصوص ما لا تحمل.

٦ - العلم بأن مهمّة القرآن هي (هداية الخلق ودلائهم على الله وتوحيده) ، وليس مجرد الاستكشاف والاستدلال^(١).

(١) وسيأتي مزيد توضيح وتفصيل وتمثيل لهذه الضوابط والشروط في "الفصل الحادي عشر".

أنواع الإعجاز القرآني

يتبين لكل ناظرٍ مُنصفٍ طالبٍ للحق أن القرآن مُعجزٌ ؛ قليله وكثيره ، ومن كل الوجوه لا من أحدها ، ولذلك فإنه مُخطئٌ مَنْ قال : إن إعجاز القرآن هو فقط في أسلوبه وبلاغته.

صحيح أنه لم يُعجز قريشاً غير لغة القرآن وبلاغته ؛ لكن هل ذلك يعني أنه ليس فيه إلا هذا الوجه ؟

الجواب لا. بل أوجهٌ إعجازه أكثر من ذلك ، و"الإعجاز العلمي" اليوم أوضحُ دليل على ذلك ، ومثله "الإعجاز التشريعي القرآني" الذي أعجز طواغيت البشر المشرعين للقوانين للوضعية القاصرة.

والوهم الذي تسبب في خطأ مَنْ حَصَرَ إعجاز القرآن في لغته هو عدم التفريق بين أنواع إعجاز القرآن.

والفرق بينها : هو أن الإعجاز (اللغوي) موجود في كل آية وكلمة من القرآن كله ، لأن لغته واحدة.

أما الإعجاز (العلمي) فهو في الآيات المتحدثة عن الكون والمخلوقات ، إضافةً لما فيها من الإعجاز اللغوي.

وأما الإعجاز (التشريعي) فهو في الآيات المتحدثة عن التشريع والأحكام ، وقد عدَّ بعض العلماء آيات الأحكام قرابة ألف آية.

فمثلاً : الآية التي حديثها عن الكون فيها ثلاثة إعجازات :

إعجازٌ لغوي بلاغي ، وإعجازٌ علمي بذكر الحقيقة العلمية ، وإعجازٌ غيبي بسبقها لذكر ما كشفوه حديثاً ..

أما أنواع ووجوه الإعجاز القرآني :

فقد عدّ العلماء والباحثون للقرآن وجوهاً كثيرة من الإعجاز ؛ منها :

- ١ - الإعجاز الغيبي.
- ٢ - الإعجاز التشريعي الفقهي.
- ٣ - الإعجاز اللغوي البلاغي البياني.
- ٤ - إعجاز الأسلوب والتأثير على القلوب.
- ٥ - الإعجاز في التناسب بين السور والآيات.
- ٦ - الإعجاز في الرسم القرآني.
- ٧ - الإعجاز العلمي.

وستتضح هذه الأنواع في الأبواب والفصول التالية^(١) :

(١) أما ما يُسمى (الإعجاز العددي) فعليه ملاحظات ، وليس هو من أنواع الإعجاز القرآني ، وقد بالغ فيه بعض الجاهلين وزعموا التوصل به إلى غيبيات وحسابات كلها خرافات ، وقد أشرت لذلك وناقشتُ ضلالاته هنا في الفصل "الثالث عشر" ص ٣٥٠.

الفصل الثالث

في الوحي ونزول القرآن
وما فيه من اللّمسات الإعجازيّة

الروح الأمين ومحكم التنزيل

الروح الأمين: هو جبريل - عليه السلام - وهو المَلَكُ الموكل بنزول الوحي .
والكلام عن الوحي ونزول القرآن وجمعه مترابط مترتب على بعضه ؛ لأن
الوحي هو وسيلة نزول القرآن ، وتم بعد ذلك جمعه ، وفي هذه الأمور الثلاثة
(الوحي ونزول القرآن وجمعه) ، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكُنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ**

الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ الشعراء: ١٩٤

فالنبي ﷺ تلقى القرآن عن طريق الوحي - جبريل - عن رب العالمين .

ومن البراهين الدامغة للقادحين والمشككين في ذلك :

(١) أن نزول القرآن لم يكن باختيار ولا علم النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا**

كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا

لِّلْكَافِرِينَ ﴿١١٤﴾ القصص: ٨٦ ، وقال سبحانه: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا**

كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴿١١٥﴾ الشورى: ٥٢ .

(٢) العتاب الذي كان النبي ﷺ يتلقاه في القرآن ؛ ومنه: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ**

لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ﴿١١٦﴾ التوبة: ٤ ، ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۗ**

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٧﴾ طه: ١١٤ ، ﴿ **لِمَ تَحْرِمُهُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴿١١٨﴾** التحريم: ١ ، ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ**

﴿١١٩﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿١٢٠﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿١٢١﴾ عبس: ٣

(٣) أن القرآن كان ينزل على الرسول ﷺ بحالات شديدة وغير مألوفة ،

بأصوات وصلصلة ، ويُغَمَى عليه أحياناً ؛ ويتفصد عرقه من رؤية الملك ، وقد
يتصور له الملك في هيئة آدمي ، وهذه أخف ، وكل ذلك ثابت في الصحيحين .

(٤) أن القرآن مُعْجِزٌ في لغته ، وَعِلْمِهِ ، وَتَشْرِيْعِهِ ، وَأَخْبَارِهِ الْغَيْبِيَّةِ ،
وغير ذلك مما لا يطوله تفكير ؛ ولا يصله ذكاء ؛ ولا يَقْدِرُ عليه اختراعٌ أبداً .

إن هذه الدلائل : لا تُساق إلا لكافرٍ مُعَانِدٍ أومكابرٍ جاحد ، أما (المؤمن)
فإنه لا يحتاج إلى مثل ذلك ؛ لأن من أصول عقيدته وصميم توحيده ودينه أن
القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ وأنه وحيٌ من الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ ، وأن
محمدًا ﷺ لم يَقُلْهُ مِن عِنْدِهِ ولم يتعلمه من بشرٍ .

ولقد قال كفار قريش - زوراً وبهتاناً - إن محمدًا يتلقى القرآن من رجل
أعجمي حداد بمكة !! ، فكذبهم الله وردّ فريتهم بقوله - سبحانه - : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ
رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٠٣) وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي
يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿ النحل ١٠٣ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(إن توحيد الله والإيمان به ؛ وتصديق كتابه أمر مستقر في فطرة كل إنسان ،
فإذا تَغَيَّرت الفِطْرَةُ عند كثيرٍ من الناس احتاجوا إلى الأدلة .. فكانت الآيات
والدلالات في حقيقتها تذكيراً للإنسان بأمرٍ موجود في فطرته أصلاً ، لكنه جَحَدَهُ
لسببٍ من الأسباب) (١) .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧/٦ بتصرف .

تعريف الوحي

الوحي لغة : السرعة والخفاء ؛ ويطلق على خبر السماء ، وعلى الإشارة ، وعلى الإلهام الفطري .. وكل ذلك في القرآن ^(١) .

والوحي شرعاً : (هو حقيقة غيبية خارقة ؛ بها بلغ الله - تعالى - شرائعه لأنبيائه ورسله بواسطة جبريل عليه السلام ؛ انقطعت بوفاة نبينا محمد ﷺ) ^(٢) .

أما عن كيفية تلقي جبريل - عليه السلام - للقرآن : فالصحيح أن جبريل عليه السلام لم يأخذ القرآن من اللوح المحفوظ ، بل سمعه من الله تعالى ثم بلغه ، كما في حديث النواس - رضي الله عنه ..

والقرآن من عند الله - تعالى - لفظاً ومعنى ؛ ومن قال خلاف ذلك فهو مخطئ بجانب للصواب.

(١) مختار الصحاح للرازي ص ٦٦٣ ، وانظر مقاييس اللغة لابن فارس مادة وح ي.

(٢) الإتقان للسيوطي ١/ ٨٨ ، وانظر لمحات في علوم القرآن ص ٢٣ للصباغ.

أنواع الوحي وبأيها كان القرآن

الوحي نوعان :

الأول : وحيٌ بدون واسطة ، كرؤيا الأنبياء ، ومثل الكلام من وراء حجاب .
ويدل على هذا النوع صدق رؤيا النبي ﷺ الذي ورد في صحيح البخاري ،
كذلك رؤيا إبراهيم - عليه السلام - بذبح ابنه .

وأما الحجاب ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ
حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ الشورى : ٥١ .

الثاني من أنواع الوحي : وحيٌ بواسطة ملك - وهو جبريل عليه السلام -
ينزل على النبي ﷺ بهيئته ، وقد يتصور بصورة رجل ، كتصور جبريل - عليه
السلام - بالصحابي (دحية الكلبي) رضي الله عنه .

وبأي النوعين كان نزول القرآن ووحيه؟

لاشك أن الوحي بالقرآن كان من النوع الثاني ، وهو الوحي بواسطة جبريل
عليه السلام ، ولم ينزل من القرآن شيء في النوم ولا بدون واسطة^(١) ، كما قال
تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ سورة الشعراء .

كذلك (القراءات القرآنية) هي مما جاء به الوحي ؛ ومما تلقاه الرسول ﷺ عن
جبريل - عليه السلام - تمشيماً مع لهجات العرب ؛ لكي يفهم القرآن .

(١) مباحث علوم القرآن . للقطان ص ٣٨ ، وانظر تأملات منهجية ص ٢٢ د. موسى الإبراهيم

وهل انقطع الوحي؟

نعم؛ الوحي قد انقطع وانتهى بوفاة نبينا محمد ﷺ؛ لأنه آخر الرسل، وكتابه آخر الكتب والوحي، وبه اكتمل الدين والوحي، فلا وحي بعده بواسطة أبداً، ومن ادعى النبوة أو الوحي بعده فهو كاذب كافر.

أما (الرؤيا الصالحة) فليست خاصة بالرسول ﷺ فهي باقية للمؤمنين، وليست وحيًا ولا من الوحي في شيء.

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: (لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات) قالوا وما المبشرات؟ قال: (الرؤيا الصالحة) (١).

وقال ﷺ: (رؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءاً من النبوة) (٢).

ولا يعني ذلك أن رؤيا المؤمن نبوة؛ ولكن المقصود أنها تشبه النبوة في صدقها من المؤمن الصادق؛ وفي الاطلاع - بأمر الله - على بعض الأمور المجهولة مما يُرى في المنام.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٩٩٠) كتاب التعبير.

(٢) رواه مسلم (١٥١٩) كتاب الرؤيا.

كيف كان نزول القرآن الكريم وأشكال النزول

نزول القرآن : أي إتيانه من الله - تعالى - إلى عباده في الأرض على رسوله محمد ﷺ ؛ بواسطة جبريل عليه السلام.

ولم يذكر نزول القرآن إلا هو مُقَيَّد بأنه من عند الله ، قال تعالى : ﴿ تَنْزِيلٌ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ الزمر ١ ، وقال : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فصلت ٢ ، وفيه ردٌّ على مُدَّعي خَلْق القرآن ، أو أنه من عند الرسول ، وغيرها مِنَ الأباطيل. والصحيح الثابت - بالأدلة - عند أهل العلم - سَلْفًا وخَلْفًا - أن للقرآن نزولين :
(النزول الأول) :

نزوله دفعة واحدة من عند الله تعالى إلى السماء الدنيا في بيت العزة ، وكان ذلك في ليلة القدر من رمضان ، سمعه جبريل من الله تعالى ، ونزل به دفعة واحدة تعظيمًا له ولمحمد ﷺ ولأمته ، ورفعاً لشأنه ، وهذا النزول هو المراد في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ القدر ١ ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ ﴾ آل عمران ٤ ، فهاتان الآيتان تفيدان بنزول القرآن كاملاً كَلِّهُ جُمْلَةً واحدة إلى السماء الدنيا أوَّلًا .

(النزول الثاني) :

هو النزول المُفَرَّق المنجم من السماء الدنيا إلى محمد ﷺ ، ينزل به أمين الوحي جبريل - عليه السلام - شيئًا فشيئًا خلال فترة النبوة حسب الأحداث حتى اكتمل نزوله إلى الأرض ، قال - تعالى - في هذا النزول المُفَرَّق : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ

لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾ الإسراء ١٠٦

فهذا هو الصحيح والراجح الموافق للآيات والمقارب بينها، وبهذا يزول الإشكال الذي قد يبدو للبعض من التعارض بين نزول القرآن دفعة واحدة وبين الواقع في حياة النبي ﷺ، فالأول هو نزوله دفعة واحدة إلى السماء الدنيا، أما واقع النزول على الرسول ﷺ فكان بالتفريق شيئاً فشيئاً..^(١)

وما هو الفرق بين قوله: (نزل) و (أنزل) ؟

الجواب : أن كلا اللفظين قد ورد في القرآن الكريم في آية واحدة ؛ هي قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ سورة آل عمران ٣ ، وكلا اللفظين معناهما ودلالتهما واحدة ؛ وهي تنزيل القرآن .
 إلا أن من العلماء والمفسرين من فرق بينهما ؛ فقالوا :
 (أنزل) أي دفعة واحدة .
 و (نزل) أي مفرقاً ، شيئاً بعد شيء ، وللتكثير والتدرج ؛ أي تدرج نزول القرآن عليك يا محمد .
 وكلا المعنيين وارد ، ذكر ذلك الزمخشري في خطبة الكشاف ، والجرجاني في التعريفات^(٢) .

(١) المصدر السابق ؛ وانظر : الاتقان للسيوطي ١/١٠٧ .

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٣٧ .

يوم وشهر أول نزول القرآن

جمهور العلماء على أن "يوم" أول نزوله هو يوم (الاثنين) للحديث الذي رواه مسلم عن أبي قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ سئل عن صوم الاثنين فقال: (فيه وُلدتُ ؛ وفيه أنزل عليّ) (١).

وأما "شهر" نزوله جملة وأول نزوله مفرقاً فشهر رمضان ؛ لصريح قوله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ البقرة: ١٨٥

مقدار النازل من القرآن على النبي ﷺ

سبق بيان أن القرآن الكريم نزل على نبينا محمد ﷺ مفرقاً مُنْجِماً شيئاً فشيئاً حسب الأحداث والأحوال على مدى ثلاث وعشرين سنة في مكة والمدينة ؛ وهذا هو المُشَاهِد في حياته ﷺ بحضور الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

أما مقدار النازل :

فكان بالآية ، والآيتين ، والثلاث ، والخمس ، والعشر ، والعشرين ، والجزء من الآية والأقل والأكثر ؛ والسورة كاملة والسورتين ، وقد نزلت (الفاتحة) دفعة واحدة ، وكذا المدثر ، ونزلت (المعوذتان) مرة واحدة.

وهذا هو قول جمهور العلماء ؛ لتظافر أدلته من الصحيحين ومن كتب أسباب النزول (٢).

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠) كتاب الصيام.

(٢) وانظر: نزول القرآن الكريم ص ١٥ - ٤١ د. محمد الشايع.

الحكمة من نزول القرآن على النبي ﷺ مُنْجِماً مُفْرَقاً

لنزول القرآن - على النبي ﷺ - مُفْرَقاً - عدة حِكْمٍ وفوائد عظيمة ؛ منها :

١- تثبيت فؤاد النبي ﷺ ، أي تقوية قلبه لتحمل أعباء الرسالة والدعوة ، خاصة عند ورود المعضلات والفتن في وقتها ، كالمطر المتكرر يكثر نفعه ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ

فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ الفرقان: ٣٢

٢ - التحدي والإعجاز ، فكُلِّمًا سألوا أعجزوا بقرآنٍ نازل ؛ كالإجابة عن تساؤلاتهم في الروح ، والأهله ، وذوي القرنين ..

٣ - التدرج في التشريع ومسيرة الأحداث ، فكان ينزل أولاً ما يقوي الإيمان ، ثم ينزل بعده ما يهيء النفوس ؛ ثم ينزل أخيراً التشريع والحكم .. ، مثل التدرج في تحريم الخمر.

٤ - تيسير فهمه وحفظه وتطبيقه ، فإن للنفس طاقة ، وهي على المخول أقدر منها على الدفعة واحدة ، وكما قيل :

اليوم شيءٌ وغداً مثله من نُخِبِ العِلْمَ التي تُلْتَقَطُ
يُحْصَلُ المرءُ بها حِكْمَةٌ وإنما السبيلُ اجتماعُ النُقْطِ

٥ - الدلالة على أنه من عند الله تعالى ، فالآيتان منه مثلاً بينهما في النزول ثلاثٌ وعشرون سنةً ؛ ومع ذلك فهما مستويتان في الإعجاز والبلاغة والنظم ..

كيف نستفيد من تنجيم القرآن في التربية والتعليم والدعوة

لقد كان القرآن - في نزوله منجماً ومفريقياً - أسوةً عُليا في التربية والتعليم، ومراعاة عقول ومستوى المخاطبين، وتنمية قدراتهم العقلية والنفسية والجسمية. وعليه فإن خطط التعليم لن تنجح إلا إذا كانت كذلك؛ منهجاً ومدارساً..

(فالمنهج الدراسي): يعتبر فاشلاً إلا أن يراعى فيه المستوى الذهني للطلاب في كل مرحلة، وتبنى فيه الجزئيات على الكليات، وينتقل من الإجمال إلى التفصيل.

(والكتاب المقرر): يكون فاشلاً إلا أن تنتظم موضوعاته وفصوله، ويتدرج من السهل إلى الصعب، ويمتاز بأسلوب الجذب.

(والمعلم): لا بد أن يتزن مع طلابه، فلا يُحمّلهم ما لا يطيقون، ولا يُفاجئهم بما لا يُدركون، ولا يُثقل عليهم بالمادة العلمية، ولا يُقسو ولا يستعجل، ولا يوحش المتعلمين منه؛ ولن يكون كذلك إلا إذا اتخذ القرآن مثلاً ونموذجاً له.

كذلك (الداعية): الذي يسدي للناس نصحه ودروسه، ينبغي ألا يشق عليهم بطول الدروس ولا يحدثهم بما لا يعرفون أو بما يثير الجدل بينهم، وبعض المحاضرين والخطباء يجعل الخطبة أو الدرس ميداناً للمعلومات فيطرق في المرة الواحدة أبواباً كثيرة؛ ويأتي بما هب ودب من الأحكام والنصائح حتى يُنسي آخرها أولها!، وذلك يخالف المنهج الوسط؛ منهج القرآن والسنة؛ والحكمة والموعظة الحسنة^(١).

(١) وانظر علوم القرآن للقطان ١٣٧.

أول ما نزل وآخر ما نزل

وفوائد معرفة ذلك

(أما أول ما نزل): فقليل العلق، وقيل المدثر، وقيل الفاتحة، لكن المترجح

عند جمهور العلماء أن أول ما نزل هو صدر سورة العلق: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ

يَعْلَمُ ٥﴾ ، يؤيده ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - في حديثٍ

طويل؛ وفيه: (أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة... إلى أن

قالت: ثم حُبب إليه الخلاء في غار حراء، فجاءه الملك في غار حراء؛ فقال

له: "اقرأ"؛ قال ما أنا بقارئ؛ فكرر عليه قال: "اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان

من علق.." متفق عليه^(١).

ويجاب عن حديث جابر - الذي في الصحيحين - أن (المدثر) هي أول ما نزل:

بأن مقصوده أول سورة نزلت كاملة، وأن ذلك كان باجتهاد من جابر - رضي الله

عنه - ، فلا يقاوم حديث عائشة، ثم إن من التوجيه الجامع أنها نزلت (اقرأ)

فذهب الرسول إلى خديجة خائفاً قائلاً: دثروني. فنزلت المدثر.

(أما آخر ما نزل):

ففيه أكثر من عشرة أقوال؛ أكثرها معتمد على أحاديث في الصحيحين وليس

بينها جمع ولا تعارض، لكن العلماء وجهوا هذه الأقوال والأدلة الصحيحة بأن

كل راوي يذكر آخر ما سمع هو، وأن غالبها اجتهاد وغلبة ظن، إضافة إلى أن

أدلتها موقوفة ولم يُرفع منها شيء للنبي ﷺ.

(١) رواه البخاري برقم (٣) باب بدء الوحي؛ ومسلم (٣٥٨) في بدء الوحي أيضاً.

غير أن آية "المائدة" نزلت في عرفة في حجة الوداع قبل وفاة الرسول ﷺ بوقت

يسير ، وهي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣

ومعرفة (تاريخ النازل وأوله وآخره) فوائد ودروس مهمة :

منها: معرفة الناسخ والمنسوخ ، حتى إذا اختلفت الأحكام فإننا نأخذ بالمتأخر نزولاً ؛ لأنه ناسخ لما قبله.

ومنها: إدراك أسرار الأحكام ، وحكمة التشريع.

ومنها: ظهور عناية الأمة بالقرآن والتشريع^(١).

أما تكرار النزول :

فهو مسألة كثر خلاف العلماء فيها بين النفي والإثبات ؛ وعند بعضهم أنها قد تتعدد أسباب النزول والنازل واحد ؛ أي قد تنزل آية لمناسبة ؛ ثم تنزل الآية نفسها مرةً أخرى لحدثٍ مشابه ، وهذا هو الراجح الذي عليه الجمهور ؛ وهو التأويل المعقول لتكرار النزول^(٢).

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٢٨.

(٢) انظر الإتيان للسيوطي ١/٧٢.

الفصل الرابع

حقيقة القرآن الكريم ومكانته

ومُقارنته

بالكتب السابقة والحديث الشريف

المبحث الأول

القرآن الكريم كلام الله ليس مخلوقاً وكفر من يخالف ذلك

إن الحقّ والعدل والقول الفصل : أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق ، تكلم الله به حقيقةً ، وليس ككلام البشر ؛ فكلام البشر مخلوق ، وكلام الله ليس مخلوقاً ؛ القرآن أو التوراة أو الإنجيل وغيرها من كلام الله تعالى ، وكلامه كله غير مخلوق ، والقرآن الكريم من الله تعالى بدأ وإليه يعود في آخر الزمان.

وهذا هو الاعتقاد الصحيح الذي جاء في القرآن والسنة ، وعليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن اعتقد خلافه فقد كفر ، وصارت هذه المسألة أصلاً عظيماً من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ونصّوا عليها في كتبهم^(١).

وقالوا:

١ - إن القرآن كلام الله تعالى ؛ من علم الله ، وعلم الله غير مخلوق ، وقد جعل القرآن علماً في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ البقرة: ١٤٥ ، والعلم من صفاته تعالى.

٢ - وفي قوله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ التوبة: ٦ ، جعل القرآن كلام الله ؛ فهو من كلامه سبحانه ، والكلام صفة لازمة فعلية لله تعالى ؛ غير مخلوقة ومن أنكرها فقد كفر.

(١) كالطحاوية للطحاوي ، والواسطية لابن تيمية ، والشريعة للأجري ، وغيرها..

٣ - وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤ ، بيّن أن القرآن غير مخلوق ، وذلك أنه عطف الأمر على الخلق بـ"الواو" ، والواو حرف عطف يفيد التغاير ، فالخلق غير الأمر ، ولما كان القرآن فيه أوامر ونواهٍ ؛ فالأمر غير مخلوق ؛ والأمر هنا : هو الشرع والتشريع وما جاء في القرآن من التكليف^(١) .

٤ - وفي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ؛ جعل القرآن علم ، والإنسان مخلوق ؛ فميز المخلوق عن غير المخلوق^(٢) .

(١) راجع تفسير السعدي ص ٢٥٤ عند هذه الآية من سورة الأعراف.

(٢) انظر رسالة الإمام احمد للخليفة المتوكل ص ٦٠ .

اللفظ والمَلْفُوظ والتلاوة والمَتَلُو

ثم ذكر أهل العلم أن الفرق واضح بين اللفظ والملفوظ والتلاوة والمتلو، وأنه لا حُجّة للمبتدعة في ذلك، وأن القارئ إذا قرأ القرآن فهو يتلو كلام الله - تعالى - بصوته؛ "فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ" ^(١) والقرآن كلام الله والصوت خلق الله؛ وفي الحديث عنه النبي ﷺ قال: (زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ) ^(٢) وصوت العبد وكلامه مخلوق.

ثم إن (الصوت) المنطوق به القرآن، و(المداد) المكتوب به القرآن، وكذلك (الصحف) المسطور عليها القرآن... كلها في الحكم سواء؛ وهو أنها غير القرآن وأنها كلها مخلوقة حادثه، بخلاف القرآن ^(٣).

وقد كره بعض العلماء هذا التفصيل؛ لأن فيه ذريعة للمبتدعة؛ والأفضل سد الذرائع، لكن الحقيقة أنه لا ذريعة فيه؛ ولا محذور من القول به؛ لأن الحق أبلج والباطل لجلج؛ ولأن الله جعل القراءة شيئاً والقرآن شيئاً آخر؛ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤

(١) فتاوى ابن تيمية رحمه الله ١٢/٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) رواه أبو داود (١٤٦٨) في الوتر عن البراء - رضي الله عنه..

(٣) وهذا تفصيل حسن يزيل الإشكال؛ ذكره شيخ الإسلام في فتاواه ٥٥٩/٢ وذكره الإمام الحربي؛ في رسالته بأن القرآن غير مخلوق ص ٣٢.

حُكْمُ الْمَحْكِيِّ فِي الْقُرْآنِ وَأَنَّهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ لَيْسَ مَخْلُوقًا

حَكَى اللَّهُ - تعالى - لنا في القرآن أخباراً وكلاماً عن مخلوقين تكلموا بها ؛ أنبياء وغير أنبياء .. وذلك مثل قوله - تعالى - عن موسى - عليه السلام - : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ غافر: ٢٧ ، وعن فرعون : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُنْتَوِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ يونس: ٧٩ ، وعن إبليس : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ إبراهيم: ٢٢ ، وغير ذلك مما ذكره الله تعالى في القرآن حكاية عن قائله .

فالحق في ذلك : أن المحكي أيضاً أنه من كلام الله ؛ غير مخلوق ؛ تكلم به سبحانه إخباراً عن قائله ، وكلامهم مخلوق وهم مخلوقون ، لكن الله أخبر بذلك عنهم وفق ما قد كتب عنهم في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض .

ولا يفهم من ذلك أن كلام الله حادثٌ جديد ؛ بل الكلام صفةٌ فعليةٌ أزليّةٌ ثابتةٌ لله تعالى ؛ يتكلم بما شاء متى شاء ، محكيٌ وغيره .

ومن كلام الله تعالى : كلامه لموسى ، وكلامه لآدم ولإبليس ..
ومن كلام الله تعالى القرآن الكريم ؛ الذي أنزله على محمد ﷺ ؛ تكلم به حقيقة ، فيه أوامر ونواهٍ وحكايات عن مخلوقين ؛ والكل كلام الله ، أما المخلوقون وما حكوه فهم مخلوقون وهو مخلوق ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ

خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصافات: ٩٦

والله تعالى يتكلم ، والمخلوقون يتكلمون ، لكن ليس ككلام خلقه ، بل إنه يتكلم بكيفية لا يعلمها إلا هو ، مختصة به لا يشابهه فيها إنس ولا جن ولا ملائكة ولا أي مخلوق ..

وإذا كنا نحن نتكلم بآلاتٍ وأطرافٍ كاللسان والأسنان والحلق ، فالله تعالى مُنَزَّهٌ ومُقَدَّسٌ عن ذلك ؛ وصفاته لا تشبه الصفات ؛ كما أن ذاته - سبحانه وتعالى - لا تشبه الذوات ؛ قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١.

كما أنه لا يجوز أن يقال أو يُعتَقَد بأن القرآن مربوب ؛ ومن قال إن الله رب القرآن فقد قال قولاً يؤدي به للكفر.

بدعة القول بخلق القرآن وصمود الإمام (أحمد بن حنبل) ضدها

سار المسلمون على الحق في هذه المسألة في القرون الأولى المفضلة ؛ حتى ظهر زنادقة من المعتزلة في القرن الثالث الهجري ؛ وهم (الجهمية) أتباع : الجهم بن صفوان ، ونشروا بدعة القول بخلق القرآن ففتن بهم الجهلة ، وأغروا الأمراء حتى أوقدوا نار البدعة.

لكن من حسن حظ الأمة الإسلامية أن كان ذلك في عصر الإمام الجبل الصامد (أحمد بن حنبل) رحمه الله ؛ وفيما يلي تفصيل محنته :

أحمد بن حنبل العالم الفقيه المحدث ، إمام أهل السنة والجماعة ، الذي عاش عصرًا زاهرًا بالعلم والسلطان وعاصر ثمانية من الخلفاء العباسيين ، من المهدي إلى الواثق والمتوكل ؛ حتى مات سنة (٢٤١هـ) بعد علم وجهاد ودعوة وامتحان. وفي عصره ناقض الإسلام والسنة تيار معتزلي فاسق ؛ بقيادة : الجهم بن صفوان ، والجعد ابن درهم ، وواصل بن عطاء ، وأحمد بن أبي دؤاد ، وذلك في خلافة المأمون فالمعتصم فالواثق ؛ وحملوهم على هذه البدعة التي عصفت بالأمة الإسلامية عشرين عامًا ؛ وحُبس وضُرب وقتل فيها خلق كثير ، ثم سَقَطَتْ خائبة صريعة على يد علماء السنة والحق ؛ بقيادة الإمام أحمد بن حنبل. وكان الخليفة العباسي (المأمون) قد جمع العلماء ليمتحنهم ، فضَعُف البعض أمام هذه الفتنة وتلّم الدين ، وزُعِجَت الأمة الإسلامية.

أما الإمامان (أحمد بن حنبل) و(محمد بن نوح) فأصراً وثبتا على الحق ، وجيء بهما مغلولين ، ومات ابن نوح والخليفة المأمون ، وأودع الإمام أحمد السجن ثلاثون شهرًا.

ثم تولى (**المعتصم**) فتبع ابن أبي دؤاد في ضلاله وبدعته ، وكانوا يُحضرُونَ الإمام أحمد يسألونه عن هذه البدعة فيقول : "أعطوني شيئاً من القرآن والسنة فأقول به" ؛ فلا يردون عليه إلا بالضرب المبرح.

ثم تولى (**الواثق**) فكان من أهل البدعة ؛ وقتل علماء خالفوه ، وقيل إنه رجع عن بدعته قبل موته ، وفي عهده مكث الإمام أحمد مُعتقلاً في بيته مدة طويلة وهو مريض .

وبعد الواثق تولى الخليفة (**المتوكل على الله**) الذي وفقه الله فنصر السنة وحارب البدعة وقرب العلماء ، وأنهى بدعة القول بخلق القرآن ؛ وقمع دعواتها ، وفرح المسلمون بزوال المحنة ، ونصر الله السنة بأحمد بن حنبل ؛ العالم الرباني الذي عرّف الحق وثبت عليه واستمات في إظهاره ..

وهاهي الدنيا زالت عنه وعن خصومه ، وما بقي إلا العمل كُلُّ ينتظر الجزاء عليه ^(١) .

نسأل الله أن يُرينا الحقّ حقاً ويُرزقنا اتباعه ، وأن يُرينا الباطل باطلاً ويُرزقنا اجتنابه والسلامة منه .

(١) توفي الإمام أحمد عام ٢٤١هـ ؛ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/١٣٧ ، وكتاب "أحمد بن حنبل" للدومي ص ١٢٩ وما بعدها ، أما (المتوكل على الله) : فهو الخليفة العباسي : جعفر بن المعتصم ، ولي الخليفة بعد الواثق ، ولُقّب بالمتوكل على الله ، كان مُحبّاً للسنة ، مُقرباً للعلماء ، توفي مقتولاً على يد ولده المنتصر ؛ عام ٢٤٧هـ .

كُفْرُ الْمُتَوَقِّفَةِ فِي بَدْعَةِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ

والتوقّف : هو الحيرة وعدم الركون إلى رأيٍ في القرآن أهو مخلوق أم لا ؟
و"الواقفة" طائفة ضالة تائهة توقّفوا في القرآن ، وقالوا : لا نقول هو مخلوق أو غير مخلوق.

وبهذا فإنهم لم يُحرّروا عقيدتهم ولم يُصَفِّوها مِنَ الشَّكِّ في أن القرآن من كلام الله وعِلْمه ؛ وأنه غير مخلوق كسائر صفاته تعالى ، وعليه فلا زالوا كفاراً حتى يقطعوا الشك باليقين المذكور ^(١).

رَدُّ شُبْهَةِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ

من حجج المبتدعة والجهمية : أنهم يقولون إن القرآن داخل في عموم قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ الزمر ٦٢ ، فلَفظ "شيء" لَفظٌ عُموم.

ونقول : إن كلامهم باطل مردود ، لأنه مبنيٌ على جهلٍ بمراد الله تعالى وبأسرار كتابه ، وباللغة ومدلولاتها ؛ فكلمة "شيء" لها تقديرٌ محذوف هو : كل شيء يقبل الخلق ، وعليه فالله وسائر صفاته لا يدخل في عموم هذه الآية ؛ لأن صفاته - سبحانه - لا تقبل الخلق ، ولأنه عمومٌ مخصّص بأول الآية (الله خالق) ، ومثل ذلك قوله - تعالى - عن رياح عاد : ﴿ **تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** ﴾ الأحقاف: ٢٥ ؛ أي رياح عاد تُدمر كل شيء يقبل التدمير ، فلم يدخل في الآية ما لا يتدمر بها كالجبال والمسكن ، بدليل قوله تعالى في سياق الآيات : ﴿ **فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ الأحقاف: ٢٥ ، فهذه قرائن ظاهرة ؛ ولا حجة للمبتدعة ^(٢).

(١) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ١/١٧٩ تحقيق د. محمد بن سعيد.

(٢) عقيدة المسلمين للبليهي ٢/٢٢١.

قال الإمام محمد الأندلسي في نونيته المعروفة بنونية القحطاني^(١) :

فَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا	حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ
لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلَامِنَا	إِذْ لَيْسَ يُدْرِكُ وَصْفَهُ بَعِيَانٍ
سَبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى	وَحَوَى جَمِيعَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
وَكَلَامُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ	وَحَيًّا عَلَى الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ
وَكَلَامُ رَبِّي لَا يَجِيءُ بِمِثْلِهِ	أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ
وَهُوَ الْمَصُونُ مِنَ الْأَبَاطِلِ كُلِّهَا	وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنَّقْصَانِ
هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ وَخِطَابُهُ	بِفَصَاحَةٍ وَبِلَاغَةٍ وَبَيَانِ
جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا	فَبِهِ يَصُولُ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي
مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ قَوْلِهِ	فَقَدْ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ
مَنْ قَالَ إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ	فَالْعَنَةُ ثُمَّ أَهْجَرُهُ كُلَّ أَوَانِ
قُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ رَبِّنَا	وَاعْجِلْ وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَإِنْ
هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ	وَمِدَادُنَا وَالرُّقُّ مَخْلُوقَانِ

(١) هو الإمام عبد الله بن محمد الأندلسي المالكي القحطاني ، عالمٌ فقيهٌ حافظٌ مؤرخٌ فاضلٌ ، رحل في طلب العلم ، مات سنة (٣٨٧ هـ) رحمه الله ، نونيته من أعظم القصائد فائدةً وبلاغةً وعقيدةً ونفعاً. "انظر: نفح الطيب للتلسماني ١٤٢/٢ ، والأنساب للسمعاني ٣٤٥/١٠".

المبحث الثاني

مُقارنة (القرآن) بالكتب السماوية السابقة

وبيان منزلته منها وفضله عليها

فيم يتفق القرآن والكتب الأخرى ؟ وفيم تفترق ؟ ولماذا يُفضّل القرآن الكريم عليها والكل كلام الله ؟

إنه يتفق معها في وجوه ، ويختلف معها في وجوه أكثر.

فمن وجوه اتفاقها : أنه هو وإياها وحيٌّ وتنزيل من عند الله تعالى ، لهداية الخلق ودلالتهم على ربهم وخالقهم ؛ وتوحيده ، وهي كلها كلام الله تعالى كما

قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَّ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ النساء: ١٦٣

"فهو سبحانه المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كلامه ، تكلم سبحانه بالقرآن بالعربية ؛ والتوراة بالعبرية ، وتكلم بالأحرف التي أنزلها على نوح وغيره من كتبه المنزلة"^(١).

ومن وجوه اتفاقها : أنه يجب الإيمان بها كلها ؛ فمَنْ جحد أو كذب بشيء منها أو اعتقد أن الله تعالى لم يُنزل إنجيلاً مثلاً .. فهو كافر بالكتب كلها حتى بالقرآن ولو كان يتلوه.

كذلك مَنْ قال إنها مخلوقة أو غير ملفوظة ابتداءً من الله تعالى ؛ أو أن الله كلم موسى بصوتٍ غير مسموع .. فهو كافر وانتقض ركن إيمانه (الإيمان بالكتب).

تنبيه : وليُعلم أن (التوراة والإنجيل) هما المُنزلان من عند الله ؛ والسابقين للتحريف ، أما التوراة والإنجيل "المحرّفة" بأيدي اليهود والنصارى فليست من الكلام السابق في شيء ؛ إذ أوكل الله إليهم حفظها فخانوا الأمانة وحرّفوها إلى

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٧/١٢ وص ٣٥٥.

أباطيل وأناجيل كثيرة وأسفاراً متعددة حسب أهوائهم ، وحرّفوا العقائد الصحيحة فيها ؛ فأصبحت مكذوبة مقطوعة السند ؛ قال الله تعالى :

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ المائدة: ١٣

بل أثبت كثيرٌ من أهل التوراة والإنجيل أنفسهم أن فيهما أخطاء علمية وتحريفات باطلة ؛ مما أدى إلى تورطها مع الاكتشافات والعلم الحديث ؛ فهي دوماً مستسلمة ومصانعة.

أما القرآن :

ففي الوقت نفسه شهد أعداؤه واعترفوا بأنه لا يتعارض مع العلم الحديث والمكتشفات الكونية ؛ بل هو مؤيّدٌ لها سابقٌ لذكرها ولها فيه أصل ، تصريحاً أو تلويحاً ، مما يدل على صدقه وأحقيته وحفظه.

هذا هو القرآن نبراسُ الهدى	دستوركُ الأسمى المنيرُ المشرقُ
آياته نبعُ العلوم جميعها	والنور من تبيانه يتدفقُ
وسياسةُ الدنيا بأقومِ شرعةٍ	بين الورى بسواه لا تتحققُ
فيه القضاء لحل كل قضية	عن حلها أهل السياسة أخفقوا
هذا هو القرآن نبراسُ الهدى	من قال لا ؛ فهو الغبيُّ الأخرقُ

* * *

أسباب علو القرآن وتفضيله على الكتب السابقة وما انفرد به دونها وغيرها فيه

أسباب ذلك كثيرة منها :

الهيمنة ، والعموم ، والحاتمىة ، والحفظ ، والفصاحة ، ودوام المعجزة.

أولاً: أنه (المُهَيِّمِ الشامل) لِمَا سَبَقَ من الكتب ، مُهَيِّمٌ عليها فأبطلها ونسخها كُلِّها وأبطل العمل بها بعده ، وباشتماله على ما فيها من الحق والعلم وزيادة ؛ وبما فاقها من البلاغة والفصاحة والتأثير والإعجاز ، كما قال تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۗ

فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ ﴾ المائدة: ٤٨ ؛ أي بالقرآن ؛ واترك ما عداه من (التوراة والإنجيل) وغيرهما ؛ لأنها منسوخة وفيها تحريف ، ومن (أحكام الجاهلية) لأنها باطلة ظالمة .. ، اتركها واحكم بالقرآن ، لأنه الحق المحفوظ الذي صدق ما قبله من الكتب ؛ وهيمنَ عليها.

ومُصَدِّقًا لها : أي في العقيدة والتوحيد والإيمان.

ومهيمناً عليها: أي في التشريع والأحكام والإعجاز والفصاحة.

ثانياً: من أسباب علو وتفضيل القرآن على غيره أنه "عامٌ" لكافة الثقليين عربيهم وأعجميهم ؛ أسودهم وأبيضهم .. ، لا يختص بطائفة ولا زمان ولا مكان ولا عصر ولا مصر ، بل هو كَافَّةٌ عامٌ إلى قيام القيامة ، بخلاف غيره من الكتب ، فكل منها خاص بقوم معينين وزمان مُعَيَّن.

ثالثاً: أن القرآن "خاتم" فليس بعده كتاب أبداً ، فهو وحده الصالح المنظم

الضامن لسعادة الثقليين في الدارين.

رابعاً: أن القرآن "محمفوظ" بحفظ الله له دون البشر، فلم ولن يجترئ جني أو إنسي على القول فيه أو النيل منه إلى اليوم وإلى يوم القيامة ؛ يوم يعود إلى الله كما بدأ منه سبحانه ؛ بخلاف غيره من الكتب التي نالها تحريف المبطلين وظلم الظالمين ؛ قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ المائدة: ١٣، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِءً ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩.

أما (القرآن) فقال الله عنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩، وفي هذه الآية أكثر من اثني عشر مؤكداً لغويًا تؤكد حفظ الله للقرآن ؛ واضحة لأهل اللسان.

خامساً: أن الله تعالى جعله باللسان العربي المتميز على غيره من الألسنة بالبيان والفصاحة والبلاغة والإعجاز ؛ كما وصفه الله تعالى فقال: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣.

سادساً: تَمِيزُ القرآن بكمال الإعجاز ؛ فإن الكتب السماوية السابقة لم تكن معجزة كالقرآن إلا في بعض الجوانب ، كالأخبار الغيبية ، أما البيان واللسان والتشريع والحقائق العلمية .. فالقرآن معجز فيها دون غيره ؛ كما جاء في كثير من الآيات.

كما أن القرآن ذاته هو معجزة نبينا محمد ﷺ بخلاف غيره من الأنبياء ، فإن لكل نبي معجزة تنتهي بزمانه ، أما محمد ﷺ فالقرآن الكريم معجزته الخالدة إلى يوم القيامة.

سابعاً : مما فضّل به القرآن على غيره ، أن الله أقسم به وأعلى مكانه وسماه أحسن الحديث وأحسن القصص ..

قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ** ﴾ الزخرف: ٤ .

وقال تعالى : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ** ﴾ الزمر: ٢٣ .

وقال تعالى : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا**

الْقُرْآنَ ﴾ يوسف: ٣ .

والسلف الصالح مؤمنون ومُقرّون بذلك ، وأن القرآن أفضل من التوراة والإنجيل وغيرهما ، ولم يقل أحدٌ بعدم التفاضل ^(١) .

عدالة القرآن وإنصافه

القرآن مُنصفٌ للتوراة والإنجيل وأهلها ، وذلك عندما أمرنا بالإيمان بهما ، وأدبنا إذا أخبرنا أهل الكتاب بخبرٍ لا نعرفه أن لا نصدقهم ولا نكذبهم ، بل نقول : ﴿ **ءَأَمْنَا بِالَّذِي نُنزِلُ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ** مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٦ .

وقال تعالى عنهم : ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ**

ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ آل عمران: ١١٣ .

(١) جواب أهل العلم والإيمان - لابن تيمية ص ٣٥ .

تحريم اقتناء التوراة أو الإنجيل

وتحريم اتباع غير القرآن

اتفق أهل العلم أنه لا يجوز اقتناء ولا قراءة غير القرآن من الكتب السابقة ؛ ويحرم قراءة أو اتباع غير القرآن لتعبداً أو عمل ؛ إذ القرآن حاوٍ وشافٍ وكافٍ في ذلك كله ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة: ٥٠

وقال تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٥١ .

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أتى النبي ﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب ، فغضب ﷺ وقال : (أمتهم وكون فيها يا ابن الخطاب ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بحقٍ فتكذبوا به ؛ أو بباطلٍ فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعته إلا أن يتبعني) ، فرماها عمر - رضي الله عنه - وقال : "رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً" (١) .

ثم إنه - رضي الله عنه - لما فتح الإسكندرية وجد فيها كتباً كثيرة من كتب الروم والنصارى ، فأمر بإحراقها كلها وقال : "حسبنا كتاب الله القرآن" (٢) .

(١) رواه أحمد في المسند (١٤٨٥٩) وحسنه الألباني ؛ وفي لسان العرب - باب الهاء - التهوك : التهور والتحير في كل أمر .

(٢) انظر : جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية ص ٥٦ ، وقد سبق تخريج هذا الأثر .

وبهذا يُعلم أن القرآن الكريم ناسخٌ لسائر الكتب والأديان السابقة ، حتى صار هو الحق الوحيد الذي لا يجوز اتباع غيره ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ آل عمران: ١٩ ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ آل عمران: ٨٥ .

ويُعلم بهذا أيضاً بطلان الدعوة الخبيثة القائلة (بوحدة الأديان) ، وأنها لن تتم ؛ لأنه لا يجتمع حق بباطل ، ولا يختلط طاهرٌ بنجس ، ولا يلتقي نورٌ بظلام .
وصدق القائل :

الله أكبر ؛ إن دين محمدٍ	وكتابه أهدى وأقومٌ قيلاً
لا تذكروا الكتب السوالمَ عنده	طلع الصباحُ فأطفأ القنديلاً

* * *

القرآن هو البديل الحق

القرآن هو البديل العدل الحق عن الهوى والنزعات الشيطانية ونزعات النفس وطيش العقل وما تمليه الأنفس من الأهواء وخبيث الآراء ..، وهو الحق المبين والنور الواضح ؛ الذي لا يحل محله شيء من قوانين أو نظم العقول البشرية، ولا الكتب السابقة المحرّفة أو غير المحرّفة ..

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَّ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ سورة النساء: ١٧٤.

وقال تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ سورة طه.

وهكذا سائر كتب الله - تعالى - كالتوراة والإنجيل والزيور ..؛ هي هداية ونور؛ لكن في وقتها المحدد لها ولأقوامها المخصوصين .. وذلك قبل نزول القرآن وظهور محمد ﷺ.

أما بعد القرآن فإن تلك الكتب السابقة - كالتوراة والإنجيل وغيرهما - قد أصبحت ضلالةً وشقاءً وعمى ، **وذلك لأمرين:**
الأول: لأن أهلها - أهل الكتاب - قد حرّفوها وبدلوا فيها ، وهم يعرفون هذا عن أنفسهم.

الثاني: أنها قد غرّبت شمسها بنور القرآن ، فلا حقّ بعده غيره ؛ ولا دين سوى شريعته ، وهذا كله من عند الله ؛ يفعل ويشرع وينزل و يرفع ويمحو ويثبت ما يشاء ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران: ٨٥ ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً

وقال النبي ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ؛ إلا كان من أصحاب النار)^(١).

بل إن الله تعالى نادى اليهود والنصارى في القرآن الكريم ؛ وبين لهم سبحانه أنه قد أنزل بديلاً عظيماً عدلاً خالداً محفوظاً لكافة الجن والإنس ؛ هو القرآن ؛ وأنه نور وهدى ، لا يجوز العدول عنه لغيره ، وبين الله تعالى لهم أن محمداً ﷺ رسولٌ من عنده لكل البشر ، ولو أخفوه وأخفوا ذكره في التوراة ، وأنه جاء معه بنورٍ يهدي إلى سبل السلام ؛ وأن ما سواه ضلال ؛ قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ المائدة: ١٦ .

ومعنى رسولنا : أي محمد ﷺ .

وتخفون من الكتاب : أي التوراة والإنجيل .
والنور والكتاب المبين : هو القرآن الكريم .

المبحث الثالث

مُقارَنَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ وَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ

الحديث القدسي : هو ما أضافه النبي ﷺ إلى الله تعالى .

الحديث النبوي : هو ما أضافه الصحابي إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

مثال الحديث القدسي :

ما رواه النبي ﷺ عن ربه ؛ كقوله - سبحانه - : (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ) ^(١) .

ومثل ما رواه النبي ﷺ عن الله تعالى قال : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ هم خيرٌ منهم ، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً ...) ^(٢) .

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) رواه مسلم (٦٨٠٥) في الذكر والدعاء.

ويشترك (القرآن) والحديث القدسي والنبوي في ثلاثة أمور:

- ١ - أن الجميع وحيٌ من عند الله تعالى ، فهما وحيان لا فرق ؛ إلا أن القرآن متلوٌّ يُتَعَبَّدُ به ، والسنة مروية لا يُتَعَبَّدُ بقراءتها ، أما العمل فنحن متعبدون بالعمل بهما واتباعهما معاً.
- ٢ - أنهما - أي القرآن والسنة - هما المصدران الوحيدان للتشريع والهداية وأصول الأحكام ؛ بما في ذلك الحديث القدسي ؛ وما ينبني عليهما من الإجماع الصحيح والقياس المعتبر.
- ٣ - أن القرآن والسنة حُجَّتَانِ قاطعتان يجب الاحتجاج بهما ، والوقوف عندهما ، ويحرم الطعن في حُجَّتَيْهِمَا ، بل يكفر من جحد ذلك.

ويُفترق القرآن عن الأحاديث القدسية والنبوية بثلاثة أمور:

- ١ - أن القرآن في الدرجة الأولى وتأتي بعده السنة في الدرجة الثانية.
- ٢ - أن القرآن لفظه ومعناه من الله تعالى ، والحديث النبوي لفظه ومعناه من الرسول ﷺ بوحي من الله تعالى ، أما الحديث القدسي : فإن معناه ومضمونه من الله تعالى ، ولفظه من الرسول ﷺ.
- ٣ - أن القرآن انفراد بكونه مُعْجِزاً ؛ متواتراً ، متعبداً بقراءته ، ولا يضاف إلا إلى الله تعالى ، وأنه محفوظ بحفظ الله ، ولا يمسه إلا المطهرون ، وتحرم قراءته على الجُنُبِ ، وتحرم روايته بالمعنى ، ولا تصح الصلاة بغيره ^(١).

(١) تأملات قرآنية ص ٢٣ د. موسى الابراهيم.

الفصل الخامس

تحريم الاستغناء بالقرآن عن السنة
وبيان أنهما وحيان متكاملان

القرآن والسنة هما مصدرًا الهداية والتشريع

القرآن الكريم : هو كلام الله الذي أنزله إلى رسوله محمد ﷺ بلفظه ومعناه.
والسنة النبوية : هي منهج نبينا محمد ﷺ وأقواله وأفعاله وتقاريراته الذي
كان عليها في حياته بوحى إلهي ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٤ .

والقرآن والسنة هما مصدرًا الهداية والتشريع وهما أصل الدين والحياة
والأحكام والسعادة في الدارين ؛ كما قال النبي ﷺ : (تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ
تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا : كتاب الله وسنة نبيه)^(١) .
وفي صحيح مسلم عنه ﷺ كان إذا خَطَبَ احمرَّت عيناه ؛ وعلا صوته ؛
واشتدَّ غضبه ؛ ويقول : (أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي
هدي محمدٍ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة) ^(٢) .
وفي الصحيحين أنه ﷺ قال في قصة الزاني البكر الذي أتى تائبًا : (لأقضين
بينكم بكتاب الله) ^(٣) ، ثم قضى بالجلد والتغريب ؛ والتغريب ليس في القرآن بل
في السنة.

(١) رواه مالك في الموطأ (١٦٣٨) ، والحاكم وصححه ، والمنذري في الترغيب والترهيب ؛ وأشار
إلى أصوله في الصحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٠٠٥) كتاب الجمعة.

(٣) رواه البخاري (٧١٩٣) كتاب الأحكام.

عناية القرآن بالسنة النبوية

جاء في القرآن آيات تهتم بالسنة وترفع من شأنها ؛ يتضح ذلك في الأمرين الآتين :

الأول : أن الله تعالى أمرنا أن نطيع الرسول ﷺ ونقبل سنته كلها، ونأخذ بها، فقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الحشر: ٧، وجعل معصية الرسول فتنه ؛ فقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ النور: ٦٣

الثاني : أن طاعة الرسول مقرونة بطاعة الله ؛ لا تكون إحداهما إلا بالأخرى فمن أطاع الله وعصى الرسول فهو ضال ، قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ النساء: ٨٠ ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الأنفال: ٢٤ .

وروي عن الشافعي - رحمه الله - أنه قال : "إن الله قرن بين القرآن والسنة في

قوله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ البقرة: ١٢٩ ؛ فالحكمة هي السنة ^(١).

اهتمام السلف الصالح بالقرآن وبالسنّة معاً

أما السلف الصالح فقد اعتنوا بالسنّة كالقرآن عناية عظيمة ، ويقبلون ما صح عن النبي ﷺ ويحتجون به ، وكانوا يسافرون الأيام في الحديث الواحد.

وقال عبد الله بن المبارك : "سمعت أبا حنيفة - رحمه الله - يقول : (إذا جاء الحديث عن الرسول فعلى العين والرأس ، وإذا جاء عن الصحابة فختار من قولهم ، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم) (١).

ومن تعظيم علماء السلف الصالح للسنّة واهتمامهم بها : تدوينهم لها وعلومها والتثبت في أسانيدها ؛ وتأليف الكتب في علم الرجال والجرح والتعديل للرواة ؛ وكتب التخريج وما إلى ذلك..

ضلال القرآنيين وشبهتهم وردّها

والقرآنيون : طائفة ضالّة ؛ يقولون : القرآن يكفي وحده ولا حجة في السنّة ، ظهر هؤلاء في ق ٣هـ ؛ من الرافضة والخوارج وغيرهم ؛ فأنكروا كثيراً من السنّة بناءً على بُغضهم بعض الصحابة ؛ ودعواهم أن علياً هو النبي ، فبنوا بدعة على بدعة وضلالة على ضلالة .. ، ثم آل أمرهم في عصرنا الحاضر إلى ما هو أشد وأعظم وأقبح ؛ فأنكروا السنّة كلّها ؛ وطعنوا في رواتها وكُتِبها ..

وعن هذه الضلالة قال الشيخ بن باز - رحمه الله - :

"قالوا هذه المقالة الكاذبة ؛ وسَمّوا أنفسهم بالقرآنيين ، ولو عمِلوا فعلاً بالقرآن لعظّموا السنّة وأخذوا بها ، لأن تعظيمها مما دل عليه القرآن ، لكنهم جهلوا دلالة القرآن الكريم فضلوا وأضلّوا " ١هـ (٢) .

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنّة ص ٣١ للسيوطي.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات بن باز ١٨٧ / ٩ .

كُفِرَ مَنْ أَنْكَرَ حُجِّيَّةَ السُّنَّةِ

وضلال مَنْ يكتفي دونها بالقرآن^(١)

تبيّن أن القرآن والسنة شيئان لا ينفكان ، والوصية بالقرآن وصية بالسنة ؛ فالسنة داخلة في الوصية بالقرآن ؛ لأنهما وحي من الله لرسوله .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم : ٤ .
وقال النبي ﷺ : (ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه) ^(٢) .

والواجب على جميع المسلمين العمل بهما وتحكيمهما في كل شيء ^(٣) ، وكما أن القرآن حجة قاطعة لا عُذر لأحد عند الله بعدها ، فالسنة أيضاً حجة قاطعة على مَنْ بَلَغَتْهُ ، كما قال ﷺ : (فليبلغ الشاهد الغائب) متفق عليه ، فأمره بتبليغها دليل على كونها حجة على مَنْ بَلَغَتْهُ ، لذا فالسنة هي الأصل الثاني ؛ وهي حجة قائمة مستقلة بنفسها ^(٤) .

فأما مَنْ اكتفى بالقرآن دون السنة أو قال السنة ليست حجة والقرآن يكفيننا ولا داعي للسنة مع القرآن .. فَإِنَّ قَائِلَ ذَلِكَ وَمُعْتَقِدَهُ والداعي إليه قد كَفَرَ بالله ؛ وخرج من الإسلام ؛ ووجب عليه التوبة .

(١) للعلامة الألباني رسالة في هذه المسألة المهمة سماها (مكانة السنة في الإسلام وأنه لا يستغنى عنها بالقرآن).

(٢) رواه أحمد ؛ وأبو داود (٤٦٠٤) كتاب السنة .

(٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز ابن باز ٣٥/٩ .

(٤) إرشاد الفحول في أصول الفقه للشوكاني ص ٢٩ .

قال الإمام السيوطي - رحمه الله - : " فاعلموا رحمكم الله أن مَنْ أنكر كون حديث الرسول - قولاً أو فعلاً - حُجَّةً فإنه قد كفر وخرج من الإسلام وحُشر مع اليهود والنصارى " اهـ^(١) .

وقال الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : " وَمِنَ الْمَعْلُومِ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ السُّنَّةَ هِيَ الْأَصْلُ الثَّانِي مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَنَّ مَكَانَتَهَا فِي الْإِسْلَامِ الصَّدَارَةُ بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهِيَ حُجَّةٌ قَائِمَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ ؛ وَمَنْ جَحَدَهَا أَوْ أَنْكَرَهَا أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجُوزُ الْإِعْرَاضُ عَنْهَا وَالِاكْتِفَاءُ بِالْقُرْآنِ فَقَطْ فَإِنَّهُ قَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ؛ وَكَفَرَ كُفْرًا أَكْبَرَ ؛ وَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِهَذَا الْمَقَالِ ؛ وَجَحَدَ أَصْلًا عَظِيمًا فَفَرَضَ اللَّهُ الرَّجُوعَ إِلَيْهِ وَالِاعْتِمَادَ عَلَيْهِ وَالْأَخْذَ بِهِ ؛ وَأَنْكَرَ إِجْمَاعَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْأَصُولَ الْمَجْمُوعَ عَلَيْهَا ثَلَاثَةٌ : الْقُرْآنُ ، وَالسُّنَّةُ ، وَالِإِجْمَاعُ ، أَمَّا الْقِيَاسُ : فَهُوَ أَيْضًا عِنْدَ جَمَاهُورِ الْعُلَمَاءِ أَصْلٌ رَابِعٌ صَحِيحٌ إِذَا اسْتَوْفَى شُرُوطَهُ الْمَعْتَبَرَةَ " اهـ^(٢) .

ثم قال - رحمه الله - : " وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ يَتَّبِعُ كِتَابَ اللَّهِ دُونَ السُّنَّةِ فَقَدْ كَذَّبَ وَغَلَطَ وَكَفَرَ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ أَمْرٌ بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ ؛ وَحَذْرٌ مِنْ مُخَالَفَتِهِ ، فَلَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُتَّبِعًا لِلْقُرْآنِ بَدُونَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ ؛ وَلَا يَكُونُ مُتَّبِعًا لِلسُّنَّةِ دُونَ الْقُرْآنِ ، فَهَمَا مُتَلَازِمَانِ لَا يَنْفَكَانِ " اهـ^(٣) .

وفي الصحيحين عنه رضي الله عنه قال : (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي) ^(٤) .

(١) مفتاح الجنة للسيوطي ص ٢ ، ط ١٤٠٢ هـ .

(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ بن باز ١٧٦/٩ .

(٣) المصدر السابق ١٨/٩ .

(٤) رواه البخاري (٧١٣٧) كتاب الأحكام .

إنكار النبي ﷺ

على من يكتفي بالقرآن دون السنة

لقد أنكر ﷺ إنكاراً شديداً على من تهاون بالسنة ؛ وأوجب تعظيمها والعمل بها ؛ فقال ﷺ: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) ^(١).

وقال ﷺ: (لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَكَبِّراً عَلَى أَرِيكْتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هَذَا الْقُرْآنُ، فَمَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ، أَلَا وَإِنِّي أَوْتَيْتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا وَإِنَّهُ مِثْلُ الْقُرْآنِ أَوْ أَعْظَمُ) ^(٢).

ومعنى أن السنة أعظم : أي أكثر وأوسع ؛ لذلك كانت مُبَيِّنَةً وشارحةً للقرآن ، والشرح - لا شك - يكون أوسع.

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: (يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقُرْآنِ سِوَاءَ فَأَعْلَمَهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سِوَاءَ فَأَقْدَمَهُمْ هِجْرَةَ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سِوَاءَ فَأَقْدَمَهُمْ سِلْمًا) ^(٣) ؛ فهنا قدّم الرسول ﷺ صاحب السنة على الحضور عند استوائهم في القرآن.

وروى البخاري في صحيحه ؛ عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: (جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ؛ فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً

(١) رواه البخاري (٧٢٨٠) كتاب الاعتصام.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٥)، وابن ماجه برقم (١٣) وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم في المساجد (٦٧٣) ؛ وسلما : أي إسلاما ، وفي رواية : سينا.

فاضربوا له مثلاً ، فقالوا : مثله كمثل رجلٍ بنى داراً ؛ وجعل فيها مأدبةً ؛
 وبَعَثَ داعياً ؛ فَمَنْ أَجَابَ الداعِي دَخَلَ الدارَ وَأَكَلَ مِنَ المأدبةِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ
 الداعِي لَمْ يَدْخُلِ الدارَ وَلَمْ يَأْكُلِ مِنَ المأدبةِ ، فقالوا : أولوها له يَفْقَهُهَا ،
 فقالوا : فالدار : الجنة ، والداعي : محمد ﷺ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ
 وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللهَ ، ومحمد ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ الناسِ (١) .

المتواتر والمشهور والآحاد:

ولا فرق بين (المتواتر) و(المشهور) و(الآحاد) في الصحّة والثبوت ؛ إذا صحّ
 السند إلى النبي ﷺ ؛ وسَلِمَ مِنَ العِللِ القادحةِ ، فالكُلُّ سواءٍ في التعظيم
 والتقديم والعمل والحجّية ؛ وما قيل في هذا يقال في ذلك مما سبق بيانه
 وتوضيحه ، ولا يُنظر لكثرة أو قلة الطُّرق أو للأسانيد مع الصحّة والسلامة ،
 والكُلُّ حُجّةٌ يجب الأخذ بها وبما تقتضيه من العِلْمِ والعمل (٢) .
 وحديث (الآحاد) - الذي رواه راوٍ واحد - حُجّةٌ مأخوذ به حتى في العقائد
 وأمور العقيدة ، وهذا هو الصواب عند أهل العلم .

(١) رواه البخاري (٧٢٨١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ومعنى فرّق بين الناس : أى

أصبح بينهم فرقٌ به ؛ فليس الطائع كالعاصي ؛ وليس المؤمن كالكافر .

(٢) فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٩٠/٩ .

بدعة عرض السنّة على القرآن

ذهب بعض المبتدعة إلى أن القرآن هو الأصل الوحيد؛ وقالوا : ما جاء في السنّة من أحكامٍ أو تشريعٍ يجب أن يُعرض على القرآن ، فإن كان في القرآن قبلناه وإلا فلا!

واحتجّوا لذلك بأحاديث واهية وضعيفة ..

كحديث : (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه) وهو ضعيف.

وروا عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال : (إذا حدثتكم بحديثٍ عن رسول الله فلم تجدوا تصديقه في القرآن فأنا به كاذب..) ، إلى غير ذلك من الأحاديث التي ضَعَّفها أهل العلم ولا حجة فيها ؛ لانقطاع أسانيدھا بالمجاهيل وبمن لا يُقبل حديثه ^(١).

فعرض السنّة على القرآن : بدعةٌ ومُنكرٌ لا داعي له ؛ لأنه لا دليل عليه ؛ ولم يفعلْه أحدٌ من السلف الصالح ، ولأنه تعطيل للسنّة ؛ وهو باطلٌ مردودٌ بقول الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ آل عمران: ١٣٢ ، وبقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الحشر: ٧.

ففي هاتين الآيتين أمرنا ربنا - جلّ وعلا - بأخذ ما جاء عن الرسول بدون قيدٍ أو شرطٍ أو عرض.

(١) مفتاح الجنة للسيوطي ص ١٤-١٨ ، وانظر: كتاب : دفاع عن السنّة ص ١٧ الدكتور محمد أبو شهبّة.

القرآن والسنة هل يقضي أحدهما على الآخر؟ وأيهما أحوج إلى الآخر؟

يبيّن كثير من أهل العلم أن (القرآن) أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن. وأن احتياج القرآن للسنة : هو من باب تبيينه وتوضيح مقاصده وتفسير مُجْمَله ؛ لأن القرآن وجيزٌ بليغٌ معجز ، فيه كنوز وقواعد وإشارات ؛ تتضح بشرح وتبيين الرسول ﷺ .

كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بيان الإقامة في السنة ؛ وهي صفتها وركعاتها وشروطها ومبطلاتها..

وكقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ بيان ذلك وتفسيره في السنة ، إذًا فالحاجة إليها حاصلة ومتأكدة ، وقد لا يكون في السنة ما يحتاج إلى القرآن. فهذا معنى قول العلماء: "إن السنة قاضية على القرآن ولا العكس" ؛ وهذا حقٌ وصحيح بهذا المعنى المذكور.

لكن بعض أهل العلم استحبّ تغيير هذا التعبير تأدباً ؛ لذلك لَمَّا سئل الإمام أحمد عن كون السنة قاضية على القرآن ؟ قال : لا أجسر أن أقول هذا ، ولكن السنة تُفسر القرآن وتبينه (١) .

أما مَنْ قال إن قضاء السنة على القرآن بمعنى مُعَارَضته ومناقضته فقد أخطأ وضلّ وكذّب.

قال الإمام البيهقي - رحمه الله - : " معنى ذلك أن السنة مع الكتاب أقيمت مقام البيان عن الله ، كما قال - سبحانه - : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

(١) السنة ومكانتها ص ٣٨٨ د. مصطفى السباعي .

إِلَيْهِمْ وَعَلَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿النحل: ٤٤﴾ ، لا أن شيئاً من السنن يخالف الكتاب " ، ثم زاد الإمام السيوطي ذلك بياناً فقال : والحاصل أن معنى احتياج القرآن للسنة أنها مبيّنة له ، ومفصلة لمُجمَلاته ؛ لأن فيه كنوزاً موجزة تحتاج إلى مَنْ يَعْرِف خفاياها فيبرزها للأمة ؛ وهو محمد ﷺ ، وذلك معنى كون السنة قاضية على القرآن ، وليس القرآن قاضٍ على السنة ولا مُبيّنٌ لها ؛ لأنها بيّنة بنفسها ؛ إذ إنها لم تصل إلى درجة القرآن في الإعجاز والإيجاز ، فهي شرحٌ له ، وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح ، والله أعلم " اهـ^(١) .

ومن حاجة القرآن إلى السنة : أن ناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله وبعض معانيه وكثيراً من مُجمَلاته ؛ لا تُعرَف إلا بالسُّنة والبيان النبوي .

(١) مفتاح الجنة ص ٣٠ للسيوطي . وانظر المصدر السابق ص ٣٨٧ .

تعاضد الوحيين

والوحيان هما (القرآن والسنة)، فهما متعاضدان متكاملان ؛ والسنة النبوية معايدة للقرآن ومؤيدة له ومصدقة لمقاصده ، وموضحة له ومبينة لمجمله ومقيدة لمطلقه ؛ وكل منهما يُخصّص عموم الآخر ..

مثال ذلك : قوله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ البقرة: ٤٣ ، أين جاء تفصيل أركان وصيغة وركعات وشروط الصلاة ؟ وأين جاء تفصيل صيغة وشروط ومقادير ومصارف الزكاة ؟ إن ذلك مما جاءت به السنة ووضحته ، فالقرآن في غالبه يذكر القواعد العامة ؛ والسنة تُبينها ^(١) .

ومن الآثار في ذلك :

ما أخرجه البيهقي عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أنه قيل له : إنكم تُحدّثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ، فغضب عمران وقال : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً والمغرب ثلاثاً والغداة ركعتين ؟ قال لا . قال عمران : وهل وجدت فيه شاة في كل أربعين ؟ قال لا . قال : وهل وجدت مع قوله تعالى : ﴿ **وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ الحج: ٢٩ ، وجدت الطواف سبعا والركعتين خلف المقام ؟ قال لا . ثم قال : ألسنتم أخذتم ذلك عنّا وأخذناه نحن عن رسول الله ﷺ ؟ قال ذلك الرُّجُل : نعم .

قال عمران : فإن الله قال في كتابه : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ الحشر: ٧ .

(١) دفاع عن السنة ص ٣٩ ، وانظر رسالة الشيخ عبد الغني عبد الخالق - رحمه الله - في الرد

على من ينكر حجية السنة.

ومن ذلك : ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه -
قال : (لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمَسْتَوْشِمَاتِ وَالْمَتَمِصَّاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحَسَنِ
 الْمَغْيِرَاتِ لِحُلُقِ اللهِ) ^(١) ؛ فجاءته امرأةٌ **وقالت :** بلغني أنك قلت كيت وكيت.
فقال : ما لي لا ألعن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله ؟ **فقالت :** لقد قرأت
 ما بين اللوحين - أي بين دفتي المصحف - فما وجدته ؟ **فقال :** قد وجدته ؛ أما
 قرأتي ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ؟ قالت بلى . **قال :** فقد
 أتى به الرسول في سنته ^(٢) .

أما مسكوت القرآن : فإن السنة إذا أتت بشيء سكت عنه القرآن كان ذلك
 الشيء تابعاً لمقاصد القرآن العامة ؛ ومندرجاً تحت قواعده الكلية ، ولذلك
 فالسنة في الجملة تحت راية القرآن ، وكل شيء في القرآن موضح ، إن لم يكن
 مفصلاً فمجملاً ، فإن كان الشيء الذي فيه مجملاً فقد وضحت السنة النبوية
 وبينته ^(٣) .

قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾
 النحل: ٤٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ النحل: ٨٩ .

(١) رواه البخاري (٥٩٤٣) ومسلم (٢١٢٥) ؛ كتاب اللباس والزينة.

(٢) ساقها الإمام السيوطي في كتابه مفتاح السنة ص ٥ وما بعدها.

(٣) وانظر البرهان للزركشي ١٢٩/٢ .

الفصل السادس

سور القرآن وآياته وتحزيبه
ومُحكّمه ومُتشابهه وقراءاته وتفسيره
وقصصه وأمثاله وأقسامه
وناسخه ومنسوخه
وما فيها من الأوجه الإعجازية

سُورِ الْقُرْآنِ أَنْوَاعُهَا وَأَسْمَاؤُهَا

عَدَدُ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١١٤) سُورَةٌ .

وَعَدَدَ آيَاتِهِ (٦٢٣٦) آيَةٌ ؛ عَلَى الْكُوفِيِّينَ ^(١) .

وَمَا نَزَلَ مِنَ السُّورِ وَالآيَاتِ بِمَكَّةَ يُسَمَّى مَكِّيًّا .

وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ يُسَمَّى مَدَنِيًّا ؛ وَهِيَ قِرَابَةٌ ٢٥ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ ، فَالْأَكْثَرُ هُوَ الْمَكِّيُّ

عَلَى الْأَرْجَحِ .

والمكي : يَتَمَيَّزُ بِقِصَرِ آيَاتِهِ ، وَالْإِهْتِمَامِ بِالْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ ، وَجَدَالَ

الْكَفَّارِ بِالْبِرَاهِينِ .

والمدني : يَتَمَيَّزُ بِطُولِ آيَاتِهِ ، وَالْإِهْتِمَامِ بِالْأَحْكَامِ وَالْحُدُودِ وَالْفَرَائِضِ وَالتَّشْرِيعِ

الْفَقْهِيِّ ^(٢) .

وترتيب السُّورِ والآياتِ توقيفي ؛ أَي نَقِفَ عِنْدَهُ وَلَا نَجْتَهِدُ فِيهِ وَلَا نَغَيِّرُهُ ،

فَلَا يُجُوزُ تَقْدِيمُ سُورَةٍ عَلَى سُورَةٍ وَلَا آيَةٍ عَلَى آيَةٍ ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ الَّذِي

رَتَّبَهُ هَكَذَا ، وَلِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُخْتَصُّ بِعَصْرِ دُونَ عَصْرٍ ، بَلْ هُوَ عَامٌّ لِكُلِّ الثَّقَلَيْنِ

صَالِحٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَلِأَنَّ الْعِبْرَةَ فِيهِ بِعَمُومِ اللَّفْظِ

لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ .

أما سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : فَلِبَعْضِهَا أَسْمَانُ فَأَكْثَرُ ، وَمِنْ ذَلِكَ :

الْفَاتِحَةُ : وَمِنْ أَسْمَائِهَا : أُمُّ الْقُرْآنِ ، أُمُّ الْكِتَابِ ، الصَّلَاةُ ، الشَّافِيَةُ .

النِّسَاءُ : سُورَةُ النِّسَاءِ الطُّوَلِيُّ .

الطَّلَاقُ : سُورَةُ النِّسَاءِ الْقُصْرِيُّ .

التَّوْبَةُ : سُورَةُ بَرَاءَةٍ .

النَّحْلُ : سُورَةُ النَّعْمِ ؛ لِكَثْرَةِ مَا عَدَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِيهَا مِنْ نِعَمِهِ .

الْإِسْرَاءُ : سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

(١) وَمَصْحَفِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَطْبُوعٍ بَعْدَ الْكُوفِيِّينَ ، وَالْفَرْقُ يَسِيرٌ بَيْنَ هَذَا الْعَدَّ وَبَيْنَ غَيْرِهِ .

(٢) وَكُلُّ سُورَةٍ فِيهَا : سَجْدَةٌ ، أَوْ كَلًّا ، أَوْ يَأْيُهَا النَّاسُ ، أَوْ قِصَصٌ .. فَهِيَ (مَكِّيَّةٌ) .

غافر : سورة المؤمن.

محمد : القتال.

المُلك : تبارك ؛ وتُسمى الكافية والواقية.

البيّنة : الانفكاك.

سورتا البقرة وآل عمران : الزهراوان.

سورتا الفلق والناس : المعوذتان.

وأسماء السور أمرٌ توقيفيٌ أيضا ؛ نتقيّد به ولا تُسمّى سورةٌ إلا بما ورد لها سواء اسم أو اسمان أو أكثر .

ومن أسماء السور مجتمعة : سور الحمد ، والسور ذوات ﴿آل﴾ ، وذوات ﴿الر﴾ ، والطواسين ، والحواميم ، والمسبّحات.

١- ذوات الحمد ؛ (أي المبدوءة ب الحمد لله) وهي خمس : الفاتحة ، والأنعام ، والكهف ، وسبأ ، وفاطر .

٢- ذوات ﴿آل﴾ سِتٌّ وهي :

البقرة - آل عمران - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة .

٣- ذوات ﴿الر﴾ سِتٌّ متتابعة هي :

يونس - هود - يوسف - الرعد^(١) - إبراهيم - الحجر .

٤- الطواسين وهي ثلاث مبدوءة ب ﴿طس﴾ : الشعراء ، النمل^(٢) ، القصص .

٥- الحواميم السبع المبدوءة ب ﴿حم﴾ ؛ وهي :

غافر - فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف .

٦- المسبّحات المبدوءة بالتسبيح ؛ سَبْعٌ هي :

الإسراء - الحديد - الحشر - الصف - الجمعة - التغابن - الأعلى .

(١) الرعد مبدوءة ب ﴿الر﴾ ؛ والأعراف فاتحتها : ﴿آل﴾ .

(٢) النمل مبدوءة ب ﴿طس﴾ ، والتي قبلها وبعدها : طسم .

- ٧ - السُّورَ الْمُفْتَتِحَةَ بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ ؛ وَهُوَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ سُورَةً.
- ٨ - السُّورَةُ الَّتِي فِيهَا سَجْدَتَانِ : هِيَ سُورَةُ الْحَجِّ.
- ٩ - السُّورَةُ الَّتِي فِيهَا بِسْمَلَتَانِ : هِيَ سُورَةُ النَّمْلِ ^(١).
- ١٠ - السُّورَةُ الَّتِي قَالَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ : (شَيَّبْتَنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا) هِيَ : هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ ، وَالْمُرْسَلَاتُ ، وَالنَّبَأُ ، وَالتَّكْوِيرُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصِفُ الْقِيَامَةَ وَأَحْوَالَهَا كَأَنَّكَ تَرَاهَا ^(٢).
- ١١ - السُّورَةُ الَّتِي ذُكِرَ اسْمُ (اللَّهِ) - تَعَالَى - فِي كُلِّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهَا ، سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ قِرَابَةً تِسْعٌ وَثَلَاثِينَ مَرَّةً.
- ١٢ - الْآيَةُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا حُرُوفُ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّهَا ، فِي سُورَةِ الْفَتْحِ الْآيَةُ (٢٩) خَاتِمَةُ السُّورَةِ.

(١) انظر البرهان للزركشي ٣٣/٢.

(٢) رواه الطبراني والترمذي وحسنه ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٥٥) ،

قال القرطبي في تفسيره : إن مما شَيَّبَ الرسول ﷺ من سورة هود : هو قول الله تعالى فيها :

﴿ فَاسْتَفِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْفَرُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ هود: ١١٢.

آيات القرآن أسمائها وشيء من فقهها وإعجازها

ومن الآيات ما عُرفتُ باسمٍ يُميّزها ، مثل :

١- آية الرضاع : قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ ﴾ البقرة: ٢٣٣.

٢- آية الكرسي : سورة البقرة آية ٢٥٥ ؛ (أعظم) آية في القرآن.

٣- آية الدين : سورة البقرة آية ٢٨٢ ؛ (أطول) آية في القرآن.

٤- آية الرّهان : سورة البقرة آية ٢٨٣ ؛ تلي آية الدين.

٥ - آيات القبلة : وهي الآيات من سورة البقرة ، آية (١٤٢) وما بعدها)

وفيها الأمر باستقبال الكعبة في الصلاة.

٦- آيات السّحر : هي الآيات التي ذُكرَ فيها السّحر وإبطاله ، في سورة البقرة

آية (١٠٢) ، وسورة الأعراف الآيات (١١٧-١٢٢) ، وسورة يونس آية (٨١) ،

وسورة طه آية (٦٩) ، وهذه الآيات مع سورة الإخلاص والفلق والناس نافعةٌ

جداً في علاج السّحر والعين والوساوس الشيطانية.

٧- آية التّفكّر : قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ ﴾ آل عمران: ١٩١.

٨- آيات المواريث : في أوائل سورة النساء وفي أواخرها.

٩- آية الكلاله : كلاله الإخوة الأشقاء أو لأبّ ؛ في خاتمة سورة النساء

الآية رقم ١٧٦ ، وتُسمّى أيضاً آية الصيف ؛ لنزولها في فصل الصيف.

١٠- آيات الحقوق العشرة : قوله تعالى : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا^ط﴾ النساء: ٣٦. ذكر فيها عشرة من أعظم الحقوق ، بدءاً بحق الله تعالى ، ثم حقّ الوالدين ، وحقوق القرابة واليتامى والمساكين والمغترين والأصحاب والجيران .. ، فمن قرأها وتدبرها وعمل بها أغنته عن مواظب البلغاء ونصائح الحكماء.

١١- آيات الوصايا العشر : وهي قوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ^ط أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا^ط وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ^ط وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ^ط وَلَا تَمْلِكُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ^ط ذَلِكَمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ^ط لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^{١٥١}﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ^ط وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ^ط لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا^ط وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ^ط وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا^ط ذَلِكَمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ^ط لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^{١٥٢}﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ^ط وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ^ط ذَلِكَمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ^ط لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^ط﴾ الأنعام.

فهذه آيات عظيمة نافعة جامعة ؛ فيها وصايا وأحكام أجمعت الشرائع السماوية على إقرارها والعمل بها ^(١).

(١) انظر تفسير ابن كثير ؛ وتفسير الطبري ؛ عند هذه الآيات ، وروي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأِ الْآيَاتِ الثَّلَاثَ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ : قُلْ تَعَالَوْا .. إِلَىٰ قَوْلِهِ : تَتَّقُونَ) رواه الترمذي وحسنه.

١٢- آية المصابرة : وهي قوله تعالى: ﴿ أَكْفَنَ حَقْفَ اللَّهِ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ

فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا

أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنفال ٦٦ ، فيها الحث على الصبر عند لقاء العدو ، وقد نسخت الآية التي قبلها ؛ فبدلاً من أن يقابل المسلم الواحد عشرة من الكفار خُفف إلى اثنين مقابل واحد من المسلمين.

١٣- آية الصدقة : قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا

وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة ١٠٣ ، لما سمع الصحابة الأمر بالصدقة تصدقوا ، كلٌ بحسبه ، فلمزهم المنافقون ، فمن أكثر : قالوا مُراءٍ ، ومن أقلّ : قالوا الله غنيٌّ عن صاعك ، فذمّ الله المنافقين وأنزل فيهم قوله سبحانه: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ..)^(١).

١٤- آية السيف : قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ التوبة ٥ ؛ سُمِّيتُ كذلك لأنها أذنتُ بقتال الكفار ، وتُسمّى آية القتال.

١٥- آية العزّ : قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ

فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ الإسراء ١١١ ، سُمِّيتُ كذلك لأنها تُثبِت العزّ لله تعالى ، والذلّ لغيره سبحانه ، "انظر تفسير الشيخ أبي بكر الجزائري عند هذه الآية الكريمة".

(١) رواه البخاري (١٣٩٥) ؛ ومسلم (٢٣٠٨).

١٦- آية التخيير: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤْيَا لَهَا إِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أَمْ تَتَّقُونَ وَأَسْرَحْتُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأعراب: ٢٩

فيها أمر الله رسوله أن يُخَيِّرَ نساءه في أن يطلقهن مقابل أن ينلن من زينة الدنيا وزخرفها وغنائمها، أو أن يبقين معه أزواجهن له ويصبرن على ضيق العيش وفقر الحال ولهن الجنة..، فاخترن الله ورسوله ويصبرن، وكل منهن قالت: (أريد الله ورسوله)، رضي الله عنهن وأرضاهن.

وفي ذلك درس لنا في الزهد والورع، والتقلل من الدنيا، وإيثار الآخرة الباقية على العاجلة الفانية، والاستعداد للقاء الله عز وجل.

١٧- آية الرجاء: قيل هي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ

لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر: ٥٣
فهذه الآية - وغيرها من الآيات التي في معناها - تبعث الرجاء في رحمة الله وعفوه، والواجب على المؤمن أن يجمع بين الخوف والرجاء، ويوازن بينهما، وعند الموت يجب أن يحسن الظن بربه، ولا يقنط من رحمة الله سبحانه؛ فهو أرحم الراحمين.

١٨- الآية الجامعة الفاذة: قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة: ٨؛ فهاتان الآيتان جمعتا موعظةً بليغةً تعظ القلوب، وتُغني عن مواظب الوعاظ^(١).

(١) انظر تفسير ابن كثير وغيره من التفاسير عند هذه الآيات، وبعضها جاء في الصحيحين كالأية الجامعة الفاذة، فقد جمعت وعظاً وحكمةً بليغة، وروي أنه سمعها أعرابي فقال: (والله ما بعد الدرّتين من موعظة!) وقال رجل: يارسول الله كبر سنّي، واشتدّ قلبي، وغلظّ لساني فأقرّني سورة جامعة؟ فأقرأه (إذا زلزلت الأرض زلزالها..)؛ فقال: والذي بعثك بالحق لأزيد عليها، فقال ﷺ: (أفلح الرجل أفلح الرجل) رواه أحمد وأبو داود وصححه أحمد شاكر والأرنؤوط.

تجزئة المصحف وتحزيبه وترقيمه

- قسّم أهل العِلْم سُور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام هي :
- ١- (الطوال) سَبْعُ هي : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، والتوبة.
 - ٢- (المثون) وهي مازادت آياتها عن مائة آية ، أو تُقاربها.
 - ٣- (المثنائي) تلي المثين ، سُمِّيتَ كذلك لأنها تُتَنَّى تلاوتها ، لِقَصْرِهَا.
 - ٤- (المفصّل) وطواله : من سورة قَ إلى سورة البروج . وأواسطه : من سورة البروج إلى سورة البيّنة ، وقصّاره : من سورة البيّنة إلى سورة الناس ^(١) .
- وقد عرِفَ هذا التقسيم من عهد الصحابة رضي الله عنهم .
- أما (التجزئة - والتحزيب - والأرباع - والتشكيل - والترقيم - والرموز- والعلامات) فإنها لم تكن موجودة في المصاحف في صدر الإسلام ، بل كانت مجردة منها ؛ بحُكْمِ القُرْبِ من عهد النبوة ، والاعتماد على المشافهة ، وبقاء الفصاحة والسليقة العربية السليمة ^(٢) .
- وفي القرن (٢هـ) ومع اختلاط اللهجات وظهور اللحن .. رأى العلماء والقراء الحاجة إلى ذلك التحزيب والترقيم ولم يروا في ذلك بأساً ، وعدّوه من المُحدّثات الحسنة ؛ وذلك لما فيه من التوضيح ، وتنشيط النفس ، وعدم اللبس ..
- فقسّموا القرآن إلى (٣٠) جزءاً و(٦٠) حزباً ، و(٢٤٠) رُبْعاً ، وقد كان (أبو الأسود الدؤلي ، ويحيى بن يعمر) من العلماء الأفاضل الذين أسّسوا ذلك ^(٣) .

(١) فيقال : قصار المُفصّل ، وسمي المُفصّل : لتعداد سورِهِ والفصل بينها بالبسملة .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة لكبار العلماء بالمملكة ، بترتيب الدويش ١٧/٤ .

(٣) انظر التبيان للنووي ص ١٥٠ ، ومباحث في علوم القرآن ، للقطان ص ١٥٧ ، ط ٧ .

وأكثر ما روي عن السلف من الصحابة - رضي الله عنهم - في "تحزيب القرآن" ما رواه (أوس بن حذيفة) - رضي الله عنه - قال : (سألت أصحاب رسول الله ﷺ : كيف تُحزَّبون القرآن)؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده .

(فالثلاث) : البقرة ، وآل عمران ، والنساء .

(والخمس) : المائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة .

(والسبع) : يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل^(١) .

(والتسع) : الإسراء ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان .

(وإحدى عشرة) : الشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة ، والأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس .

(وثلاث عشرة) : الصافات ، وص ، والزمر ، وغافر ، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، ومحمد ، والفتح ، والحجرات .

وبعد ذلك (حزب المفصل) وأوله من سورة ق إلى سورة الناس^(٢) .

(١) ذوات (آل) والنحل .

(٢) رواه أبو داود (١٣٩٣) وابن ماجه (١٢٤٥) ، عن أوس بن حذيفة ، وانظر فتاوى اللجنة الدائمة ١٧/٤ ، وفي الحديث تقسيم القرآن الى سبعة أقسام إشارة إلى ختمه في سبعة أيام وليس من السنة ختمه في أقل من ذلك ؛ لأنه قد لا يفقهه في هذه المدة القصيرة ، وسيأتي بحثها موسعاً - إن شاء الله - في الفصول التالية .

مُحْكَمُ الْقُرْآنِ وَمُتَشَابِهُهُ^(١)

القرآن الكريم - من حيث معانيه وألفاظه - فيه المحكم ؛ وفيه المتشابه ، قال الله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ آل عمران : ٧ .

فالمحكم : من الإحكام ؛ أي الإتقان والضبط والاتساق ، وهو اللفظ الدال على معناه بوضوح ، ويُعرف منه معناه ؛ أو لا يحتمل إلا معنى واحداً .
والمتشابه : هو ما لا يدل على معناه بوضوح ، أي : هو المشكل في معناه ، إما أنه لا يعرفه إلا العلماء الراسخون ، أو أنه لا يعلمه إلا الله تعالى^(٢) .

ومن وجهٍ آخر : فكلمة (المُتَشَابِه) لها ثلاثة معانٍ :

المتشابه العام : وهو التماثل والمتساوي في الحُسن والبلاغة والإعجاز .
المتشابه الخاص : وهو اللفظ المشكل الذي لا نعرف معناه ومقصوده .
المتشابه اللفظي : وهو التماثل والمتساوي في لفظه وحروفه ؛ وهذا له مجاله .

○ أما المتشابه العام : فمعناه أن القرآن يشبه بعضه بعضاً ولا يختلف ؛ فبعضه يشبه بعضاً في الفصاحة والبلاغة والإعجاز والهداية والإحكام ، وأنه متشابه في إحكامه وإتقانه ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ الزمر ٢٣ ؛ وقوله تعالى : ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَةٌ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود ١ .

(١) هذا الفصل جزء من كتابي الذي أسميته "التهيئات في علم المتشابهات" ؛ رأيت التنبيه عليه هنا باختصار ؛ لأهميته ؛ واستكمالاً لموضوع هذا الكتاب .

(٢) انظر البرهان للزركشي ١١٢/١ تحقيق محمد أبو الفضل ، وعلوم القرآن للقطان ص ٢١٥ ، وتأمالات قرآنية ص ١٢٨ .دموسى الابراهيم ، وتفسير ابن كثير وتفسير الجزائري عن الآية السابعة من سورة آل عمران .

○ وأما المتشابه الخاص : وهو الوارد في قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ

أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَةٌ ﴾ آل عمران: ٧.

فقوله : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ ؛ أي واضحات الدلالات ؛ لا إشكال ولا غموض فيها ؛ وهي أكثر القرآن .

وقوله : ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ؛ أي أصله الذي يُرْجَع إليه عند الاشتباه ؛ ويُرد إليه المتشابه ، وهي المفصّلات التي نرجع إليها لمعرفة الجملات .

وقوله : ﴿ وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَةٌ ﴾ ؛ أي مشتبهة المعنى ؛ أي لا يعلمها أحد ؛ كعلم الساعة ، وحقيقة الغيبات ، وكنه الصفات .. ، أو أنه لا يعرفها إلا الراسخون من العلماء ، أو أنها تحمل معانٍ كثيرة ؛ كبعض الأحكام ^(١) ^(٢) .

والحكمة من وجود هذا المتشابه في القرآن :

هي إظهار عجز الخلق ؛ وحثهم على البحث والعلم ، وبيان فضل العالم على الجاهل ، وامتحانهم من يؤمن بالغيب وبالأخرة ممن هو منها في شك .
والمُحكّم لا إشكال فيه .

إنما الإشكال في (المتشابه) ؛ مثل : حقيقة الغيبات ووقت القيامة ، والحروف المقطعة في أوائل السور ، فهذا المتشابه الذي اشتبه وخفي معناه علينا ؛ ولا يعلمه إلا الله تعالى ^(٣) .

(١) انظر تفسير ابن كثير ٦/٢ ، وتفسير السعدي ص ١٢٢ .

(٢) وهناك أقوالٌ أخرى لأهل العلم في معنى المحكم والمتشابه ؛ فقيل : المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ ، وقيل : المحكم ما يحتمل وجهًا واحدًا ؛ والمتشابه ما يحتمل أوجهًا ، وقيل : المحكم ما أطلع الله عباده عليه ؛ والمتشابه ما استأثر سبحانه بعلمه ؛ كعلوم الغيب .

(٣) علوم القرآن د. محمد الصباغ ص ١٠٥ ، وانظر القواعد الحسان للسعدي ص ٦٤ .

وواجبنا نحو هذا المتشابه : أن نؤمن به ؛ ونردّه للمُحكّم ؛ ولا نُؤوِّله على غير مراد الله تعالى ؛ ولا نتبع الأهواء في تفسيره ؛ ولا نستغل غموضه على العامة بما لا يحتمل أو بما يتناسب مع الأغراض الجانية والشهوات .. ، فإن ذلك من الزور والبهتان والضلال والزيغ الذي حرّمه الله في كتابه.

وهذا هو معتقد أهل السنّة : أن ما عرفوا عمّلوا به، وما تشابه يؤمنون به ؛ ولا يحملونه على غير محامله، وله معناه ولو لم يفهم ؛ سواء من أسماء الله وصفاته ؛ أو من أمور الغيب ، فلا يجوز تأويله بغير مراده، أو بما لا نعلم، أو بما يصرفه عن مقصوده الحقيقي ، ويردّون إلى الله علم ما لا يعلمون ؛ ويردّون المتشابه إلى المحكم ؛ مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ آل عمران ٧.

وجمهور العلماء والقراء يُوجبون الوقوف على لفظ الجلالة : ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ؛ ثم البدء بما بعدها : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ .. ﴾ ، فتكون "الواو" ابتدائية ؛ ليستقيم المعنى .. (١).

وهل الراسخون في العلم يعلمون المتشابه ؟ أم لا يعلمه إلا الله ؟

والجواب : أن ذلك بحسب نوع المتشابه ؛ إذ هو ثلاثة أنواع :
الأول : ما لا يعلمه إلا الله ، كعلم الساعة ، والحروف في فواتح السور.
الثاني : ما يمكن للإنسان معرفته ، كالأحكام وكثير من الألفاظ.
الثالث : ما لا يعلمه من الناس إلا الراسخون في العلم منهم ، وهو المقصود من قوله ﷺ لابن عباس : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (٢).

(١) مجمع الزوائد ؛ للهيتمي ١٧١/١ ؛ وابن كثير في التفسير ١١/٢ ؛ والسيوطي في الدر ٦/٢.

(٢) رواه أحمد (٢٤٠١)، وابن حبان (٦٩٤١)، وانظر فتح الباري شرح البخاري ١/٢٢٩.

قال العلامة السعدي - رحمه الله - :

"القرآن كله محكم باعتبار ، وكله متشابه باعتبار ، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث...، فهو محكم : لأنه في غاية الإحكام وقوة الاتساق ، أخباره كلها حق وصدق ؛ لا تناقض فيها ولا اختلاف ، وهو متشابه : في الحُسن والهدى والصدق والحق .. ، والعلماء الفقهاء الراسخون يردّون المتشابه إلى المحكم ويفسّرون بعض القرآن ببعض ؛ فيصير كله محكماً ، فلا إشكال ولا تناقض" (١) .

والخلاصة أن الناس نحو متشابهات المعنى في القرآن صنفان :

الصنف الأول :

الجهلة الزائغون ؛ أهل الباطل والهوى والضلال والشهوات ؛ فهؤلاء يتتبعون المتشابه المشكّل ؛ ويؤوّلونه بهواهم ؛ ولا يردّونه إلى المحكم ؛ وهم بذلك عُصاة ، وقد حدّثنا الله منهم ؛ فقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ آل عمران : ٧ .

وعن عائشة رضي الله عنها ؛ قالت : تلا رسولُ الله ﷺ قول الله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ثم قال : (إذ أرايتم الذين يتتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) (٢) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون ؛ فقال : (إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يُصدّق بعضه بعضاً ؛ فلا تُكذّبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوا ، وما جهلتم فكلّوه إلى عالمه) (٣) .

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن ص ٦٣ للشيخ السعدي .

(٢) رواه البخاري (٤٤٣٠) ، ومسلم (٦٧٢٦) باب النهي عن اتباع متشابه القرآن .

(٣) رواه أحمد (٦٧٢٢) ؛ والسيوطي في الدرر ٦/٢ وصحح إسناده ، وانظر تفسير ابن كثير ٢/١٣ .

الصف الثاني :

وهم العاملون العاملون المهتدون ؛ يعملون بالمحكم ، ويؤمنون بالمتشابه ويحملون المتشابه على المحكم ؛ ويردونه إليه ، ومع خوفهم واعتدالهم واتباعهم للحق يدعون ربهم ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ آل عمران: ٨ .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : دعواتُ كان رسول الله ﷺ يكثر يدعو بها : (يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دينِكَ) ، فقالت : يا رسول الله ، إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء ؟ فقال : (إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ) (١) .

وعن النّوّاس بن سمعان - رضي الله عنه - قال : سَمِعْتُ النّبي ﷺ يقول : (ما مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ؛ إِنَّ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ) . وكان رَسُولُ اللَّهِ يَقُول :

(يا مُثَبِّتَ القلوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دينِكَ) قال : (والميزان بيدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ أَقْوَاماً وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إلى يومِ القيامة) (٢) .
وقال ﷺ لِعَلِيِّ - وهو يوصيه - : قل : (اللهم اهدني وسدّدني) (٣) .

(١) رواه أحمد في المسند (٢٤٢١١) ، والترمذي في السنن (٢١٦٣) باب إن القلوب بين ..

(٢) رواه أحمد (١٧٣٠١) ، وابن حبان (٩١٩) ، ابن ماجه (١٩٩) باب فيما أنكرت الجهمية .

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٥) ؛ وهو دعاء بالهداية والسداد في القول والعمل والاعتقاد ، لا ينبغي إهماله .

قال ابن كثير في التفسير:

"أخبرنا الله تعالى أن في القرآن آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ؛ أي : بينات واضحات الدلالة ؛ لا التباس فيها على أحد من الناس ، ومنه آياتٌ فيها اشتباه في الدلالة على بعض الناس ، فَمَنْ رَدَّ الْمُشْتَبِهَ عَلَى الْوَاضِحِ ؛ وَحَكَّمَ الْمُحْكَمَ عَلَى الْمُشْتَبَاهِ فَقَدْ اهْتَدَى ، وَمَنْ عَكَسَ انْعَكَسَ" (١) .

أما صفات الله تعالى : فإنها عند سلف أهل السنة من حيث معناها من "المحكم" ، ومن حيث حقيقتها وكُنْهها من "المتشابه" ؛ وكيفياتها دون إدراك المخلوقين إلى يوم القيامة ؛ كقوله تعالى : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ص ٧ ؛ أهل السنة والجماعة يعرفون ويعتقدون أن الله تعالى يدين ؛ حقيقةً ، لكن لا يعلمون صفتها ولا حقيقتها ، ولا يؤولونها ، ولا يُنكرونها .

ولما سئل الإمام مالك - رحمه الله - عن كيفية استواء الله تعالى على عرشه؟ قال : "الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة" (٢) .

وكذلك سائر أسماء الله تعالى وصفاته الحسنی .

(١) تفسير ابن كثير ٦/٢ ط دار الحديث ١٤٢٢ هـ

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٨ لأبي القاسم اللاكائي ، والاعتقاد للبيهقي ص ١١٦

وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/٣٦٥ ، وتفسير السعدي عند الآية ٧ من آل عمران .

القراءات القرآنية

أَخَذَ جبريلُ - عليه السلام - القرآنَ عن ربِّ العالمين سبحانه وتعالى ، ونَزَلَ به بأمر الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ ؛ الذي بَلَّغَهُ إلى صحابته ، ومنهُم إلى الأُمَّة عَبْرَ الأجيال إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة ، وقد اشتهر من قراءات القرآن عَشْرُ متواترة ثابتة ؛ تشمل عدد من الروايات الثابتة أيضاً.

ورواية حفص واحدة من عشرين رواية صحيحة للقرآن الكريم ، وهي الأكثر انتشاراً الآن في أكثر بلاد المسلمين ، بينما قلَّت القراءة بكثيرٍ من الروايات الأخرى ، وهذا يدلُّ على نقص العلم ، وضعف الهمم !.

وأشهر القراء الذين تصدَّروا في ذلك الوقت لإقراء الناس عَشْرَةَ قرّاء ، كُلُّ يُقْرَى بالقراءة التي وصلَّته مُسنَدَةً متواترة حتى عُرِفَتْ باسمه ؛ لكثرة إقراءه بها.

وهذه القراءات أصلها الأحرف السبعة الواردة عن النبي ﷺ ؛ رحمةً بالأُمَّة ومراعاةً لأحوال العرب وتعدُّدٍ لهجاتهم.

قال النبي ﷺ : (أقرأني جبريلُ على حَرْفٍ ، فراجعتُه ، فلم أزلُ أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف) (١).

وعن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن جبريل - عليه السلام - أتى النبي ﷺ فقال : (إن الله يأمرك أن تُقريء أُمَّتك القرآن على سبعة أحرف ، فبأي حَرْفٍ قرأوا عليه فقد أصابوا) (٢).

وفي لفظٍ : (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه) (٣).

(١) رواه البخاري (٣٢١٩) في كتاب بدء الخلق ؛ ومسلم برقم (١٩٠٢) في صلاة المسافرين.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٨٥٦) ؛ وأبو داود (١٤٧٩) باب الأحرف السبعة.

(٣) رواه البخاري برقم (٥٠٤١) في فضائل القرآن.

وينبغي أن لا نفهم من تحديد السبعة أو العشرة أنها القراءات التي نزل بها القرآن ؛ ولا أنها الأحرف السبعة الواردة في الحديث ، وقد حذر الأئمة من ذلك وبسببه أنكروا على (أبي بكر بن مجاهد) - رحمه الله - لما اقتصر في كتابه على سبع قراءات ؛ قالوا : ليت مُسَبِّح هذه السبعة زادها فجعلها ثمانية أو تسعة حتى لا يوهم الناس أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن^(١).

أما عند جمع القراءات والروايات : فإنه يجب على من أراد القراءة بالقراءات أو الروايات المختلفة أو الجمع بينها أن يراعي ما يلي :

(١) - أن يكون عنده إلمامٌ بعلم القراءات واطلاع عليه وعلى كتبه ؛ عارفاً بأصول وفرش القراءات أو الروايات التي يقرأ بها.

(٢) - التلقي من أفواه الشيوخ المقرئين المتقين ؛ وثني الرُكْب في حلقاتهم.

(٣) - حُسن الأداء ، وحُسن الوقف والابتداء عند العود والتكرار.

(٤) - عند الجمع بين روايتين في ختمةٍ واحدةٍ فإنه يُكْمَل الآية ثم يعود إلى الكلمة التي فيها خلاف ؛ أو يقف عند وقفٍ حسنٍ ليأتي بالخلاف في الكلمة ؛ ويكرر ذلك كلما تكررت الروايات أو الأوجه في الكلمة.

(٥) - رعاية الترتيب بين القراء والرواة ؛ كما رتبهم أهل الشأن ، فيبدأ بِنافع ثم ابن كثير ..؛ ويُقدِّم قالون على ورش ؛ وشعبة قبل حفص .. وهكذا.

(٦) - عدم التركيب والخلط بين القراءات والروايات في الآية الواحدة قبل إتمامها أي لا يقرأ نصف الآية بروايةٍ ثم يقطعها ويرجع ليقراً بأخرى عليها ثم يعود للأولى ؛ فهذا خطأ ، إلا أن يقف موقفاً حسناً يتفق الجميع فيما بعده.

(٧) - لا يقرأ بروايةٍ ثم يقرأ بغيرها في نفسٍ ورده أو صلاته ؛ فهذا خلطٌ لا يصح.

(١) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص ٩ ، وتاريخ القراء العشرة ص ٣٩ لعبد الفتاح القاضي ، والقراءات وأحكامها ص ٦١ د. شعبان محمد.

تفسير القرآن وشروط المفسر

التفسير : هو العلم الذي به نعرف معاني ومقاصد وأحكام القرآن. و"التفسير والتأويل" كلاهما شَرَحٌ لمراد الله تعالى في القرآن ، وكان الصحابة والتابعون يفهمون القرآن ، فلم يُكْتَبَ التفسير في عهدهم رضي الله عنهم ، ولما جاء عصر التدوين "القرن الثالث الهجري" ظهرت الكتابة والعلوم والتخصصات وظهرت كُتُبُ التفسير والمفسرين كعلمٍ مُستقل^(١).

والمفسر : لا بد أن تتوفر فيه (شروط) شرعية وعلمية حتى يكون مفسراً، كالتقوى ، والعلم ، والفهم ، والتبحر في علوم الشريعة واللغة العربية وقواعدها والتوحيد والعقيدة ، والفرق والمذاهب ، والفقه وأصوله ، والسنة النبوية ، وأسباب النزول ، وعلم القراءات ، والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك ؛ ومن لم يُلمَ بذلك عند تفسير القرآن فإنه سيقع في الإثم والخطأ.

ومن المفسرين من ينقل أخباراً عن بني إسرائيل "اليهود والنصارى" ، وتسمى (الإسرائيليات) ، وهذه الإسرائيليات :

- ما كان منها صدقاً مُوافقاً للشرع فهو مقبول صحيح.
- وما كان منها كذباً مخالفاً للشرع فهو مردود باطل.
- وما لا نعلم صدقه من كذبه ؛ فهذا لا نصدقه ولا نكذبه ؛ ولا تأخذ به ؛ بل نحتاط منه ، ونرويه للاستشهاد ليس للعمل ولا للاعتقاد^(٢).

(١) الإتقان للسيوطي ١٧٣/٢ وانظر علوم القرآن للقطن ص ٣٢٣.

(٢) أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٠٥.

والتفسير من حيث المراد به ثلاثة أنواع :

(١) ما لا يُعَدَّر أحدٌ في الجهل به ، كمعرفة الحلال والحرام ، فهذا يجب أن يعرفه حتى العامة.

(٢) ما لا يَعْرِفه إلا الخاصة (العلماء) ، كمعرفة الأحكام.

(٣) ما لا يعلمه إلا الله تعالى ؛ كالروح ، والساعة ، والحروف المقطعة في

أوائل بعض السور ، ومتشابهات القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾

﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ آل عمران: ٧ ؛ فهذا نؤمن به ، ولا نُؤَوِّله إلا بدليل ^(١).

ومن حيث القبول والردّ ثلاثة أنواع أيضاً :

(١) التفسير بالمأثور: أي تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة.

وهذا مقبولٌ صحيح ، مثل : تفسير ابن كثير ، وتفسير الطبري ، والدر المنثور للسيوطي ، وتفسير البغوي ، وتفسير ابن جزّي ، وتفسير الجزائري ؛ وتفسير الصابوني من المعاصرين.

(٢) التفسير بالرأي: (أي بالتدبر والتفهم والتفكر في الآيات) وهذا مقبول

بشرط: عدم الخروج عن العقيدة الصحيحة ، وأصول التفسير ، وقواعد الشريعة وفهم أصل اللغة العربية .. وإلا فهو مردود ، مثل : تفسير البيضاوي.

(٣) تفاسير مردودة: وهي الموضوعة بالأهواء على غير مراد الله تعالى ،

كالتفاسير المُعْرِضة لهَدَفِ الهوى والإضلال والفرق والطوائف ؛ وكل تفسير يخالف مُرَادَ الله تعالى ؛ أو يصادم قواعد الشريعة .. فإنه باطلٌ فاسدٌ مردود.

(١) روي هذا التقسيم عن ابن عباس رضي الله عنه ، انظر تفسير الإمام الطبري ٧٥/١ ،

وأصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١١٥ ، وتفسير الجزائري ١ / ٢٨٧

ومن حيث موضوعه ثلاثة أنواع:

- (١) التفسير البياني: في لغة القرآن وفصاحته وبيانه ، كتفسير "الكشاف" للزمخشري ، فهو رائع لولا مزالقه العقديّة وضلالاته في أسماء الله تعالى وصفاته.
- (٢) التفسير التشريعي الفقهي: في بيان الأحكام العملية الفقهية ، ومن الكتب التي عنت به: أحكام القرآن - للجصاص الحنفي ، أحكام القرآن - لابن العربي المالكي ، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام - لمحمد الصابوني ، الجامع لأحكام القرآن - للإمام القرطبي ، وهذه كلها تفاسير نافعة ومفيدة جدا.
- (٣) التفسير العلمي: في بيان اهتمام القرآن بالكون والطبيعة والمخلوقات ، ودلائل قدرة الله تعالى ، كتفسير "مفاتيح الغيب" ؛ للإمام الرازي.
- ويحسُن بطالب العلم أن يطلع على هذه التفاسير ويجمع بينها ، ولا يليق بنا أن نبقى على جهلنا بمعاني ومقاصد القرآن دون النظر إلى تفاسيره المفيدة أو على الأقل التفاسير المختصرة ، كأيسر التفاسير للجزائري ، ومختصرات تفسير ابن كثير أو الطبري.
- كما ينبغي التنبيه إلى هفوات بعض المفسرين في (باب العقيدة وفي الأسماء والصفات) ، وينبغي أيضاً الاطلاع على استدراقات العلماء عليهم في ذلك ؛ كاستدراقاتهم على الزمخشري في تفسيره "الكشاف".
- روي عن سعيد بن جبير - رضي الله عنه - أنه قال : (مَنْ قرأ القرآن الكريم ثم لم يُفسِّره - أي لم يتعلم تفسيره - كان كالأعمى أو كالأعرابي)^(١).

(١) رواه الطبري في تفسيره ١ / ٨٧.

قصص القرآن وما فيها من الإعجاز

قصص القرآن: هي ما ورد في القرآن الكريم من القصص والأخبار عن أحوال ونبؤات وحوادث ووقائع ما جرى للأمم الماضية ، وهي أخبار غيبية تدل على صدق النبي ﷺ ؛ ومنها:

- ١- قصص الأنبياء - عليهم السلام - مع أمهم ، وسيرة نبينا محمد ﷺ وغزواته.
- ٢- قصص أقوام (مؤمنين) ؛ كطالوت ، وذو القرنين ، وأصحاب الكهف ، ومريم ، وامرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وأصحاب الأخدود.
- ٣- قصص قوم (كافرين) ؛ كقارون ، وفرعون ، وأصحاب القرية ، وأصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمونها مصبحين ، وأبي لهب وامراته ..

وللقصص القرآني فوائد إعجازية جليلة منها:

١- العظة والعبرة ، ولنعبر بالسابقين ولا نكنُ عبدةً للآحقين ، قال الله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ يوسف: ١١١

٢- وفيها فائدة للمربين وللدعاة ، وبيان أساليب الدعوة ، والافتداء بمنهج

الأنبياء مع أقوامهم ، : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتَدَهُ ﴾ الأنعام: ٩٠

٣- أن القصص لَوْنٌ أدبي رفيع مؤثّر في النفوس ، وفيها دفع للثبات والصبر؛

قال تعالى: ﴿ وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ هود: ١٢٠

وهنا تنبيهات مهمة حول القصص القرآني:

- ١- أن القصص القرآني صدقٌ وحق ، ومن كدّب به أو شكّ فيه فقد كفر.
- ٢- أنه حقائق واقعية ، ووقائع وقعت فعلاً ، فليست خيالاً ، وليست تصويراً فتيّاً عابراً كما يزعم بعض الفسقة ، ومن اعتقد ذلك فقد أخطأ وأثم وجانب الصواب ، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ يوسف: ١١١.

٣ - أنه يُمكن ويجوز للمربّين والدعاة أن يَصُوغُوا قصص القرآن بأساليب
تقريبية ملائمة لمستوى الناشئة ومراحل التعليم^(١).

(١) ومن الكتب النافعة المهمة في قصص القرآن الكريم؛ والتي ينبغي اقتناؤها والاطلاع عليها
لعظيم فائدتها: قصص الأنبياء؛ للإمام ابن كثير، والنبوة والأنبياء؛ للشيخ محمد الصابوني،
وقصص الأنبياء؛ للنجار.

أمثال القرآن، وما فيها من الإعجاز

الأمثال: جَمْعٌ مَثَلٌ ، وهو تشبيهٌ حالٍ بحالٍ لتقريب المعنى في صورةٍ حسيةٍ تُكسبه وضوحاً وجمالاً.

وهي فنٌ أدبيٌّ رائعٌ جميلٌ ، أشار القرآن لفضلها ومكانتها، تساعد على الفهم والتدبر، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ إبراهيم: ٤٥، وقال تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣

وعن رسول الله ﷺ قال: (كان الكتاب الأول ينزل من بابٍ واحدٍ وعلى حرفٍ واحدٍ ؛ ونزل القرآن من سبعة أبوابٍ وعلى سبعة أوجه: زاجرٌ ، وأمرٌ ، وحلالٌ ، وحرامٌ ، ومحكمٌ ، ومتشابهٌ ، وأمثالٌ .. ، فأجّلوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عن ما نُهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمُحكّمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كُلٌّ من عند ربنا)^(١).

وأمثال القرآن ثلاثة أنواع: صريحةٌ ، وكامنةٌ ، ومُرْسَلَةٌ.

١- (فالأمثال الصريحة): هي ما صرح فيه بلفظ المثل، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ

كَمَثَلِ الَّذِي أَسْتَوَقَدَ نَارًا﴾ البقرة: ١٧، وقوله تعالى عن الكفار: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَقُّ بِمَا

لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ البقرة: ١٧١، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ البقرة: ٢٦١.

وقوله تعالى عن من يتبع هواه: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ الأعراف: ١٧٦.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

الْأَرْضِ﴾ يونس: ٢٤.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٧٤٥)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٨٧).

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هود: ٢٤.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمًا ۖ اَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي

يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ إبراهيم: ١٨.

وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾ إبراهيم: ٢٦.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا ۖ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ الكهف: ٤٥.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ العنكبوت: ٤١.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾

الزمر: ٢٩.

وقوله تعالى عن الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ۖ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَنَرَاهُ مُصْفَرًّا ۖ ثُمَّ

يَكُونُ حُطَمًا﴾ الحديد: ٢٠.

٢- (الأمثال الكامنة): وهي الجارية مجرى المثل من غير تصريح ، ومنها :

- تمثيل البُخل بغلّ اليد في العنق (سورة الإسراء آية ٢٩)
- تشبيه الرسول ﷺ بالسراج المنير (سورة الأحزاب آية ٤٦)
- تشبيه الصوت المنكر المرتفع بصوت الحمار (سورة لقمان آية ١٩)
- تمثيل المغتاب لأخيه المسلم كمن يأكل لحمه ميتاً (الحجرات آية ١٢)

٣- (الأمثال المرسلّة): وهي التي تُستخدم كالمثل المضروب ، كقوله تعالى:

﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ هود: ٨١ ، وقوله: ﴿ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ الحج ٧٣

وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر: ٤٣ ، وقوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا

يُجْزَ بِهِ﴾ النساء: ١٢٣

ولأمثال القرآنية فوائد تربوية وإعجازية عظيمة ؛ منها :

- إيضاح المعنى والمقصود بأيسر لفظ.
- والترهيب والترغيب والإبلاغ في الوعظ.
- وتجعل الخيال كالحس ؛ والمراد للعقل كالمحسوس للحس.
- والله تعالى لا يضرب المثل للناس إلا من البيئة والكون ومما يعرفون : كالمطر والسييل ، والبحر ، والفراش ، والعنكبوت ، والذباب ، والسحاب ، والشجر وبعض الحيوانات ..^(١).

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٦٥ ، وانظر علوم القرآن للقطان ص ٢٨١.

أقسام القرآن وما فيها من الإعجاز

الأقسام : جَمْعُ قَسَمٍ ، وهو الحَلْفُ وتأكيد الكلام باليمين .
 وحروفه ثلاثة : الباء والواو والتاء ، وأركانه ثلاثة : فِعْلٌ متعدٍ بالحرف
 ومُقَسَّمٌ به ، ومقَسَّمٌ عليه "جواب القَسَمِ" .
 وأقسام القرآن نوعان :

١- (ظاهر) : وهو ما ذُكِرَ فيه لفظ القَسَمِ والمقَسَمِ به ؛ كقوله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الحجر : ٩٢ .

٢- (مُضْمَر) : وهو ما لم يُذْكَرَ فيه المقسم به ولا أداة القسم ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ آل عمران : ١٨٦ .

ولله تعالى أن يُقَسِمَ بِنَفْسِهِ ؛ وبما شاء من مخلوقاته ، وقد أقسم الله تعالى بِنَفْسِهِ
 في القرآن سَبْعَ مرات ، وأقسم بمخلوقاتٍ كثيرة ، كالشمس ، والليل ، والفجر ،
 والملائكة ، والنجوم ، ويكون القسم على عظيمٍ ؛ كالإيمان والقيامة .
 أما المخلوق : فلا يُقَسِمُ إلا بالله وحده ، ولو حَلَفَ بغيره فقد أشرك .

ولماذا يُقَسِمُ الله وهو - سبحانه - أَصْدَقُ القائلين ؟

ذلك :

- لأن القرآن نزل بلغة العَرَبِ ، ومن عاداتهم الإقسام والتوكيد .

- ولقَطَعِ الحُجَّةَ على الكافرين والجاحدين والمكذِبين^(١) .

(١) انظر : أقسام القرآن ؛ لابن القيم ، والبرهان للزركشي ٤٠/٣ تحقيق محمد أبو الفضل ، وتأملات

الناسخ والمنسوخ في القرآن

النَّسخُ : هو تبديل شيء بشيء . والنسخ في القرآن : هو رفع آية أو حُكْم شرعي واستبداله بآية أو خِطَاب شرعي متأخِر عنه .

ووقوع النسخ : يكون في (الأوامر والنواهي والأحكام) فقط ؛ أما العقائد وأصول العبادات والقصص فلا نسخ فيها ، وهذا هو الثابت في القرآن والسنة

ويجتمع أهل العلم ، قال الله تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ

مِثْلَهَا ﴾ البقرة: ١٠٦ ، وقال تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ

الْكِتَابِ ﴾ الرعد: ٣٩ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ

أَعْلَمُ بِمَا يَتَزَكَّى ﴾ قالوا إنما أنت مفضل بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ النحل: ١٠١ .

ولمعرفة الناسخ والمنسوخ فوائد عظيمة ، منها :

(١) الردّ على المبتدعة والفرق الضالة التي تقول كذباً وزوراً إن معنى النسخ هو تبديل رأيٍ أو قولٍ بآخر يبدو للقائل أصوب من الأول ، وهذا هو ما يُسمّى ب"البداء" ؛ ونسبته إلى الله تعالى كفرٌ وضلال .

(٢) عدم الخلط بين الأحكام الشرعية عند الفقهاء والمفسرين ، وقد كان السلف

الصالح يشترطون للتفسير معرفة النسخ ومواقعه ، وروي عن علي - رضي

الله عنه - أنه قال لقاضي لا يعرف الناسخ والمنسوخ : (هلكت وأهلكت) ^(١) .

(٣) وفي النسخ إكمال للتشريع ، وابتلاء للمكلفين ، ومراعاة للمصالح .

(٤) وفيه إرادة الخير للأمة ؛ فإن كان النسخ :

(إلى أثقل) : ففيه زيادة أجر وثواب ، ولأنه أعم .

أو (إلى أيسر) : ففيه تيسير وسهولة .

(١) رواه الخطيب البغدادي في: الفقيه والمتفقه ١/ ٨٠ تحقيق الشيخ اسماعيل الأنصاري.

أو (إلى مُمَاثل): ففيه مصلحة وحِكْمَة.

إو إلى غير بدل: ففيه عفوٌ وتخفيف^(١).

وأنواع النسخ من حيث (الناسخ) أربعة:

- ١ - نسخ القرآن بالقرآن.
- ٢ - نسخ القرآن بالسُّنة المتواترة الصحيحة.
- ٣ - نسخ السُّنة بالقرآن.
- ٤ - نسخ السُّنة بالسُّنة.

وأنواع النسخ من حيث (المنسوخ) ثلاثة:

- ١ - نسخ التلاوة والحُكم ، كنسخ آية العَشْر رَضَعَات^(٢).
- ٢ - نسخ التلاوة وبقاء الحُكم ، كنسخ آية الرجم.
- ٣ - نسخ الحُكم وبقاء التلاوة (ففي تلاوتها ثوابٌ وتعبدٌ) ؛ كآية عدة المتوفى عنها زوجها المنسوخة ؛ في سورة البقرة آية ٢٤٠ ، وآية حبس الزاني المنسوخة في سورة النساء آية ١٥ ، وآية الصبر على لقاء العدو - بواحد مقابل عَشْرَة من الكفار - سورة الأنفال آية ٦٥ ، وآية تقديم الصدقة عند مناجاة النبي ﷺ ؛ في سورة المجادلة آية ١٢ ، فهذه الآيات نُسخ حُكمها ؛ وبقِيَت في المصحف لتتعبّد بتلاوتها.

وفي ما يلي أمثلة من الناسخ والمنسوخ في القرآن:

(١) انظر البرهان للزركشي ٢٨/٢.

(٢) رواه مسلم (١٤٥٢) في كتاب الرضاع ؛ والترمذي (١١٥٠) ؛ وأنها كانت آية تُتلى.

أمثلة من الآيات المنسوخ حُكمها في القرآن ؛ مع بقاء تلاوتها
وبيان (الناسخ) من القرآن والسنة أو أحدهما

م	الآية المنسوخة	الناسخ
١	آية التوجه لأي مكان في الصلاة : ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَوَجْهُ اللَّهِ﴾ البقرة: ١١٥	آيات القبلة: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ﴾ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة: ١٤٤
٢	آية الوصية للوالدين والأقربين [سورة البقرة، الآية ١٨٠]	بآيات الموارث وحدِيث: «لا وصية لوارث» رواه مسلم
٣	آية عدة المتوفى عنها زوجها حَوْلًا كَامِلًا [سورة البقرة، الآية ٢٤٠]	آية عدة المتوفى عنها زوجها ٤ أشهر وعشرًا [البقرة ؛ آية ٢٣٤]
٤	آية حبس الزاني والزانية وأذيتهما [سورة النساء، الآية ١٥]	آية جلد البكر مائة جلدة [سورة النور، الآية ٢]
٥	آية (حلف الجاهلية) [سورة النساء، الآية ٣٣]	آية توريث أولي الأرحام من بعض [الأنفال ، الآية ٧٥]
٦	الآية: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ المائدة: ٤٢	بالآية: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ المائدة: ٤٨

<p>بآيات تخميس الغنائم:</p> <p>﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...﴾</p> <p>[الأنفال: ٤١ ، الحشر: ٧]</p>	<p>٧ الآية: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾</p> <p>الأنفال: ١</p>	
<p>بالآية بعدها: ﴿الَّذِينَ خَفَفَ</p> <p>اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ آتِ فِيكُمْ ضَعْفًا</p> <p>..﴾ الأنفال: ٦٦</p>	<p>٨ الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ</p> <p>عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ</p> <p>صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ..﴾ الأنفال: ٦٥</p>	
<p>بالآية: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ</p> <p>لِيَنْفِرُوا كَأَفَّةٍ﴾ التوبة: ١٢٢</p>	<p>٩ الآية: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا..﴾</p> <p>التوبة: ٤١</p>	
<p>بالآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا</p> <p>الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ</p> <p>رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾</p> <p>المائدة: ٩٠</p>	<p>الآية:</p> <p>﴿نَنخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾</p> <p>النحل: ٦٧</p> <p>على تفسير السُّكْرِ بالخمير (قبل</p> <p>تحريمه)</p>	١٠
<p>بالآية بعدها: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ</p> <p>تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقْتُمْ فِإِذَا</p> <p>لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا</p> <p>الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ المجادلة ١٣</p>	<p>الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمْ</p> <p>الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ..﴾</p> <p>المجادلة ١٢</p>	١١
<p>بالآية من السورة نفسها؛</p> <p>قوله تعالى:</p> <p>﴿فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾</p> <p>المزمل: ٢٠</p>	<p>الآية: ﴿قُرْءَانَ الْإِقْلِيلِ﴾ المزمل: ٢</p>	١٢

هذا بعض ما عدَّ أهلُ العلمِ مِنَ المنسوخ ، وهو قليل ؛ نحو عشرين موضعاً
أما الناسخ فكثير جداً من القرآن والسنة ، وقد أنكر العلماء على من يُفَرِّط
ويدخل في المنسوخ ما ليس منه ^(١) .



(١) انظر: ناسخ القرآن ومنسوخه، لابن البارزي، والمصنفى في الناسخ والمنسوخ، لابن الجوزي،
والإتقان؛ للسيوطي (٣٠/٢) ط: بيروت، والبرهان؛ للرزكشي (٣٣/٢) وما بعدها، وعلوم
القرآن للقطان (ص ٢٣١).

الفصل السابع

الإعجاز الغيبي
والإعجاز التشريعي

الإعجاز الغيبي

ويعني : الإخبار بالغيب عمّا فات وما هو آت.

وهذا من إعجاز القرآن ، أنه يخبر بالغيب في الماضي والحاضر والمستقبل ، وما لاسبيل إلى معرفته ؛ ولا يختلف شيء مما أخبر عنه ، بل يقع حرفاً حرفاً ..

ولا غرابة ؛ فهو كلام الله الذي ﴿يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك: ١٤.

وفيما يلي أمثلة من الإعجاز الغيبي للقرآن :

١- ذكر قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم ، والتي خَلِيَتْ منها ذاكرة

التاريخ ، ولم يذكرها ويُحيي ذِكْرُهَا إلا القرآن ، قال الله تعالى عنها: ﴿تِلْكَ

مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود: ٤٩.

٢- الإخبار عن تحقق نصر المسلمين على عدوهم في بدر والأحزاب ، فقال

تعالى: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ﴾ القمر: ٤٥ ، وقال عن مستقبل الكافرين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ

عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ الأنفال : ٣٦ ؛

وبعد سبع سنوات يقع هذا الغيب ويتصر المسلمون!

٣- الإخبار عن غلبة الروم للفرس ؛ قال تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ ٢ ﴿فِي آدْنَىٰ

الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلَبُونَ﴾ ٣ ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ الروم: ٤.

وعن فرح المؤمنين بالنصر في بدر وغيرها قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ

الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٤ ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ الروم: ٥.

٤- الإخبار عن المنافقين وحبائلهم ، والمتخلفين عن الغزوات ، وحادثة الإفك خير مثال على ذلك ، كما في سورة النور.

٥- الإخبار عن كثير من الفتوح ، كفتح مكة الذي ذكره القرآن بكل تأكيد قبل وقوعه ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحْلِقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ٢٧.

٦- الإخبار عن الموت والبعث والحشر والجنة والنار، وتفصيل وقائع ذلك كله حتى كأننا نراه ، حتى إنه يُعبّر عنه كثيراً بالماضي وكأنه قد حصل ؛ تأكيداً لتحقيقه لا محالة ، وأنه سيقع كما أخبر؛ كقوله تعالى : ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ الكهف: ٤٧ وقوله : ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمٍ ذِي وَهْيَةٍ﴾ الحاقة: ١٦ ، وقوله تعالى : ﴿وَسُورَتِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ النبأ: ٢٠.

٧- موقف القرآن الإيجابي مع العلم الحديث وحقائقه ، فإنه لم ولن يُصادم أبداً حقيقة علمية ، وكلما كشف الإنسان آية كونية وجدها خبراً غيبياً عنده في القرآن كما وصفها بكل دقة ..، وهنا تظهر العلاقة بين الإعجاز الغيبي والإعجاز العلمي الذي يأتي تفصيله فيما يأتي - إن شاء الله -^(١).

(١) وانظر كتاب توحيد الخالق ١/١٢٠ للشيخ عبد المجيد الزنداني.

الإعجاز التشريعي

اتصف الخطاب التشريعي القرآني بمخاطبة جميع طبقات المكلفين من الثقيلين في آن واحد .

وأسلوبه التشريعي واحد هو (الهداية) ، هداية الخلق إلى توحيد الخالق وعبادته وحده لا شريك له ، وإلى ما يسعدهم دنياً وأخرى .

ثم إن تشريع القرآن تشريعٌ كاملٌ وشاملٌ لجميع الحاجات العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ..

إلى جانب مراعاة اليسر ورفع الحرج ، والموازنة بين الدنيا والآخرة ، ومراعاة حقوق المرأة ، وتحرير العقول والأفكار من سلطان الوهم والخرافات والهوى ..

ثم إنه يهتم بالعقيدة أولاً ثم التشريع ؛ لأن " العقيدة " أساس البناء ؛ ولا يتم تشريع إلا بالعقيدة الصحيحة السليمة ، ومن أدرك حكمة التشريع وراء شعائره الدين وأركان الإسلام وفرض العقوبات والحدود .. عرّف السمو التشريعي للقرآن^(١) .

وكم فشلت دول الكفر ، وكم تعب عبدة القوانين التي يشرعها طواغيت البشر ؛ لأنهم يحكمون مجتمعاتهم وينظّمون معاشهم بتشريع قاصرٍ ظالمٍ أعمى ؛ ليس فيه عدل ولا وسطية ولا يسر ولا يصلح لغير وقته ؛ ولا يفى بحل المشاكل لأنه يفقد الميزات الجليلة التي يتصف بها التشريع القرآني الرباني الصالح العادل ؛

الذي أبطل الله تعالى أيّ تشريعٍ سواه ، قال سبحانه : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ**

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الشورى: ٢١ .

(١) انظر تأملات منهجية في علوم القرآن د.موسى الابراهيم.

وَمِنْ حِكْمَةِ التَّشْرِيعِ الْقُرْآنِيِّ وَعَظَمَتِهِ وَسَهُولَتِهِ :

ما رواه البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (إنما نزل أول ما نزل منه سورةٌ مِنَ الْمُفْصَلِ ؛ فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيءٍ : " لا تشربوا الخمر " لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل " لا تزنوا " لقالوا : لا ندع الزنا أبداً) ^(١) .

أدلة الإعجاز التشريعي في نصوص القرآن والسنة :

المتأمل في نصوص القرآن الكريم يجد أنها قد تضمنت حلاً لكل ما يجِدُ في الحياة من مشكلات أو وقائع ؛ على تغير العصور والظروف والأحوال. وبعض النصوص ينطبق على مسائل معينة، لا يتعدها إلى غيرها، بالإضافة إلى مبادئ وقواعد عامة يجب الالتزام بها عند تطبيق هذه النصوص. وعند تأمل نصوص التشريع الإسلامي ؛ فإنها - على قِلَّتِها - تميزت بالسعة والمرونة والخصوبة والواقعية والصلاحية لكل زمان ومكان ^(٢) .

وَمِنْ بَرَاهِينِ ذَلِكَ :

١ - أنها لم ترد على نَمَطٍ واحد في كل فروع التقنين ؛ ففي تشريع (العبادات) - وما ألحق بها من أحكام الأحوال الشخصية - تضمنت تفصيلات وتفريعات ؛ لأن العبادات وما في حكمها لا مجال فيها للعقل ، ولا تتطور أحكامها بتطور البيئات ، أما في (تشريع الأحكام العملية) - غير العبادات وما في حكمها - مثل الأحكام المدنية والدستورية والجنائية والاقتصادية مما تختلف باختلاف البيئات ، وتتطور بتطور المصالح ، فلم تتعرض نصوص القرآن فيها للتفصيل والتفريع ، بل اقتصرت على الأحكام الأساسية والمبادئ العامة.

(١) رواه البخاري (٤٩٩٣) في فضائل القرآن.

(٢) منهج عمر بن الخطاب في التشريع د. محمد بلتاجي ص ١٢٢ ، ط : دار الفكر العربي.

٢ - أن دلالة نصوص القرآن على الأحكام ليست مقصورةً على الأحكام التي تفهم من ألفاظها وعباراتها ، بل هي تدل أيضاً على أحكامٍ تُفهم من مفهومها ومعقولها.

٣ - أنها لم ترد بأحكامٍ مجردة عن عللها ، أو المصالح التي شرعت من أجلها ، بل ورد كثيرٌ منها مقروناً فيه الحكم بعلة صراحة أو إشارة .. وفي هذا إرشاد من الشارع إلى أنه ما شرع الأحكام لمجرد التعبد بها وإخضاع المكلفين لسلطانها ؛ وإنما شرعها (لمصالحهم) التي اقتضت تشريعها ، وفيه إرشاد إلى أن أحكام الشارع تدور مع مصالح الناس ، وحيثما وجدت المصلحة فتمَّ شرعُ الله^(١).

يقول الشاطبي - رحمه الله - في هذا المعنى أيضاً: «كلُّ مَنْ ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكلُّ مَنْ ناقضها فعمله في المناقضة باطل، .. فالمشروعات إنما وُضعت لتحصيل المصالح ، ودرء المفسد ، فإذا خولفت لم يكن في تلك الأفعال التي خولف بها جلب مصلحة ، ولا درء مفسدة»^(٢).

وما يقال من ذلك في نصوص القرآن يقال أيضاً في نصوص السنة النبوية.

(١) المصدر السابق ، وانظر التفسير الفقهي د. محمد المنسي ص ٧٨.

(٢) الموافقات للشاطبي ٢/٢٣١.

معنى آيات الأحكام وعددها

آيات الأحكام : هي الآيات القرآنية التي فيها فرائض وأحكام شرعية ، من تحريم وإيجاب وكراهة واستحباب .

وعرفوها أيضا بأنها الآيات التي تهتم بتقويم السلوك ؛ إذ إن آيات القرآن الكريم هدفها وغايتها تصحيح العقيدة وتقويم السلوك .

فأما (تصحيح العقيدة) فقد تكفلتُ به آيات العقائد ، كسورة ق والواقعة .
وأما (تقويم السلوك) فقد تكفلتُ به سُورَ وآيات الأحكام ، كسورة البقرة وسورة النساء وسورة النور ..

أما عدد آيات الأحكام والتشريع :

فقليل : خمسمائة آية ؛ وقيل : هي نحو ثلاثمائة ؛ وعد "السيوطي" في كتابه "الإكليل في استنباط التنزيل" مئات الأحكام من مئات الآيات .

ومن قال : خمسمائة آية فذلك - والله أعلم - مع التكرار ؛ لأن بعض الأحكام جاءت به آيات كثيرة ، تنوب أحدها عن باقيها ، والتكرار للتأكيد .

وقد كان عدّهم هذا مبنيًا على أمرين :

الأمر الأول : أنه ليس على سبيل الحصر .

الأمر الثاني : أنهم قصدوا الآيات الصريحة في بيان الأحكام وأصول الفرائض منطوقًا أو مفهوميًا بدون استنباط ، ولم يقصدوا أنها فقط المحتوية على أحكام ، ولو كان كذلك لعُطلَّ أكثر القرآن ؛ لأنه حتى أمثاله وقصصه وأخباره فيها من الأحكام الشيء الكثير ... فليعلم هذا .

قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى

اهتمام المفسرين بآيات الأحكام والتشريع

اهتم العلماء والمفسرون بآيات الأحكام ، وصنفوا فيها "تفاسير آيات الأحكام" ويسمونه "التفسير الفقهي" ؛ لأنه يهتم باستنباط الأحكام الشرعية الفقهية من الآيات ..

ومن ذلك :

تفسير أحكام القرآن ، للجصاص ؛ على الفقه الحنفي ، أحكام القرآن لابن العربي ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ؛ كلاهما في الفقه المالكي ، أحكام القرآن للكنيا الهراسي في الفقه الشافعي .
ومن تلك التفاسير المعاصرة المقارنة الجيدة : روائع البيان لمحمد الصابوني ، وتفسير آيات الأحكام لمناع القطان .

طُرُق استنباط الأحكام من الآيات

إذا كانت الآية صريحةً بالحكم فالأمر فيها واضح ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ البقرة: ٤٣ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ الإسراء: ٣٢ .

أما غير ذلك فيؤخذ الحكم منها بالاستنباط والتفكير والنظر حسب الطرق التالية :

الطريقة الأولى :

بالنظر لمعاني اللفظ ومقارنته بغيره ، وما يفهم منه ، مثل :

أخذ صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ،

ومثل : استنباط أقل مدة الحمل ستة أشهر من قوله تعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ﴾

﴿ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ الأحقاف: ١٥ ؛ لأن الفصال أربعة وعشرون شهراً "عامان" ؛ كما في آية البقرة ، فلم يبقَ إلا (ستة أشهر) لأقل الحمل .

الطريقة الثانية :

بالنظر لصيغة الإخبار بالشيء للدلالة على وجوبه ، فقوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ﴾ المائدة: ٣ إخبار بتحريمها ؛ معناه: لا تأكلوها ؛ فهي

حرام ، وقوله تعالى : ﴿ كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ البقرة: ١٨٣ ؛ إخبار بفرضيته ، ومعناه : صوموا رمضان.

الطريقة الثالثة :

بالنظر لما رُتِبَ على الآية عاجلاً أو آجلاً ..

فما جاء في الآية تعظيمه أو مدحه أو مدح فاعله أو حبه أو حب فاعله أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب أو القربة ؛ أو جعله سبباً للمحبة أو الثواب أو الفوز أو الفلاح .. فذلك كله دليلٌ على مشروعيته وجوباً أو استحباباً ..

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ٤ .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ الأعلى: ١٤ .

وما جاء في الآية أو النص طلب تركه أو ذمه أو ذم فاعله أو لعنه أو ووصفه بالخُبث أو الفسق أو النجس أو شَبَّهه بسيءٍ ، أو جعله سبباً للضلال والعذاب فذلك دليلٌ على منعه وتحريمه أو كراهته ..

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى ﴾ طه: ٦١

وقوله تعالى : ﴿ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴾ آل عمران: ٦١ (١) .

الفصل الثامن

الإعجاز اللُّغوي والبلاغي
في المعاني والمباني القرآنية

تمهيد

في بلاغة القرآن وبيانه وأمثلة ذلك

إن القرآن ببلاغته وفصاحته ولغته وأسلوبه واتساقه ونظمه وسبكه .. قد أعجز أهل اللغة وأرباب البلاغة والبيان ؛ وكان ذلك بدرجةٍ يَحْصُلُ معها الحزى والهوان لمن أراد معارضتها.

والتأمل في القرآن ومفرداته يجد أن كل كلمة فيه مُلائمةٌ لسياقها من حيث معناها ومن حيث هيئتها .. ؛ من جَمْعٍ وإفرادٍ وتذكيرٍ وتأنيثٍ ؛ وترابط كلماتها بما بعدها وما قبلها وأدوات الربط .. وغير ذلك مما لا تُصَلُّ إليه طاقة البشر ، فكان للقرآن بذلك من الفصاحة أعظمها ، ومن البلاغة أروعها ، ومن البيان أسماها ..
ومن أمثلة عظيم بلاغة القرآن وبيانه :

(١) قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ النساء ٤ ، لماذا قال "طبن" ولم يُقلْ "وهبن" وسَمَحَنَ ؟ ذلك لأن "وهبن" تفيد التنازل الظاهر فقط ، أما "طبن" فتفيد التنازل والعمو الظاهر والباطن ؛ لأن طيب النفس هو رغبة القلب وميول الضمير، والعبرة في العطاء تكون بذلك ، لا بمجرد العطاء.

(٢) قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

وَالنُّورَ﴾ الأنعام: ١ ، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الأعراف: ١٨٩ .

ما الفرق بين (الخلق) و(الجعل)؟ ولماذا لم يُقلْ وخلق الظلمات ؟
ذلك : لأن (الخلق) فيه معنى الإبداع والتقدير، و(الجعل) فيه معنى التصيير، أي إنشاء شيءٍ من شيءٍ أو تحويل شيءٍ إلى شيءٍ ، كالظلام من الحُجُبِ ، والنور من النار (١) .

(٣) قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف: ٤٠ ، ذيل الآية بهذا العموم المناسب ، يُعَلَّل سبب العذاب حتى لا يتظلم أحد ؛ واختار لفظ (الإجرام) لأنه يشمل الكفر والتكذيب وكل المعاصي .. وهذه كلها بلاغة وأساليب يعجز أمامها فصحاء العرب.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لقمان: ٢٧.

أفرد (الشجرة) ونكرها ولم يجمع لفظها ، وذلك لزيادة تأكيد تقصي الشجر كله شجرة شجرة ؛ حتى لا يبقى شجرة إلا بُرِيت أقلاماً ؛ وهذه قمة البلاغة.

(٥) قوله - تعالى - عن أهل النار: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فاطر: ٣٧

فكلمة: (يَصْطَرِّخُونَ) فيها بلاغة وإعجاز يصور قساوة الموقف وشدة عذاب وصراخ الكفار في النار، فأتى بها بصيغة المضارع المستمر إشارة لاستمرار العذاب بلا انقطاع، ثم إن الصراخ هو شدة الصياح ؛ وأكد ذلك بزيادة (الطاء) فلم يُقَل "يَصْرَخُونَ" بل زاد الطاء لبيان ارتفاع الصوت المصحوب بالألم والحسرة، والقاعدة: (أن زيادة المبنى تؤدي لزيادة المعنى) (١).

(٦) ما في القرآن من قصص وتصوير وتمثيل .. كل ذلك شموخ لغوي بلاغي بياني قرآني ؛ لا يضاهيه فيه أي كلام ولا أي خطاب . وإلى التوضيح :

(١) المبنى: أي الألفاظ والحروف، والمعنى: معاني ومقاصد الكلام، فإذا زاد في الكلمة حرف أو حرفان كان للزيادة أثر وقصد في زيادة المعنى أو تغليظة أو المبالغة في حصوله، مثل الكلمات: (يُمَسِّكون - يَهْدِي - يسطع - يستطع - واصطبر - يصطرخون ..) لزيادة المباني تعطي زيادة المعاني، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازة وجمال لغته.

المبحث الأول

مُبَهَمَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

مبهمات القرآن : هي آيات أو كلمات قرآنية واضحة المعنى لكن أُبْهِمَ المُراد بها لِجِكمَةٍ ما ؛ فلا يُعرَفُ المقصود بها ، وقد يكون الإبهام والغموض عن شخص أو مكان أو زمان أو عملٍ ما ... ويرى البعض أن تُسمى بغير المبهمات ؛ تأدباً مع كتاب الله تعالى ؛ لأن الله جعله آياته مبيّنات.

قال الإمام السيوطي - رحمه الله :- "وعلم المبهمات علمٌ شريف اعتنى به السلف كثيرا ، كما في الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : مكثت سنةً أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ (١) ، قال العلماء : هذا أصل في علم المبهمات .. ، وهو علمٌ مرجعه النقل المحض ولا مجال للرأي فيه" (٢).

وللإبهام في القرآن أسباب وفوائد ؛ منها :

- ١ - إما لأنه موضَّح في موضع آخر "كالمُنعم عليهم" في الفاتحة ؛ بيّنته الآية من سورة النساء بأنهم ﴿التَّيِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩.
- ٢ - أو لأن هذا الشيء المبهم وحيد أو مشتهر ؛ كقول الله تعالى لآدم - عليه السلام :- ﴿وَزَوْجَكَ﴾ البقرة: ٣٥ ، فإن المقصود حواء.

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣٦٤٩) باب الإيلاء واعتزال النساء.

(٢) مفحّمات الأقران في مبهمات القرآن ص ١١. للإمام السيوطي.

٣ - أو لقصد الستر عليه ؛ كقوله تعالى : ﴿ تَبَدَّهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ البقرة: ١٠٠ ،

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ

عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ البقرة: ٢٠٤ .

٤ - أو لأنه لا فائدة من ذكره ؛ كعدم ذكر اسم ابن نوح - عليه السلام - ،
والرجلين الذين اقتتلا ..

٥ - أو لإرادة تعميم الحُكم ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي

الْأَرْضِ مَرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ

فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ١٠٠ .

٦ - أو لقصد التعظيم ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾

الزمر: ٣٣ .

٧ - أو لقصد التحقير ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ؛ فلم

يذكر "الشانئ" تحقيراً له .

فصل

وقد ذكر السيوطي في "الإتقان" أكثر من "ستين" موضعاً مُبهماً في القرآن ؛

كلّها لا تخرُج عن الحِكم السبع السابقة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فِي الْأَرْضِ

خليفة - قتلتم نفساً - الأسباط - منادياً - ابني آدم - نادى نوح ابنه - وامراته

قائمة - قال قائل منهم - الذي - الذين - أصحاب الكهف - يعصّ

الظالم - امرأة فرعون - الذين أضلانا - ضيف إبراهيم - التي تجادلك -

امرأة نوح وامرأة لوط - سأل سائل - شانئك - وامراته حمالة الحطب .. ﴿

فهذه بعض الأمثلة من (المُبهمات) التي ذُكرها السيوطي في "الإتقان" (١) ،
وفسرها كاملة ؛ أعلاماً وغيرها ؛ معتمداً على النقل والمأثور الصحيح الذي
يبين أنه هو الطريق الوحيد لفك المبهمات ؛ ولا مجال للرأي ولا الاجتهاد.

ومن عجائب ما ذكر من المبهمات :

في قوله تعالى : ﴿ **ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ** ﴾ ؛ هي بيت المقدس ، والباب : باب بيت
المقدس ، والأسباط : هم بنو يعقوب ، وقوله : ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ** ﴾ البقرة: ١٤٢ : هم
اليهود ، و﴿ **الثَلَاثَةَ الَّذِينَ خَلَقُوا** ﴾ التوبة: ١١٨ : هم : هلال ومرارة وكعب -
رضي الله عنهم ..

وأبواب النار في قوله تعالى : ﴿ **لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ** ﴾ الحجر: ٤٤ ، هي : جهنم ،
والحطمة ، والهاوية ، ولظى ، وسقر ، والجحيم ، والسعير .
وفي قوله في نفس الآية : ﴿ **لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ** ﴾ : بابٌ لليهود ،
وباب للنصارى ، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للمشركين ، وباب
للمنافقين ، وبابٌ لعصاة الموحدين .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ**
شَاءَ اللَّهُ ﴾ الزمر: ٦٨ : مَنْ شاء الله : اثنا عشر ملك من الملائكة ؛ هم : جبريل ،
وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وحملة العرش الثمانية (٢) .

(١) انظر الإتقان للسيوطي ٢/٢٨٢ .

(٢) المصدر السابق ، وانظر مفحمت الأقران للسيوطي ص ٩٧ ، ٦٥ ، ٢١ ، ١٧ .

وَمِنْ لَطَائِفِ بَابِ الْمُبَهَمَاتِ :

أن في القرآن عَلمين صريحين غير مُبَهَمين :

الأول: (مريم): صرَّح به في القرآن أكثر من ثلاثين مرة ! ، فلماذا والعرب والأشراف لا يتبدلون بأسماء حرائرهم ؟ حتى إنهم من الغيرة يُكَنُّونَ عنهن بالأهل والعيال؟

والجواب: أن ذلك لإظهار عبوديتها ؛ وأنها مخلوقة ؛ ولأن من الضروري نسبة عيسى إليها ؛ ردًّا على النصارى الذين أنكروا ذلك ؛ وقالوا : هو وأمه إلهان من دون الله، فقمع دعاوهم الشركية الباطلة الكاذبة بهذا التصريح الصريح.

الثاني: (زيد): فقد صرَّح باسمه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطْرًا

زَوَّجْنَاكَهَا﴾ الأحزاب: ٣٧ ؛ ليبين أنه ليس ابناً للنبي ﷺ، ولمنع التنبئ (١).

مَا يَحْرُمُ بَحْثَهُ مِنَ الْمُبَهَمَاتِ :

أَجْمَعَ أهل العلم أنه لا يجوز بحث ما لا فائدة من بحثه ؛ وما استأثر الله بعلمه ..

كوقت قيام القيامة.

وكُنه صفات الله تعالى.

ومثل معاني الحروف المقطعة في أوائل السور ..

ومثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ إبراهيم: ٩.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥ ..

المبحث الثاني

المترادفات اللغوية

وهل في القرآن الكريم ترادف؟

الترادف : هو الشئ يتبع الشئ.

وترادف الكلمات : أي تقارب معانيها واتفاقها ولو اختلف لفظها ، فهي كلمات كثيرة تترادف على معنى واحد ، كالمهند والحسام والصارم .. ترادفت في الدلالة على السيف.

وقد اختلف علماء العربية : هل يوجد ترادف في اللسان العربي؟

فريق : يرون جواز وقوعه في العربية ؛ لكثرة القبائل واللهجات.

وفريق آخر قالوا : لا يوجد في ألفاظ العربية ترادف تام من كل الوجوه ؛ لأن لكل لفظ مدلولاً ؛ وفيه دلالة على صفة لا يدل عليها غيره .. وإنما الترادف مجرد تقارب من وجه لا من كل الوجوه ؛ (وهذا الرأي هو الأظهر والأوجه).

وهل في القرآن الكريم ترادف؟

ذهب الجمهور من المفسرين والعلماء إلى أنه لا ترادف في القرآن الكريم ، حتى ولو قال البعض إن في العربية ترادفاً ؛ لأن القرآن هو قمة العربية وغاية الفصاحة والإعجاز والبيان ، فكل حرف فيه وكل كلمة فيه قد استوت مكانها لا تتبو عن مكانها ولا تنفر من سياقها ، فلا تكرار ولا تطويل فيه ، وليس حرف أو كلمة فيه إلا لها مدلولها الذي لا يقوم به غيرها من الألفاظ أبداً ، لذلك فإن من يفسر الكلمة من القرآن بمرادفها فإنه لم يوضحها بالدقة ؛ ولم يوفها الشرح والبيان ، وهذا يُعتبر قاعدة هامة عند أئمة التفسير .

ومن الأدلة على أنه لا تُرادف للمعاني في القرآن :

١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الحجرات: ١٤ ؛ فقد فرّق القرآن بين الإسلام والإيمان ، وإن دلّت

إحداهما على الأخرى إلا أن في كل منهما دلالة خاصة غير ما في الأخرى ، والقاعدة أن لفظي (الإسلام والإيمان) : إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا أي في المعنى والمدلول ؛ فإذا ذكر أحدهما دلّ على الآخر ؛ وكان داخلا فيه ؛ وإذا دُكر اللفظان مجتمعان في النص كان لكل منهما معناه الذي يخصه ؛ كما في حديث جبريل الصحيح المشهور الذي بيّن فيه مراتب الدين.

٢- قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾ الانفطار: ١ ؛ وقوله: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾

الانشقاق: ١ ، فالانفطار والانشقاق مترادفان ومتقاربان ؛ لكنه ترادف نسبي وليس كلي ، ويظهر أن "الانشقاق" فيه يتباعد الشقان عن بعضهما أكثر من الانفطار ؛ والله تعالى أعلم ^(١).

٣- ما رواه البخاري ومسلم عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي

ﷺ علّمه دعاء النوم ؛ وفيه: (.. آمنتُ بكتابتك الذي أنزلتَ ونبئتُ الذي

أرسلتَ)، فقلتُ: "وبرسولك الذي أرسلتَ"؛ فقال ﷺ: (لا ، ونبئتُ الذي

أرسلتَ) ^(٢) ؛ فهذا هديٌّ منه ﷺ في أهمية تحرّي الدقة في الكلام واختيار

الألفاظ المترادفة لتمايزها.

(١) انظر تفسير ابن كثير ، وصفوة التفاسير للصابوني ؛ وغيرهما ؛ عند هذه الآيات الكريمات.

(٢) رواه البخاري (٢٤٧) كتاب الوضوء ؛ ومسلم (٦٨٨٤) في الذكر والدعاء.

٤- أن العطف بحروف العطف يدل على التغير كما هو معلوم من أساليب العربية ، كقوله تعالى: ﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ فصلت ٥١ ؛ "فالإعراض والنأي" لفظان يدلان على "البعد" ؛ لكن (النأي) يدل على "شدة البعد".

٥- لفظ (الوالد) و(الأب) ؛ أو الوالدان والأبوان ، قد تبدوا متطابقة ومترادفة ، ولكن الحقيقة أن بينهما فرق ، ف(الوالدان) في القرآن يأتي للأب الحقيقي صاحب اللبن ، والأم التي حملت وأرضعت ؛ كقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ البقرة: ٨٣ ، وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ البقرة: ٢٣٣ ، وقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَوْلًا﴾ البلد: ٣ ، بينما يُطلق (الأب) على الوالد وعلى غير الوالد ؛ كالعَمِّ والجَدِّ ، كقوله تعالى: ﴿وَوَرَثَهُ أَبَوَاهُ﴾ النساء: ١١ ؛ لَمْ يَقُلْ (والداه) لأن الأبوان أوسع إذ تشمل الأجداد وهم وارثون عند فقْد الأب القريب الوالد ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَاِزْرَ﴾ الأنعام: ٧٤ ؛ لَمْ يَقُلْ (والده) لأن "أزر" هو عمّه وليس أبوه المباشر الذي وُلِد منه ، وهذا من عَظْمَة القرآن وبلاغته.

٦- لفظ (السَّنَة) و(العام) ؛ فالسَّنَة : تأتي غالباً في الأحوال السيئة والقحط ، والعام : يأتي غالباً مع الأحوال الطيبة والخصب ؛ كقوله تعالى - في قصة يوسف - : ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ ، ومع الخير قال : ﴿عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ﴾ يوسف: ٤٧-٤٩ ، وقوله تعالى عن نوح : ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ العنكبوت: ١٤ ؛ فَلَمْ يكرر لفظ (سَنَة) لأن تكرار اللفظ إملاً يُخالف بلاغة القرآن ، وعند بعض المفسرين : أن (السَّنَة) : وقت دعوتهم وتكذيبهم له قبل الطوفان ، و(عاماً) أي وقت التصديق والإيمان بعد الطوفان ، والمجموع ١٠٠٠ سَنَة ؛ وليس ١٠٥٠ على قولهم ، والله أعلم.

٧- أن تفسير لفظ بلفظ لا يعني التطابق في المبنى والمعنى الدقيق ، بل للتقريب.

٨ - أن أضداد المترادفات لا تتفق ، كالإيمان والتصديق ؛ مترادفان ؛ لكن ضدهما الكفر والتكذيب يتباينان شيئاً ما.

٩ - أن الناظر بفهمٍ وذوقٍ عربيٍّ في المترادفات يدرك الفروق الواضحة بين مدلولاتها ، مما لا يكون معه عفو ولا عبث ولا تكرار في القرآن الكريم ^(١).



تناسق القرآن الكريم لفظاً ومعنى

ولو فرضنا أن في القرآن الكريم "ترادفاً" على معنى التقارب النسبي ؛ من وجهٍ واحدٍ لا من كل الوجوه ؛ فإن ذلك ليس عبثاً ولا رصفاً عفويّاً ؛ وليس مراعاةً للفاصلة على حساب المعنى ، بل كل كلمة في القرآن لها مدلولها وبلاغتها وفي مكانها الذي لا يتسق بدونها ولا يأتي فيه غيرها.

فإن قيل : إن في القرآن كلمات ظاهرها الترادف ؛ (كالحمد والشكر) (والريب والشك) (والحلف والقسم) (والشرعة والمنهاج) (والشح والبخل) (والخوف والخشية) (والتلاوة والقراءة) (نعم وبلا) ..

فالجواب : بما ذكر سابقاً ؛ وهو أن هذا الترادف هو سبيل التقارب النسبي للتوضيح والتأكيد ؛ وليس بينهما تطابق تام في المعنى والدلالة من كل وجه ^(٢).

(فالحمد) يكون على كل حال ، (والشكر) يختص بالثناء على المعروف. والريب أشد من الشك ، والقسم أكد من الحلف ، والشرعة أعم من المنهاج ، والشح أشد درجات البخل ، والخشية أشد درجات الخوف. والتلاوة : فيها التدبر والعمل أكثر من القراءة العابرة ، وبلى أكد من نعم ..

(١) انظر البرهان للزركشي ٧٨/٤.

(٢) انظر: الفروق اللغوية د. محمد الشايع ، والتعبير الفني في القرآن ص ٨٣ د. بكري أمين.

المبحث الثالث

ألفاظ قرآنية واسعة المعنى والإعجاز

وهي كثيرة منها: كان - رأى - ظن - عسى - لعل - قد - إلى - حتى - بلا - لا جرم .. ، وفيما يلي توضيح ذلك :

١ - **كان** : وهي عند النُّحاة تدل على الماضي والانقطاع ^(١) ، لكن الحقيقة أنها مرنة ، فهي أيضاً تدل على الكينونه والدوام ، وكل ذلك ورد في القرآن . (وأما في أسماء الله تعالى وصفاته) : فإن "كان" مسلوبة الدلالة على الزمان ؛ فلا تدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ ، فدلاتها في هذا الباب مقصورة على مجرد الوجود ؛ وهذا هو الحق الذي عليه اعتقاد أهل السنة والجماعة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾ النساء : ١٦ ، ﴿ **وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ النساء : ١٣٤ ؛ أي وإن الله تعالى تواب رحيم سميع بصير بلا بداية ولا نهاية في ذلك - جل وعلا ..

٢ - **رأى** : وسائر تصاريفها ؛ نحو : رأى - يرى - ترى ، لها معنيان :

الأول : المشاهدة ؛ كقوله تعالى : ﴿ **الْمَيْرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ**

السَّمَاءِ ﴾ النحل : ٧٩ .

الثاني : التذكر ، كقوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ**

رَتْفًا فَفَنَقْنَهُمَا ﴾ الأنبياء : ٣٠ ؛ أي : أولم يتذكروا ويعتبر ..

وإذا سُبقت باستفهام فمعناها (أخبرني) ؛ كقوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ**

سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ ﴾ الأنعام : ٤٦ ، وقوله : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالذِّبِّ** ﴾ الماعون : ١ .

(١) ولا تكون للمستقبل إلا إذا سُبقت بأداة شرط ؛ كقوله تعالى : ﴿ **إِنْ كَانَتْ قَوْمِي**

٣- ظن :

أصلها للشكّ والتخمين ، كقوله تعالى : ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٣٠
 وقوله تعالى : ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ الفتح: ١٢ .
 لكنها تُستعمل في الغالب لليقين ، كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَقَّوْا
 رَبَّهُمْ وَأَنَّهم إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة: ٤٦ ، وقوله : ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ القيامة: ٢٨ ؛ أي أيقن .

٤- عسى ولعل وقد :

وهي (من الله تعالى) متحققة الوقوع ، كقوله تعالى : ﴿فَعَسَىٰ أَوْلِيٰكَ أَنْ يَكُونُوا
 مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ التوبة: ١٨ ، ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء: ٧٩
 وقوله : ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ طه: ١٣٠ ؛ أي "سوف" التي تفيد التحقيق الواقع .
 وقوله تعالى : ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ النور: ٦٤ ، أي إنه يعلم ..

أما "قد" (من المخلوق) فإنها للوهم والتخمين ، و "لعل" منه للرجاء والطمع
 كقول الله تعالى عن موسى - عليه السلام - لما قال لأهله : ﴿لَعَلِّي ءَأْتِيكُمْ مِنهَا
 بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَعٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ طه: ١٠

وكقوله - تعالى - عن فرعون : ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ غافر: ٣٦ ؛ فهذا تَمَنٍّ
 منه ، ولم يَنلْه ؛ لأنه مخلوقٌ ضعيف ليس له من أمره شيء .

٥- أو :

وهو حرفٌ عَطْفٍ ؛ وله معانٍ كثيرةٌ واستعارات يطول ذكرها ، أهمها :

- أنها قد تأتي بمعنى الواو ؛ كقوله : ﴿ **يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ ، ﴿ **عُذْرًا أَوْ نَذْرًا** ﴾ .

- في باب الأحكام الشرعية : تفيد " الإباحة " كقوله تعالى : ﴿ **أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ**

بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ النور: ٦١ ، وتفيد " التخيير "

فيما لا يأتى المكلف باختيار أحدها ، كقوله تعالى : ﴿ **فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ**

صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ البقرة: ١٩٦ .

٦- "إلى" و "حتى" :

فأما "إلى" فهو حرفٌ جرٍّ وغاية ، وأما "حتى" فهو حرفٌ عطفٍ وغاية ،

وعلى ذلك فعملهما إما جرٌّ ؛ أو عطفٍ ما قبلهما على ما بعدهما .

والذي يهمنا الغاية والمُعْيَا بهما ، فهل لما بعدهما حُكْم ما قبلهما؟

قال أهل اللغة : إذا كان ما بعدهما من جنس ما قبلهما ومتصل به فإنه

يأخذ حكم ما قبلهما ؛ كقول الله تعالى : ﴿ **وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾

﴿ **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾ المائدة: ٦ .

فتدخل المرافق في الذراع ؛ والكعبين في الرجلين؟

أما قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ البقرة: ١٨٧ ؛ فلا يدخل الليل ؛

لأنه منفصل عن النهار وليس من جنسه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **سَلَّمْهُنَّ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ القدر: ٥ ؛ الفجر منفصل عن

الليل .

وقد تكون "إلى" بمعنى "مع" : كقوله تعالى: ﴿أَمْوَالُهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ النساء: ٢
 وقوله: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ هود: ٥٢ ، كما قد تكون "حتى" بمعنى
 "إلى" ، وهذا أكثرها في القرآن ، لهذا استوتوا في الحكم.

٧- بلى :

تُثبت النفي السابق لها ، وتجب الأسئلة السابقة لها وتثبتها ، وقد يكون
 السؤال السابق لها مقدر ، كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي فَكَذَّبَتْ
 بِهَا﴾ الزمر: ٥٩.

٨- لا جرَم :

تكررت خمس مرات ؛ في سورة : هود ، والنحل ، وغافر ..
 وتركيبها: (لا) و(جرَم)، ومعناها عند أكثر المفسرين "حَقًّا" فقوله تعالى:
 ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمُ النَّارُ﴾ النحل: ٦٢ ؛ أي حَقًّا أن لهم النار.

هذا قليل من كثيرٍ من كلمات وحروف القرآن ؛ والتي يتجلى فيها إعجازه
 وعَجْزُ الجن والإنس أن يأتوا بمثله أو بسورةٍ من مثله . والله أعلم ^(١).

(١) انظر لهذا المبحث: شرح المفصل لابن يعيش ، ورفض المباني في حروف المعاني ؛ للمالقي ،

المبحث الرابع

ترجمة القرآن الكريم

وما في امتناعها من التحدي والإعجاز

ترجمة القرآن الكريم نوعان :

(١) - ترجمة (حرفية نصية) وهي الترجمة إلى لغةٍ أخرى بنفس نظائر الألفاظ والنَّظْم والترتيب .. وهذا النوع مُحَرَّم ؛ بل هو مستحيل وممتنع في حق القرآن ، وفي هذا الامتناع يظهر إعجاز القرآن للإنس والجان ؛ لعجزهم عنه ذلك.

(٢) - ترجمة (معنوية) ، وتسمى "الترجمة التفسيرية" ؛ وهي ترجمة معاني القرآن ونقل تفسيره إلى اللغات الأخرى دون تقيّد بالألفاظ والترتيب والخواص القرآنية .. ؛ وهذا النوع من الترجمة هو الممكن والجائز الوقوع ؛ لأنه في معاني القرآن وليس في ألفاظه ، (وذلك واجب ولازم لنشر الدعوة والقرآن إلى الأقوام والأمم ؛ وهو مما يندب إليه الإسلام لنشر هدي القرآن).

وقد تُرجمتُ كلمات القرآن إلى عشرات اللغات ؛ تُرجمتُ إلى اللاتينية والإنجليزية والفارسية ؛ ولغاتٍ أوروبية كثيرة ولغات شرقية ، وتعود أولى تلك الترجمات إلى ما قبل أربعة قرون من الزمان ^(١) ، أما الآن فقط تطورت واتسعت والحمد لله.

(١) مجلة البحوث العلمية ؛ لهيئة كبار العلماء ٣٢٧/١٠ و ٢٥٧/٣٠ ، وانظر كتاب: القرآن

يتحدى ص ٣٣٩ وما بعدها. لأحمد عز الدين.

وَمِنَ الْعُقَبَاتِ أَمَامَ التَّرْجُمَةِ: عدم وجود تفسير جيد شامل مختصر مُصنَّفٍ مُنقَّى حسب المأثور واعتقاد السلف الصالح ، سواء لكلمات القرآن أو تفسيره وبيان مقاصده ومعانيه ، وإن وجد فمطوّل ومستطرد بما لا يناسب حال الترجمة وأهدافها.

وهنا تنبيهات:

التنبيه الأول: أنها استحالت وامتنعت ترجمة نص القرآن إلى لغة أخرى ؛ ولا يسمى بعد الترجمة قرآناً ، ذلك أنه من المعلوم أن العلماء أجمعوا على أنه يحرم ترجمة نص القرآن ؛ وأن ذلك ممتنع أصلاً وأنه لا يسمى بعد الترجمة قرآناً ؛ بل معانٍ موضحة ، والسبب هو:

١ - أن القرآن فيه إيجاز وإعجاز وإحاطة بالمعاني ؛ مما لا يبلغه كلام آخر.
٢ - أنه لا يوجد في أية لغة ألفاظ تستطيع أن تحمل ما في القرآن من المعاني العربية.

٣ - أن الترجمة النصية لا تقبل ما تقبله كلمات القرآن من الأحرف السبعة والقراءات المختلفة.

٤ - أن في لغة القرآن كلمات واشتقاقات ومصادر لا نظير لها في أي لغة أخرى ، والمترجم يُعبر فقط عن معنى الكلام ، حتى إنه ليعبر عن الكلمة الواحدة من القرآن أحياناً بعبارتين أو ثلاث .. خالية من بهاء القرآن وجماله وكماله^(١) .
فلهذه الأسباب امتنعت واستحالت الترجمة الحرفية النصية للقرآن الكريم.

(١) القرآن يتحدى ، لأحمد عز الدين ص ٣٤٥ ، وانظر : التعبير الفني في القرآن ص ١٤٠

التنبيه الثاني: أن هذه الترجمات لمعاني القرآن لم تَنْقُلْ إعجاز القرآن وبلاغته وجماله إلى الشعوب التي لا تتكلم العربية ولا تعرفها ؛ لأن ذلك من خصائص النص القرآني وكلماته وألفاظه ، ولا يظهر ذلك في تفسيره ولا في ترجمته.!

صحيح أن هذه الترجمات جُهدٌ مشكور وعمل مأجور ؛ ودوره كبيرٌ في توضيح أهداف ومعاني القرآن للعالمين ، لكن فجوة كبيرة لم تُسدّها الترجمة ؛ هي (إظهار إعجاز القرآن وفصاحته).!

وسبحان الله ؛ إذا كان أهل العربية واللسان العربي يحارون أمام إعجاز القرآن وفصاحته ولا يظهر لهم ذلك من أول نظرة ؛ فكيف بغيرهم من الأعاجم ؟!

التنبيه الثالث: مما يوصى به أن لا تكون الترجمة جافة ، بل ينبغي فيها مراعاة الأساليب البيانية الرائعة والسهلة ؛ وأن يُعطى فيها الشرح الوافي عن إعجاز القرآن وروائع البيان ولطائف التفسير .. حتى تكون أعظم نفعاً وأثراً.

التنبيه الرابع: أن التفاسير الموجودة الآن على تنوعها وكثرتها لم تُجَلِّ معاني وحقائق وعلوم القرآن كلها ؛ ولم تُحِطْ بها! ، كيف ؟! والقرآن في غزارة علمه بحرٌ لا ساحل له ؛ ولا يمكن للخلق أن يحيطوا بأسرار القرآن ولا بما فيه من العلم والإعجاز.

إن كل تفسير يُفسّر القرآن من وجهٍ من وجوهه ، إما تفسير أحكامٍ لا يتسع لغيرها ، أو بيانٍ لا يتسع لغيره ، أو إعجاز ونحوه .. ؛ فسبحان من أنزل هذا الكتاب تبياناً لكل شيء.

وإن الواجب على أهل القرآن وطالبي هدايته وبيانه أن يوسّعوا اطلاعهم على كل التفاسير؛ خاصة المأثور منها، مع الحذر من التفاسير التي زاغت عن العقيدة الصحيحة؛ أو انخرطت في الطرق الكلامية؛ أو اعتمت بالبدع والآراء والإسرائيليات المكذوبة.

الفصل التاسع

إعجاز الأسلوب
والتأثير على القلوب
وبعض الأساليب القرآنية المعجزة

علم أساليب القرآن الكريم

لَمَّا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ : أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجَزٌ - لَا مِنْ وَجْهِ بَلٍ مِنْ وَجْهِ عِدَّةٍ - وَأَنَّ هَذَا الْإِعْجَازَ مُوجَّهٌ لِكُلِّ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، وَمُسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ فَإِنَّ إِعْجَازَ (الأسلوب والتأثير على القلوب) هو أعظم أوجه الإعجاز القرآني فكان أجدَر بالدراسة والعناية.

قال أحمد شوقي في مدح النبي ﷺ ومعجزاته^(١) :

جاءَ النَّبِيُّونَ بِالْآيَاتِ فَانصَرَمَتْ	وَجِئْتَنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنصَرَمٍ
آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ الْمَدَى جُدُدٌ	يَزِينُهُنَّ جَلَالَ الْعِتْقِ وَالْقَدَمِ
فَاقَ الْبَدُورَ وَفَاقَ آيَ مَنْ سَبَقُوا	حَدِيثُهُ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ



وقد اعتنى العلماء بهذا الباب ؛ قديماً وحديثاً ، وأشاروا إليه في مصنفاتهم

وكتبهم^(٢) .

(١) ديوان أحمد شوقي ١٩٧/١ ، مع التحفظ على وصف كلام الله تعالى بـ"القدم".

(٢) كالزركشي في البرهان ، والسيوطي في الإتقان ، والزرقاني في المناهل ، و د.ابراهيم السامرائي ؛ في كتابه "من أساليب القرآن" درس فيه "سبعة أصول" مُركِّزاً على النواحي العربية والنحوية ؛ واستقصى فيه مذاهب اللغويين والنحاة وكلام العرب ، كذلك الباحث محمد عضيمة ؛ في كتابه "دراسات لأسلوب القرآن" في ١١ مجلداً ، درس فيه الحروف والضمائر والتصاريف اللغوية والنحوية في القرآن ، وهناك دراسات أخرى لكنها ليست لغرض الاستقصاء والسرد والدراسة الفقهية والاعجازية ؛ بقدر ما هي مهمة بالجوانب النحوية.

**والأسلوب : مُفْرَدٌ ؛ وَجَمْعُهُ أساليب ؛ وهو الطريقة والفنّ والمنهج ،
وأسلوب الكلام : طريقة عَرَضَهُ واختيار ألفاظه البليغة الشاملة^(١) .**

وأسلوب القرآن : هو طريقته ومنهجه في مخاطبة المكلفين ؛ وفي التشريع والتحليل والتحريم وعَرْضُ القصص والأحكام ؛ بألفاظٍ ومَعَانٍ هي أعظم ما تكون بهاءً وجمالاً ووضوحاً وإتقاناً.

فأسلوب القرآن أسلوب عظيم ؛ تَمَيَّزَ وانفَرَدَ ببلاغة اللفظ والسبني ووضوح الدلالة والمعنى.

ولا شك أن هذا "إعجازٌ معنوي" عظيم ؛ يؤثر في النفوس ، ويأخذ بزمام القلوب ، وتَسَعَدُ به الأرواح ؛ فتستجيب لندائه ، وتَنصاع له مُجِبَّةً مُنْقَادَةً مُسْرِعَةً^(٢) .

ولأسلوب القرآن (تأثيرٌ حِسِّيٌّ ومعنويٌّ) يبعث في النفوس سعادةً وسروراً وإيماناً ، ويستميل الآذان والأفئدة ، ولا يملّ منه قارئٌ ولا سامعٌ ! ، وله أيضاً بالغ التأثير والوقع على النفوس ؛ مؤمنها وكافرها ؛ إنسيها وجنّيها .. ولعباراته سلطانٌ قويٌّ عند سماعها قبل تفهّم معانيها ومقاصدها .. فكيف لو تدبّرناها؟!
أما نرى كيف أثر في قبائل العرب وعُتاتها ؟ وكيف قاد الكثيرين إلى الإسلام بلُغته وأسلوبه ؟!

بل كيف يؤثر على شياطين الجن فيُحرقها ويُرعبها ويُخرجها ؟! وكيف يطمس بآثاره وأنواره معالم السّحر والعين والشرك ؟!
إن ذلك إعجازٌ عظيم ..!

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٣ ؛ والمصباح المنير للفيومي ص ٢٣٤ ، والمعجم الوسيط ؛ باب الهمزة ، وانظر: المعجم في الأساليب الإسلامية والعربية ؛ لمحمد جمران ؛ ص ٩ وما بعدها.
(٢) تقييدات في إعجاز القرآن ص ٣٩ د . محمد الشظيفي ، بتصرف.

قال الإمام الزركشي - رحمه الله :-

"وعلم أساليب القرآن علمٌ عظيم ، قليلٌ طلابه ، ضعيفٌ أصحابه ، وهو أرقُّ من الشعر ، وأعجب من السحر ، وكيف لا يكون كذلك وهو الكاشف لأسرار القرآن العظيم ؛ المُظهر لإعجازه " (١).

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا نَقَّشَ مِنْهُ جُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكِ هَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ الزمر: ٢٣

وحكا عن الجن - لما سمعوا القرآن - قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَىٰ

الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجن: ٢.

السَّرُّ العَجِيبُ في جَمَالِ الأَسْلُوبِ القُرْآنِيِّ

إن ذلك لأمرين :

الأول: عظيم لغة القرآن وبلاغته وفصاحته ؛ حيث يُصَوِّرُ المعاني ؛ ثم يَجْمَعُها في لفظٍ وجيزٍ مُمتِعٍ تَسْتَلِدُّه الآذان والقلوب.

الثاني: ما للقرآن من عظيم الأسلوب والتأثير على القلوب.

فعظيم الأسلوب وألده .. ذلك ميزة القرآن ..

حيث بدأ تنزيله بالمكي ثم المدني.

فكان (المكي) يُداعِبُ القلوب ويُرقِّقها ؛ بِقِصَرِ آياته ووقوعها وتركيزها

على الوعظ والتوحيد والبرهنة للإيمان والوحدانية ..

حتى إذا جاء (المدني) الطويل المقاطع والآيات ؛ والمركّز على الأحكام

والتشريع .. إذ القلوب قد لانت وتهيات بالتوحيد ؛ فأسلوب القرآن أسلوبٌ

مُقْتَبِعٌ ، لا يُفُوقُ فَهْمَ العامة ولا يَقْصُرُ عن مطالب الخاصة.

وما أروع ما قيل :

يزيدُ على مرّ الجديدينِ جِدَّةً	وألفاظُهُ مهما تَلَوْتَ عَذَابُ
فيه الدواءُ من كلِّ داءٍ فثِقُ بِهِ	وفيه علومٌ جَمَّةٌ وثوابُ
وفيه هُدًى للعالمينَ ورحمةٌ	فواللهِ ما عَنْهُ ينوبُ كتابُ



تَنَوُّعُ أُسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَعْرَاضِهَا

إن أسلوب القرآن متعدد ومُتَنَوِّعٌ ..؛ فتارةً بالأمر ، وتارةً بالخبر ، وتارةً بالنهي ، وتارةً بالجدل ، وتارةً بالسؤال والجواب ، وتارةً بالترغيب والترهيب ، وتارةً بترتيب الوعد والوعيد ، أو الوصف الجميل أو القبيح ؛ حسب السياق .. فما أجمله من أسلوبٍ في هداية النفوس وصلاح القلوب ؛ وسواء كان في آياتٍ (وَعَظْمٍ) أو (عَقِيدَةٍ) أو (قِصَصٍ) أو (تَشْرِيعٍ).. فهو :

يختار أحسن فكرة في أجمل وأقصر عبارة ؛ ويتدرج في التشريع ؛ ويُقنِع بالبراهين .. ، كل ذلك ما بين تصريحٍ وتلميح ، وإيجازٍ وإطناب ، وتدليلٍ وتمثيلٍ وتعليلٍ ..

ثم إنَّ من عظيم أسلوب القرآن أنه (يَسْتَغِلُّ الْغَرَائِزَ) فيُهدِّبها أولاً ، ثم يُقَوِّم الإنسان بها إلى الخير .. كغريزة التملك ، وغريزة الحُب ، وغريزة البقاء ..

وجميع ما سَبَق في غاية الوسطية واليسر ، والموازنة بين الدنيا والآخرة ،

وَصَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ: ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨ .

ولهذا كان من أعظم صفات القرآن أنه لا يحصل به كَلَلٌ ولا مَلَلٌ مهما قُرئ وكُرِّر ؛ كما روي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنه قال: "لو طُهِرَتْ قلوبُنَا ما شَبَعَتْ مِن كَلامِ رَبِّنا ، وإنِّي لأُكْرَهُ أَنْ يَمُرَّ عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَنْظُرُ إِلَى المِصْحَفِ" (١) .

(١) رواه أحمد في الزهد ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٨٢ .

أمثلة

من أساليب القرآن الإعجازية والبلاغية والتي معرفتها تساعد على فهم القرآن وتدبره

إن هذه الأساليب القرآنية الجليلة الكثيرة ؛ قد تجلّت فيها عظمة القرآن
وجماله وبلاغته وإعجازه ..

وإن التفقه فيها والاطلاع عليها من أعظم ما يُعين على فهمه وتدبره ؛
لأنها تُخدم المعاني ، وتساعد على الفهم والتدبر ، وتُخاطب الوجدان
والضمائر.. فتأخذ بالقلوب ، وتُجَلّي مقاصد القرآن للقارئ والمستمع
فيتدبر ، فيتعظ ، فيستقيم عملاً وسلوكاً وعقيدة ، ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا
لِيَذَّبَرُواْ عَنِ بَرِيئَتِهِ وَيَتَذَكَّرُواْ أَلَّا يُكَلِّبُواْ ﴾ ص: ٢٩ .

ومن تلك الأساليب العظيمة ما يلي :

(١) - (التوكيد) :

أي توكيد الكلام والمعاني بأدوات التوكيد أو بالجمع أو بالتعظيم أو بال تكرار
أو بالقسم ؛ فيؤكد الخطاب بالقسم عليه ..

كقوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ ، تضمنت أكثر من
أحد عشر مؤكدا ؛ كإِنَّ ، والجمع ، والمبالغة ، والتكرار ، ولام التوكيد
وصيغة التعظيم.

وكقوله تعالى : ﴿ فَمَعْنَهُمْ جَمَاعًا ﴾ ﴿ دَكَدَكَ ﴾ ﴿ صَفَا صَفًا ﴾ ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ ﴾

الْحَنَاجِرَ ﴿ الأحزاب: ١٠ ؛ أي كادت أن تبلغ ، للهول .

وَمِنَ الْمُؤَكَّدَاتِ فِي الْقُرْآنِ : ذَكَرَ أُمُورَ الْغَيْبِ وَالْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ بِصِيغَةِ

(الماضي) لتأكيد وقوعها ؛ كقوله : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾

الزمر: ٧١ ؛ أي سُسِيقُونَ ..

وقوله : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾ ؛ أي سَتُخْرَجُ

أثْقَالَهَا ، ولكن عَبَّرَ ب(الماضي) لشدة التأكيد على الوقوع وتحقيق قيام القيامة ..

(٢) - وَمِنَ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ : (التكرار) :

تكرار الأخبار والقصص والآيات ، فقوله : ﴿ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكَ مَا تُكذِّبَانِ ﴾ ،

تكررت في سورة الرحمن قرابة ثلاث وثلاثين مرة ، وقصص الأنبياء كقصة

نوح وقصة موسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام .. تكررت مرات كثيرة في

القرآن ؛ لأن الإعادة إفادة ، ولأنه يَذْكَرُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ مَا لَا يَذْكَرُ فِي الْأُولَى ،

ويأتي في المرة الثالثة بَسْطًا وَشَرْحًا ؛ أو اختصار وإيجاز لجوانب أخرى فيها .. ،

ولهذا سُمِيَ الْقُرْآنُ (بالمثنائي) لأنه يُثْنِي وَيَكْرُرُ الْأَخْبَارَ وَالْقِصَصَ لزيادة

البيان والتوضيح.

وَمِنَ أَعْظَمِ مَا أَهْتَمَّ الْقُرْآنُ بِتَكَرُّرِهِ : "القضايا الكبرى" ، فإن القرآن - من

عنايته بها والتأكيد عليها - كررها عشرات المرات ؛ وبكُلِّ الْأَسَالِيبِ .. ، كقضية

(التوحيد) ، وقضية (الإيمان) ، وقضية (التحذير من الشرك) وقضية (الولاء

والبراء) ، وقضية (الحقوق العامة والخاصة) ، وقضية (بر الوالدين) ، وقضية

(اليتامى) ، وقضية (الجهاد والدعوة) ، وغيرها من القضايا والواجبات الكبرى ..

(٣) - ومن أساليب القرآن : (التلميح) :

أي التلميح دون التصريح في بعض المواطن ؛ لحاجة أو غرضٍ مقصود .. ؛ كقوله تعالى - حكايةً عن الجن - : ﴿ أَشْرُ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الجن: ١٠ فلم يقولوا : أشراً أراد الله ، بل قالوا : أريد ؛ تأديباً مع الله تعالى .

وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء: ٨٠ ، فيها تلميح أن منزل المرض هو الله تعالى ، لكن لم يُصرح بذلك تأديباً مع الله تعالى .

و(التأديب) من أساليب القرآن أيضاً - كما سيأتي - ولا غرابة أن يُجمع الأسلوبان في كلمةٍ واحدةٍ من كلمات هذا القرآن العظيم المعجز .

(٤) - ومن أساليبه : (التغليب) :

وهو تغليب الخطاب بذكر شيءٍ على شيءٍ مع استوائهما ، لكن غلب أحدهما لكثرتة أو شهرته أو فضله ..

كقوله عن مريم : ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ ﴾ ؛ ولم يقل القانتات ، وقوله عن امرأة العزيز : ﴿ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ ؛ ولم يقل الخاطئات ؛ وهذا من باب تغليب المذكر على المؤنث تكثيراً ، أي جنس القانتين ؛ والخطائين .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ يَحَرَّةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ النور: ٣٧ .

فالنساء داخلات في عموم هذه الآية ، وإنما ذكر الرجال تغليبا لا تخصيصا .

(٥) - ومن أساليبه : (التعليل) :

أي تعليل الأحكام ؛ وتفسير الأسباب ..

فذلك أبلغ في الإقناع والتوضيح وبيان حكمة التشريع ..

كقول الله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ **تعليلاً**

لقوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ العنكبوت: ٤٥ .

وقوله تعالى : ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ ؛ **تعليلاً لمشروعية الزكاة** في قوله

تعالى : ﴿حُدِّمِنَ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ التوبة: ١٠٣ .

وقوله : ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ **تعليلاً** لقوله : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ التوبة ١٠٣ .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ؛ **تعليلاً** لقوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ البقرة ١٨٣ .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ **تعليلاً** لقوله ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾

يوسف ٥٣ .

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُ مَا

بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الأنفال: ٥٣ ؛ **تعليلاً وتفسيرا** لإهلاك أو تعذيب الأمم الظالمة والشعوب

العاصية .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ **تعليلاً** لقوله : ﴿يَأْتِيهَا

النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ﴾ الحج: ١

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ **تعليلاً** لقوله : ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ

وَأَصْلَحْنَا لَهُ، وَزَوْجَهُ﴾ الأنبياء: ٩٠

وقوله تعالى: ﴿لِبَلْوَاكُمْ أَلْتَأْتُوا أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ **تعليلاً** لقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ

وَالْحَيَاةَ﴾ الملك: ٢

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا..﴾ **تعليلاً** لقوله: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا

﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا..﴾ ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً في القرآن الكريم (١) .

(٦) - ومن أساليب القرآن: (التصوير):

ويسمى "التصوير الفني"؛ أي تصوير المعاني لتصير كالمحسوس ، فيصورها

كشيء محسوس ؛ توضيحاً وتثبيتاً لها ، كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ

أَتَّخَذَتْ بَيْتًا وَيَنْزِلُ مِنْهَا شَرَابًا وَإِنِّ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ **﴿٤١﴾** العنكبوت: ٤١

وقوله في تصوير أحوال القيامة: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) **﴿١﴾** وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢)

وَأِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) **﴿٢﴾** وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) **﴿٣﴾** وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ..

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ

كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ ...﴾ الحج: ٢

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَمَادًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرٌّ السَّحَابِ﴾ النمل: ٨٨ .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ (٤) **﴿٤﴾** وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ **﴿٥﴾** القارعة: ٥

فهذا كله تشبيه تصويري توضيحي عجيب (٢) .

(١) وانظر البرهان للزركشي ٩١/٣ .

(٢) وانظر كتاب "التصوير الفني في القرآن الكريم" فقد أجاد وأفاد في هذا الباب .

(٧) - ومن أساليبه : (التشبيه) :

أي تشبيه شيء بشيء ، توضيحاً للمقصود ، وإثارة للعاطفة وإظهاراً للمعاني ..

كالتشبيه بالجمال والعنكبوت والكلب والفرّاش ؛ وغيرها ..
فهو أسلوب بلاغي توضيحي مشوّق عظيم.

ومن التشبيهات في القرآن : تشبيه أمواج الطوفان بالجمال ، قال الله تعالى :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ هود: ٤٢ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَثَلَّهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ

تَتَرَّكَّهُ يَلْهَثْ ﴾ الأعراف: ١٧٦ .

وأمثال ذلك في القرآن كثير ..

ونلاحظ استمداد عناصر التشبيه من الأرض ونباتها ودوابها ؛ توضيحاً

وتقريباً للناس بما يعرفون ويألفون.



(٨) - ومن أساليبه : (التمثيل) :

فالتمثيل وضربُ الأمثال أسلوبٌ بلاغيٌّ تربويٌّ أدبيٌّ عظيمٌ من أساليب القرآن ، يجذب القلوب ، ويُقرب المعاني والمقاصد ..

والأمثال في القرآن أنواع :

١ - فمنها (الصریح) : الذي يُصرِّح فيه بلفظ المَثَل ؛ كقوله تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ البقرة: ١٧ ، وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ

يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ

مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ البقرة: ٢٦١ ، وقوله تعالى عن الحياة الدنيا : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾ الحديد: ٢٠ ، وقوله :

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾

الكهف ٣٢ ، وقوله عن الذين لا يعملون بالعلم : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ

يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ الجمعة: ٥ .

٢ - ومنها (الخفي الكامن) أي لم يُصرِّح فيه بلفظ المَثَل ؛ بل ضمَّته

المعنى فقط ؛ كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي

يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ البقرة: ٢٧٥ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩ ؛ فمَثَل (البخيل) بمن غلَّت يدع في عنقه ، ومَثَل

(المسرف) بمن بسط يده بسطًا ..

٣ - ومنها (المُرْسَل) أي الجاري مجرى المثل العام ؛ كقوله تعالى :

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٦ ، وقوله : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ

السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ فاطر: ٤٣ .

٤ - ومنها (المثل القصصي) أي على هيئة قصة ؛ كقوله : ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ

مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ الكهف: ٣٢

وقوله تعالى : ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتٌ الْأَرْضِ .. ﴾ الكهف: ٤٥ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ .. ﴾ يس: ١٣^(١) .



(٩) - ومن أساليبه : (القصص) :

فهي أسلوبٌ تربويٌ تعليمي بلاغي لا يعلوه أسلوب ، يأخذ بالقلوب وتحميه النفوس ، ويدفع الملل ، ويختصر المعاني والعبر ؛ كقصص الأنبياء وقصص بعض الصالحين ، وقصص بعض المفسدين .. وغيرها مما جاء في القرآن الكريم .

وقصص القرآن : لَوْنٌ أدبي رفيع مؤثر في النفوس ؛ فيه دوافع الثبات ، وفيه العظة والعبرة ، وفيه فوائد تربوية عظيمة ؛ لأنه قصصٌ صدقٌ وحقٌ ، ووقائع وقعت فعلا^(٢) .

(١) انظر : كتاب " ضرب الأمثال في القرآن " ؛ لعبد المجيد البيانوني ، وكتاب " ظاهرة الأمثال في

القرآن والسنة " ؛ لمصطفى الصياصنة ، وعلوم القرآن للقطان .

(٢) وقد مضى الكلام عن قصص القرآن بعرضٍ مُوسَّعٍ في الفصل السابق .

(١٠) - ومن أساليبه : (القسم) :

وهو الحلف واليمين لتأكيد الأخبار ؛ وقد أقسم الله تعالى بكثيرٍ من المخلوقات ، وأقسم بنفسه سبحانه ، وأقسم بالمشارك والمغرب والليل والنهار والشمس والقمر .. ، سيراً على أساليب العرب ؛ إذ كانوا يُقسمون للتأكيد والطمأنة والإثبات ، والله تعالى يُقسم بما شاء من مخلوقاته ؛ أما المخلوق فلا يجوز له أن يُقسم بغير الله تعالى ^(١) .

قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٣﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ . . ﴾ .

والأقسام في القرآن الكريم كثيرة ..

ومن عجائب القسم القرآني :

أن الله - تعالى - يُقسم بما يناسب الكلام والمقام ، كما في سورة الضحى ؛ أقسم (بالضحى) و(الليل) ؛ لأن الضحى وقت حركة ونشاط ، والليل وقت نوم وسكون ، لتكون إشارة لأحوال الوحي بين التواصل والانقطاع ، وأن الله لم يودّع رسوله وما قلاه !.

(١) البرهان للزركشي ٤١/٣ ، وانظر: أقسام القرآن ؛ لابن القيم ، والتلخيص المفيد في علوم

القرآن وأحكام التلاوة والتجويد ؛ للباحث ص ١٠٤ .

(١١) - ومن أساليبه : (النداء) :

فالنداء أسلوبٌ قرآنيٌ يُفيد الانتباه والتركيز ؛ يسبق الأوامر المهمة ذات الشأن ، والنداءات أنواعٌ ؛ منها :

١- نداءات عامة ؛ مثل :

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ : للمؤمن والكافر وفي مقام التريية والتوحيد.

- ﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ﴾ : وهو عامٌ لكلِّ أحدٍ من الإنس.

- ﴿يَعْبَادِي﴾ : نداء شاملٌ للإنس والجن.

٢- نداءات خاصة :

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، خاص للمؤمنين في مقام التشريع ، لأنهم قد تهيؤوا بالإيمان.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، خاص بالكفار دون المؤمنين.

- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ ، خاص لليهود والنصارى دون غيرهم ^(١).

(١) وللشيخ أبي بكر الجزائري كتاب مفيد نافع ؛ أسماه : "نداءات الرحمن لأهل الإيمان"

جَمَع فِيهِ نَدَاءَاتِ الْقُرْآنِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ؛ وَأَنْوَاعِهَا وَمَعَانِيهَا وَشَرْحِهَا.

(١٢) - ومن أساليبه : (العتاب) :

فقد عاتب الله الكفار ، وعاتب المؤمنين ، وعاتب النبي ﷺ .

فأما عتابه الكفار : كقوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَانْعَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ التحريم: ٧

وأما عتابه المؤمنين : فكقوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا

تَقْعَلُونَ ﴾ الصف: ٢

وأما عتابه النبي ﷺ : فكقول الله تعالى له : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ

حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴾ التوبة: ٤٣ ، أي للمنافقين في القعود عن الخروج للقتال.

وكقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبٰغَىٰ مَرْضَاتٍ أَرْوٰجِكَ ﴾ التحريم: ١ ،

وقوله تعالى في سورة عبس : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ .

ومن فوائد عتاب الله لنبيه محمد ﷺ :

- أن الخطاب له ولأمته.

- أن فيه بيانا للأحكام بأسلوب لطيف.

- أن فيه بيان أن القرآن من عند الله تعالى ؛ يُعَاتِبُ فِيهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ

فليس القرآن من عند الرسول ؛ وليس هو مفترى كما يقول الكفار ، ولو

كان القرآن من عند الرسول لما عَاتَبَ نَفْسَهُ فِيهِ ، وفي هذا ردُّ على الكافرين

المُفْتَرِينَ ^(١) .

(١٣) - ومن أساليبه: (الإضافة)؛

أي إضافة شيء لشيء ، إما (للتعظيم) ، وإما (للتوبيخ والاستهزاء).

ومن ذلك الإضافة في قوله تعالى: ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٣١ ، ﴿كِتَابَ

اللَّهِ﴾ البقرة ١٠١ ، ﴿رَسُولِ اللَّهِ﴾ النساء ١٧١ ، ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ الإنسان ٦.

فإن إضافة الآيات والكتاب والرسول والعباد .. إليه سبحانه ؛ إضافة تفيد

التعظيم والتكريم والتشريف.

ومن ذلك : الإضافة في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ الأعراف ٧٣ ، وهود ٦٤ ،

والشمس ١٣ ، إضافة الناقة إليه سبحانه فيه تعظيمٌ لشأنها ؛ والتحذير من مغبة

الاعتداء عليها.

أما في قوله تعالى: ﴿شُرَكَاءِكَ﴾ النحل ٢٧ ، وفصلت ٤٧ ، تفيد السخرية ،

فأضاف (الشُّركاء) لنفسه سبحانه - على حكاياتهم - سخريةً واستهزاءً بهم يوم

القيامة^(١).

(١) الإتيان للسيوطي ١/٣٧٩ وما بعدها.

(١٤) - ومن أساليب: (الاستفهام):

السؤال والجواب أسلوبٌ تعليمي عظيم.

والسؤال مفتاح العلم والنقاش والجدال.

وفي القرآن يستفهم ويسأل ويحجب ؛ لأغراضٍ وأهدافٍ جليلةٍ ؛ حسب

السياق .. ؛ ومن تلك الأغراض :

١- الاستفهام للتفخيم ، كقوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾

٢- الاستفهام للإنكار ، كقوله تعالى - مُنْكَرًا - :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ البقرة: ٢٨

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ البقرة: ٤٤

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ البقرة: ١١٤

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ البقرة: ١٤٠

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ الأنعام: ٢١

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ الكهف: ٥٧

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ السجدة: ٢٢

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾ التوبة: ١٩

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ الرعد: ٤١

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ النحل: ٤٨

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ الإسراء: ٩٩

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ العنكبوت: ١٩

- ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخَظَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ العنكبوت: ٦٧
- ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾ يس: ٧١
- ﴿ أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ الزمر: ٥٢
- ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يوسف ١٠٩
- ﴿ أَفَلَمْ نَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ الحج: ٤٦
- ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ مريم: ٧٨
- ﴿ أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ ﴾ النمل: ٦٠
- ﴿ أَفَأَصْفَكَمُ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ﴾ الإسراء: ٤٠
- ﴿ أَمِ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ ص: ٩
- ﴿ أَمِ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴾ الطور: ٣٧
- ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ الطور: ٤١

٣- الاستفهام للتعظيم والتهويل ، كقوله تعالى :

- ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ .
- ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ .
- ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ .
- ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ ؛ فيجيب : ﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ﴾ ..
- وجعلها نكرة لشدة الهول.

نسأل الله برحمته أن يجيرنا من النار ؛ إنه هو الرحيم الغفار.

٤- الاستفهام للتَّهْكُم والتَّوْبِيخ ، كقوله تعالى :

- ﴿ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ الأعراف: ٤٩
- ﴿ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ إبراهيم: ٤٤
- ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾ الزمر ٧١
- ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ غافر: ١٦
- ﴿ مَا لَكُم لَأَنصُرُونِ ﴾ الصافات: ٢٥
- ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ الملك: ٨
- ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ المدثر: ٤٢

٥- استفهام للمبالغة في الطلب والوجوب ، أو النهي والتَّرك ؛ كقوله تعالى :

- ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْمِنُونَ ﴾ المائدة: ٩١
- ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٨
- ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ ﴾ القمر: ٢٢ ، أي انتهوا ، أسلموا ، اذكروا واعتبروا ^(١) .
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ البقرة: ٢٤٣
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِزْرَهُمْ فِي رَبِّهِمْ ﴾ البقرة: ٢٥٨
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ آل عمران: ٢٣
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ إبراهيم: ٢٨
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ ﴾ الحج: ٦٥
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ الفرقان: ٤٥

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ الفجر: ٦

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ الفيل: ١

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ الحديد: ١٦

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ الشرح: ١

﴿ أَلَيْسَ لَكُمْ أَهْلَكَامِن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ ﴾ الأنعام: ٦

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ﴾ النحل: ٧٩

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ الرعد: ١٦

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَوْنُجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ الصف: ١٠

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ بْنِ أَبِي هَيْمٍ الْمَكْرَمِيِّ ﴾ الذاريات: ٢٤

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ النازعات: ١٥

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ البروج: ١٧

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ الغاشية: ١



(١٥) - ومن أساليب القرآن: (الاحتراز):

فلاحتراز والاحتراز أسلوبٌ حكيمٌ من أساليب القرآن ، وهو: التحفظ من احتمالاتٍ بعيدةٍ يحتملها الكلام ؛ تُوهِمُ بغير المقصود أو بما لا يليق..

بقوله تعالى عن يد موسى: ﴿تَخْرُجُ بَيَّضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ طه: ٢٢ ؛ فاحترز بقوله (مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ) من احتمال أن يكون البياض من البهق أو البرص.

وقوله عن المؤمنين: ﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٥٤ ، ففي قوله: (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) احتراز واحتراز من وصف المؤمنين بالضعف.

وقوله عن المؤمنين: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩

في قوله: (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) احتراز من وصف المؤمنين بالغلظة.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُعْزِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ التوبة: ٢٨

في قوله (إِنْ شَاءَ) احترازٌ من القطع بالإغناء ؛ حتى لا يتكلم الناس ، وحتى يأخذوا بالأسباب في طلب الرزق.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ؛ فإنه استثناء احترازي عن

تعميم العقوبة على التائبين المصلحين ..

- ففي سورة (المائدة) الآية (٤ - ٥) بين عقوبة المحارب : القتل أو

الصَّلب أو تقطيع الأطراف .. ثم استثنى التائبين.

- وفي سورة (النور) الآية (٣٣ - ٣٤) بين عقوبة القاذف : الجلد وردّ

الشهادة .. ثم استثنى التائبين.

- ومن الاحترازات العظيمة في القرآن : الاحتراز من الجمع في مقام التوحيد وعند ذكر شهادة أن لا إله إلا الله ؛ لأن الجمع في هذا الموطن قد يوهم بالشرك والشريك ؛ كقوله تعالى : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه: ١٤

ولم يجمع الضمير كما جمعه في قوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس: ١٢
وسياقي بيان ذلك في أسلوب الجمع والإفراد.

(١٦) - ومن أساليبه : (التذكير والتأنيث) :

فقد يُذكر المؤنث والعكس ؛ حسب سياق الآيات ..، كقوله تعالى :

﴿بَلَدَةٌ مَيَّتًا﴾ الفرقان ٤٩.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ؛ ولم يقل : قريبة.

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ البقرة: ٢٧٥.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ هود: ٦٧.

وفي هذا الأسلوب مزيدٌ من البلاغة ، وسهولة اللفظ ، وتخفيف النطق ، وإظهار المعاني^(١).

(١٧) - ومن أساليب القرآن : (الجدل) :

الجدل : هو المخاصمة والمغالبة وتبادل الحجج بين طرفين ^(١).

فإن كان هدف كلٍ منهما الحق سُمي : "مناظرة".

وإذا كان بأدبٍ وأسلوبٍ رفيعٍ سُمي : "مُحاورَة" ، وهذا هو الوارد في

قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ

تَحَاوُرِكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: ١.

وقال - تعالى - عن جدال الكفار بالباطل : ﴿ وَقَالُوا أَلَيْهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا

ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ الزخرف: ٥٨ .

والجدل جدلان :

- جدل مذموم : إذا كان بغير علم ، أو لمناصرة الباطل.

- جدل محمود : وهو الذي بعلمٍ ونيةٍ خالصة ، وبطريقة مؤدبة ولنصرة الحق.

ولا شك أن جدل القرآن من النوع المحمود ؛ لأنه ينصُر الحق ويرشد إلى

الصواب ، وإبطال الباطل بأرقى أساليب الجدل ^(٢).

أغراض الجدل في القرآن :

وللجدل في القرآن مواضع وأغراض ، منها إثبات وحدانية الله وألوهيته

وإثبات وجوده سبحانه ، وإثبات صدق الرسل ، وإبطال دعوى اليهود

والنصارى والمشركين ..

وإلى التوضيح :

(١) انظر: القاموس المحيط ص ١٢٦١ ط مؤسسة الرسالة ، والتعريفات للجرجاني ص ٧٤ .

(٢) انظر: مناهج الجدل في القرآن د. زاهر الألمي.

(١) - مجادلة المتكبرين والمنكرين لوجود الله ووحدانيته :

القرآن لا يجادل في وحدانية الله تعالى ؛ لأن الكون والفطر السليمة تشهد بذلك ، فإذا ما انتكست فطر الضالين المتكبرين أتى القرآنُ يجادلهم ويدحر ضلالهم ..

- كمجادلة فرعون لموسى - عليه السلام - : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ الشعراء .

- وكمجادلة أعتى الجبابرة "النمرود" لإبراهيم - عليه السلام - الذي قال الله عنه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ البقرة: ٢٥٨ ، وكانت الغلبة فيه لإبراهيم - عليه السلام - ؛ لأنه على الحق ، فالحق أبلج .

(٢) - مجادلة الأقسام الكافرين لرسول الله إليهم :

- كمجادلة قوم نوح له : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِئْنَا مَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ هود: ٣٢ .

- وكدجال قوم عاد وثمود وقوم لوط لرسولهم ، وجدال إبراهيم مع أبيه وقومه : ﴿ قَالُوا اجْتِنَّا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿ سورة الأنبياء .

(٣) - مجادلة اليهود والنصارى :

ومنه جدلهم لموسى عليه السلام ، ولكفرهم بمحمد ﷺ ، ودعواهم في غزير ؛ وفي عيسى عليه السلام .. ، ولذلك نهانا الله تعالى عن الجدل معهم ؛ إلا الظالمين منهم فيجادلون حتى يظهر الحق .. ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٦ (١) .

(٤) - مجادلة المنكرين للبعث ؛ من مشركي العرب وغيرهم :

فقد جادلوا النبي ﷺ ؛ ولا بد من جدالهم لدحض باطلهم ..
 كما قال الله عنهم : ﴿ وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴾ القصص: ٥٧ .
 وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ التغابن: ٧ .

(١) وهناك الكثير والكثير في الساحة ؛ وعلى شبكة النت ؛ من مشاهد الجدل والمناظرات بالحق ؛ مع أهل الكتاب والمشركين ؛ ومناقشة أباطيلهم وأكاذيبهم في كتبهم المحرّفة.

جدالات ذكرها القرآن للاعتبار:

وهي كثيرة ؛ منها:

- ١- جدال المنافقين للمؤمنين في الإيمان والحق ، كما في كثيرٍ من الآيات في سورة البقرة ، وسورة التوبة.
- ٢- جدال أهل الكتاب في إبراهيم - عليه السلام - وقولهم زوراً: هو ليس مسلماً ، كما في سورة آل عمران.
- ٣- جدال ابني آدم - قابيل وهاييل - حتى قتل أحدهما الآخر ؛ كما في سورة المائدة.
- ٤- جدال إبراهيم - عليه السلام - للملائكة في قوم لوط ، كما قال الله عنه - في سورة هود - ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾
- ٥- جدال موسى للخضر - عليهما السلام - لما ذهب إليه لأخذ العلم عنه ؛ كما في سورة الكهف.
- ٦- جدال غني كافر وفقيرٍ صابر ، وهما أخوانٍ من بني إسرائيل وقصتهما في سورة الكهف : ﴿ وَأَضْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ .. ﴾ الكهف: ٣٢
- ٧- جدال مؤمن آل فرعون وقومه ، وكان يجادلهم بلطفٍ وحذرٍ وإخلاصٍ وجُرأةٍ ومهارة ، حتى قال: (بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) ولم يقل (كُلِّ) ؛ بل قال: (بعض) مراعاةً للملاطفة ومهارة الحوار ؛ وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ غافر: ٢٨

٨- جدال (خولة) في زوجها (أوس) ، وقد نزل الوحي على النبي ﷺ

حل هذا الجدال ؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المجادلة: ١.

خصائص الجدال في القرآن :

١- يهدف جدل القرآن للحق ذاته ؛ ويبرهن له بالحُجج الواضحة المعروفة

في الكون والنفس ؛ بعيداً عن التعصب للذات ، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ سبأ: ٢٤.

٢- استخدام أساليب تعالج أوضاع الخصوم وما يناسب حالهم ؛ مما يخفف ضراوة الكبر عندهم ، فالجدال في القرآن وسيلةٌ وليس غايةً.

٣- السهولة والبعد عن التعقيدات وعن الأساليب المركبة في الجدال ، كما هو الحال في المنطق اليوناني وتعقيداته وتكوينه من مقدمات ونتائج .. ، فالقرآن ليس كذلك ؛ بل هو واضح مُعجِز من أقصر طريق ؛ مما يوجب له الإذعان.

٤- تلوين الخطاب ، وإرداف الترغيب بالترهيب ، والوعد والوعيد ، فيستفيد منه ويقنع به كل مخلوق مكلف ، ولأنه يؤثر على العقل والوجدان معاً.

٥- أن جدل القرآن بعلمٍ وعن علم ، ويعتمد على الإنصاف والواقعية ، وكما قيل: (إن كنت ناقلًا فالصحة ؛ أو مدعيًا فالدليل).

٦- أنه جدلٌ بالتي هي أحسن ، ولا يلجأ إلى القسوة إلا إذا كان الخصم كذلك ، وفي حدود الأدب الرفيع من غير طعنٍ ولا تجريح^(١).

(١) البرهان ٢/٢٥، والإتقان ٢/٢٦٣، وانظر مناهج الجدال في القرآن. د. زاهر الألمعي.

(١٨) - ومن أساليبه : (التقديم والتأخير) :

وهو من أبرز أساليب القرآن ؛ لأنه من أهم مقومات البلاغة والبيان ؛ وبه تُوضَع الكلمات والجُمَل في أماكنها .. ، كتأخير المبتدأ وتقديم الخبر ، وتقديم المفعول على الفاعل ..

وللتقديم والتأخير - في القرآن - أسباب : إما لتوضيح المعنى ، أو للتعجب ، أو للاختصاص والتوحيد ..

وأمثلته في القرآن كثيرة ؛ منها :

- قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، فأصل الكلام نعبدك ونستعين بك ؛ لكن قَدِّمَ ضمير المفعول "إياك" على الفعل لإظهار التوحيد بالعبادة واختصاص الله تعالى بها ، فكأن المعنى : إياك أنتَ وَحْدَكَ نَعْبُدُ ..

- وقوله : ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ آل عمران: ٢٦ ؛ فهو تقديم للاختصاص.

- وقوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ طه: ٦٧ ، قَدِّمَ الفعل "خيفة" وأخَّرَ الفاعل "موسى" ليختتم به الآية ؛ مراعاةً لفواصل الآيات ؛ لتكون أكثر جمالاً واتساقاً ؛ فالآية التي قبلها (.. أنها تسعى) والآية بعدها (.. أنت الأعلى).

- وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ

رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ غافر: ٢٨.

أخَّرَ قوله: (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) ؛ لأنه لو قَدِّمَهَا لفهم السامعُ أن المؤمن ليس من آل فرعون ؛ وأنَّ كْتُمَهُ إِيمَانَهُ خوفاً منهم .. ؛ وهذا خلاف المعنى الحقيقي للآية ^(١).

(١) البرهان ٣/٢٣٣ ، وانظر تأملات قرآنية ص ١٥٢ د.موسى الإبراهيم.

(١٩) - وَمِنْ أَسَالِيهِه : (**الترغيب والترهيب**) :

فهُمَا أُسْلُوبَانِ عَظِيمَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ لِأَنَّهُمَا ضِدَانِ يُعْطِيَانِ النَّفْسَ عَزْمًا وَحَزْمًا عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْذُورِ ؛ وَيَبْعَثَانِ عَلَى الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ بِكُلِّ اتِّزَانٍ ، فَلَا يَقَعُ الْعَبْدُ فِي (الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ) وَلَا (الْقَنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ) ، وَبُضْدَهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ .. ، فَالْقُرْآنُ إِذَا ذَكَرَ الْجَنَّةَ يَذْكَرُ النَّارَ ، وَإِذَا ذَكَرَ الْخَيْرَ يَذْكَرُ ضِدَّهُ ، وَإِذَا ذَكَرَ الْوَعْدَ يَذْكَرُ الْوَعِيدَ ، وَإِذَا ذَكَرَ مُصِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَذْكَرُ مُصِيرَ الْكَافِرِينَ ..

قال تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢١﴾** ۞

الرحمن الرحيم : فيها (رجاء) .

مالك يوم الدين : فيها (تخويف من هول القيامة وحسابها) .

وقال تعالى : ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾** المائدة ٩٨

وقال تعالى : ﴿ **نَبِيٌّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾** وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ

الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ الحجر .

وقال تعالى : ﴿ **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا**

رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴿٧١﴾ الزمر : ٧١ - ٧٣ .

وقال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾** ۞

(٢٠) - ومن أساليبه : (الإيجاز والإطناب) :

وذلك بحسب الحال ، فيوجز الكلام في آياتٍ ؛ ويطيل عند الحاجة ، وغالبُهُ الإيجاز ، فقِصَّةُ (نوح) - عليه السلام - في (سورة هود) أطنب وأطال فيها ؛ وفي (سورة العنكبوت) أوجزها في مقدار ثلاثة أسطرٍ حَسَبَ الحاجة والسياق.

فالإيجاز : يكون بالحذف ؛ كحذف الصفة ، وحذف المفعول ، وحذف الخبر لوضوحه ، وحذف المضاف أو المضاف إليه .. وهو كثير جداً في القرآن ، ومثل إهمال بعض الأسماء والتفاصيل التي لا فائدة من ذكِّرها ، كما في كثيرٍ من القصص والأخبار ..

والإطناب : يكون بتكثير الجُمَل ، وكثرة الوصف ، وبإدخال الحروف والضمائر ، وتكرار القصص وما إلى ذلك ، إما للتوضيح أو إزالة الإشكال أو لاقتضاء البلاغة والبيان ..^(١)

(١) الاتقان للسيوطي ١٠٥/٢ وما بعدها ، وقد ذكر - رحمه الله - الكثير والعجيب من أمثلة الإيجاز والإطناب ، ووجه إيجازها ومعانيها وبلاغتها.

(٢١) - ومن أساليبه : (الحذف والتقدير) :

فهو أسلوب بلاغة وإعجاز وإيجاز ؛ أن يحذف بعض العبارات ولا يذكرها ؛ لأن السياق يدل عليها ؛ أو لأنها تتضح من المعنى العام للآية ؛ فلا داعي لتكرارها !..

كقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ جاءت ثلاث مرات : في البقرة ٢٥٢ ، وآل عمران ١٠٨ ، والجملة ٦ ، وتتمتها ومعناها : لتعتبر وتتعظ وتتسلى وتصبر وتثبت .. ، لكنه - تعالى - لم يذكر هذه التتمة المعنوية ؛ لأنها مفهومة من معنى الآية ومن سياقها .

وكقوله تعالى : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ النساء : ١٤٨ فالمعنى : إلا من ظلم فله الجهر بمظلمته والسوء في ظالمه ؛ ليبين مظلمته .

وكقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ يس ٤٥ يبدو للقارئ أن لهذا الشرط جواباً محذوفاً ؛ وهو كذلك غير موجود لفظاً ؛ لكنه موجود معنئ وسباقاً ، وجواب هذا الشرط المحذوف تقديره : فإنهم يُعرضون ؛ ولا يتقون ؛ ولا يرجون رحمة الله تعالى .

وكقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكُنْبٌ عَزِيزٌ ﴾ فصلت : ٤١ ، يبدو فيها قوله تعالى : (.. لَمَّا جَاءَهُمْ) شرط ؛ وجواب الشرط محذوف ؛ تقديره : لهم عقابٌ شديد على كفرهم به .. وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم .

(٢٢) - ومن أساليبه : (الكناية والتعريض) :

والكناية: هي إثبات المعنى بغير اللفظ الدال عليه.

والتعريض : هو إثبات المعنى بالمفهوم لا بالمنطوق ؛ كمن يخاطب شخصاً ويقصد غيره .. وهما واردان في القرآن حقيقةً لا مجازاً.

ومن دواعيهما وأسبابهما : الإيضاح ، أو المدح ، أو الذم ، أو الاختصار أو الستر ، أو التأدب .. ونحو ذلك.

ومن أمثلة الكناية :

التكنية عن (زيد) - رضي الله عنه - والنهي عن تَبَيُّه في قول الله تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الأحزاب ٤٠ ،

والتكنية عن "النساء" بقوله تعالى : ﴿ أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ

غَيْرِ مُبِينٍ ﴾ الزخرف: ١٨ .

والتكنية عن (سعة فضل الله) بقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المائدة ٦٤ ؛ ردًّا

على فرية اليهود.

والتكنية - تأدباً - عن "التبرز" بالغائط - وهو المكان المنخفض - في قوله

تعالى : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾ النساء: ٤٣

والتكنية عن "الجماع" بالمباشرة ؛ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ

عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ البقرة: ١٨٧

أما التعريض:

فكقوله: ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: ٢٦٩ ؛ أي المؤمنون ، فيُفهم منه أن الكافرين كالبهائم بلا عقول.

وكقوله: ﴿يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة: ٤ ؛ يُفهم منه بُغض الكافرين^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ للدخان ٤٩ ؛ فإنَّ (العزة والكرامة) ليست لأهل النار ؛ لكنه وَصَفَهُمْ بِهَا تَعْرِيفًا وَتَهَكُّمًا وَسُخْرِيَةً بِهِمْ فِي النَّارِ.

وَعَبَّرَ بِالْبُشْرَى - سُخْرِيَةً وَتَعْرِيفًا - فِي قَوْلِهِ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة

آل عمران ٢١ ، والتوبة ٣٤ ، والانشقاق ٢٤.

(١) المصدر السابق ٣٠٠/٢ ، وانظر الإتيان ؛ للسيوطي ٣٦/٢ ؛ ونقل عن الزمخشري تعليقه - في الكشف - على قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥ ؛ أنه كناية عن الملك ، وهذا إنكارٌ وتأويلٌ لصفة الإستواء لله ؛ تعالى الله ، والحق الذي عليه أهل السنة والجماعة هو إمرار الكلام عن صفاته تعالى ؛ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تشبيه... وفي الكشف يُظهر الزمخشري المعتزلي ضلالات المعتزلة وعقيدتهم الفاسدة في أسماء الله وصفاته سبحانه وتعالى.

(٢٤) - ومن أساليب القرآن : (الردع والزجر) :

فيستخدم هذا الأسلوب في الأمور المستحيلة أو الشنيعة أو الكفرية ؛ ليدل على امتناعها و تحريمها والزجر عنها ..

وكلمة الردع والزجر - غالباً - هي (كلا) ؛ فهي كلمة ردع وزجر ومنع واستحالة .. (١) .

• ففي ردع المشركين وزجرهم على شركهم وكفرهم بالبعث والجزاء والحساب ؛ قال الله تعالى :

- ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾
- ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾
- ﴿ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
- ﴿ كَلَّا إِنَّمَا لَطَىٰ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِنْتِنَاعِنَا عِنَدًا ﴾
- ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَنزَبَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكَبِيرِ ﴾
- ﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴾ ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾
- ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذَكُّرٌ ﴾ ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ﴾
- ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنْ كُنَّ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينِ ﴾
- ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾
- ﴿ كَلَّا إِنْ كُنَّ الْآبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾
- ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَرَبَّنَا لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴾ ﴿ كَلَّا لَا نُطِيعُه وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ ﴾ ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾
- ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾

(١) راجع تفسير الطبري وتفسير ابن كثير عند الآيات المذكورة.

• وفي ردع أمانى الإنسان وزجره على الغفلة ؛ قال تعالى :

﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ المؤمنون: ١٠٠

﴿ كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ القيامة: ٢٠

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ القيامة: ٢٦

﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ الفجر: ١٧

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَضَ ﴾ العلق: ٧

• وفي حوار موسى - عليه السلام - لقومه ؛ وزجره لهم على ضلالهم ؛ قال

تعالى :

﴿ قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَّا بَإِيَّتِنَا أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ الشعراء: ١٥

﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ الشعراء: ٦٢

(٢٥) - ومن أساليب القرآن: (الإضمار والإظهار):

وللقرآن مع الضمائر أحوال:

• **الأول:** أنه يَعْدِلُ إليها كثيراً ؛ للاختصار ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي

لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: ١، فضمير (الهاء) يَعُودُ على القرآن ؛ لم يذكره لوضوحه.

• **الثاني:** أنه يَعُودُ الضمير دوماً على مذكورٍ سابق ، كما في قوله تعالى:

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئِي أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ هود: ٤٢.

(فالهاء) في "ابنه": تَعُودُ على نوح عليه السلام.

و(الضمير المستتر) في "كان": يَعُودُ على ابنه.

لكن قد يَعُودُ على متأخرٍ عنه يدل عليه السياق ، كقوله تعالى:

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ طه ٦٧ ، فالضمير في (نفسه) يعود على موسى

عليه السلام ، وإنما أُخِّرَ مراعاة لفواصل الآيات.

• **الثالث:** أنه قد يذكر شيئين ويعود الضمير على أحدهما ؛ والغالب

أنه الثاني منهما ؛ لكونه الأقرب للضمير ، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة: ٤٥ ، فعاد الضمير على

"الصلاة" في قوله (وإنها) ، ويجوز أن يعود الضمير على (الاستعانة) ؛ فيكون

المعنى: وإن (الاستعانة بالصبر والصلاة) لكبيرة إلا على الخاشعين.

وكقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا..﴾

التوبة: ٣٤ ، والأصل : ولا ينفقونها ؛ لكنه ضمير مفرد عاد على شيئين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرِضُوهُ﴾ التوبة: ٦٢ ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ النور: ٥١ ، فالضمير المفرد في (يرضوه ، ليحكم) : عائد على الله ورسوله ؛ في الآيتين المذكورتين.

ونقل الإمام الزركشي عن ابن الأنباري أنه لم يعد الضمير على الأول من مذكورين في القرآن إلا في موضع واحد في القرآن ؛ هو قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿وَإِذْ أَرَأَوْا تَحِيْرَةً أَوْ هَوَّأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ ؛ فأعاد الضمير (إليها) على التجارة وهي الأبعد والمتقدمة ؛ لأنها السبب والأكثر لهواً^(١).

وقد يُثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين ؛ كقوله تعالى: ﴿فَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ الكهف: ٦١ ، أى نسي ، والمقصود الفتى (يوشع بن نون) فتى موسى - عليه السلام - ورفيقه في الرحلة.

• الرابع: من أحوال الضمائر في القرآن:

أن يتصل الضمير بشيء وهو لغيره ، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ المؤمنون ١٣ ، فالإنسان : آدم ؛ والضمير في (جعلناه) ظاهره عائد على "آدم" وليس كذلك ؛ بل هو عائد على دُرَيْتِه ؛ لأنهم المخلوقون من نطفة ، وآدم لم يُخلق من النطفة.

وكقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ الحج ٧٨
فالضمير (هو) راجع إلى الله تعالى ، وليس لإبراهيم ولو كان هو القريب
ذِكْرًا.

وكقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر ١٠
فالضمير في (يرفعه) عائد على العمل ؛ بدليل عدم نصبه ؛ فهو فاعل
مرفوع مؤخر.

• **الخامس** : أنها قد تتابع الضمائر ولا يعود بعضها على بعض ،
كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ، ففي
قوله: (وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ) يعود الضمير على الله تعالى ؛ في قول أكثر
المفسرين ، وقيل : إنه يعود على الإنسان ؛ فهو شهيد على نفسه بأعماله ؛
ويصح أن يحتمل المعنيين ؛ كما قال ابن كثير- رحمه الله ..

ويعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ على الإنسان
الكنود ؛ أي الجاحد الكفور^(١).

(١) المصدر السابق ٤٧٢/٢ ، وانظر تفسير ابن كثير ، وتفسير الخازن ؛ عند هذه السورة
"سورة العاديات".

(٢٦) - ومن أساليب القرآن :

(إجمام الخصوم بالحجج لإظهار الحق) :

فإجمام الخصوم بالحجج والبراهين الكونية والعقلية أسلوبٌ عظيم يُقنع القرآنُ به المُعارضين والمعاندين ..

كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ١٠١

وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي

شَرَبْتُمْ ﴾ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ الواقعة: ٥٨

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا

يَصِفُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٢ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة ١١١ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِمَّنْ شُهِدَ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ﴾ الأنعام ١٥٠ .

وقوله لمُنْكَرِي قُدْرَتِهِ - سبحانه - على البعث : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ

مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يس: ٧٩ .

(٢٧) - ومن أساليبه :

(اختتام الكلام بما يناسب أوله) :

فيبدأ بموضوع ما ، ثم ينتقل منه إلى غيره ؛ وفي ذلك دفعٌ للملئ ، وجذبٌ للنفوس ، وتجديدٌ للنشاط...، ثم يختم الكلام بما بدأ به ؛ تذكيراً به وتأكيذاً عليه ، كما في سورة الصف ، وسورة الانفطار ؛ وغيرهما من السور والآيات التي دُيِّلتُ بما يعطف على صدرها بالتأكيد والبيان ..

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا

تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الأنبياء: ٣٧ ، فردّ آخر الآية على أولها (١) .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

إبراهيم: ٣٤

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النحل: ١٨

دَّيْلُ الآية الأولى : بذكر (ظلم الانسان) ؛ لأن السياق في تعداد كُفْرِهِ .

ودَّيْلُ الآية الثانية : بذكر (رحمة الله تعالى) ؛ لأن السياق في تعداد نِعَمِ الله على الإنسان .

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٤/٣ ، وانظر البرهان للزركشي ٤٦٧/٣ .

(٢٨) - ومن أساليبه :

(استعارة الأفعال والصيغ والحروف مكان بعض) :

كثيراً ما يأتي بصيغة الماضي مكان المضارع ، والعكس ؛ وذلك لأغراضٍ عظيمة.

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ الأنعام: ٩٤

عبر بالماضي (جِئْتُمُونَا، وَتَرَكْتُمْ) وهو لم يحصل بعد ؛ وإنما من باب التأكيد وأنه سيحصل لا محالة.

وقوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ إبراهيم: ٢٣.

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ١.

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ فاطر: ٣٤

وقوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ الزمر: ٧١.

وقوله : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ... وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ ﴾ النبا: ١٩-٢٠ ؛ عبر بصيغة الماضي تأكيداً لحصول القيامة في المستقبل.

وقوله تعالى : ﴿ فَوْقَهُمْ أَلْفُ شَرٍّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴾ الإنسان: ١١ ؛ عبر

بالماضي عن المستقبل في قوله : (وَتَرَكْتُمْ .. وَلَقَّهْمُ) من باب تحقيق وتأكيد وقوعه يوم القيامة لا محالة ، فكأنه قد حصل.

وقد يكون العكس :

فيعبر بالمضارع عن الماضي ، كقوله تعالى : ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾
الحجرات: ٧.

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
الحج: ٢٥

فهنا عبر بالفعل المضارع (يطيعكم ، يصدون) وذلك للدلالة على الاستمرارية ، فالكفار دوماً يصدون عن سبيل الله ؛ ولا يزالون.

أما استعارة (الحروف والضمائر) مكان بعض :

فذلك كثير في القرآن الكريم ..

كقوله تعالى : ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ النساء: ٣ ؛ فإن (الواو) في قوله (وَثُلَاثَ وَرُبْعَ) معناها (أو) ؛ أي اثنتين أو ثلاث أو أربع ؛ وذلك لاستحالة الجمع ، فاستعار (واو) العطف مكان (أو) التي للتخيير.

وكقوله تعالى :

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لَئِذَا﴾ النور: ٦٣ .

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ النور: ٦٤ .

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ الأحزاب: ١٨ .

فإن (قَدْ) في الآيات السابقة ليست للتخمين والشك ؛ ولكنها للتأكيد والتحقيق ؛ لأنها من (الخالق) عَزَّ وَجَلَّ .

ولو كانت من (المخلوق) فإنها منه تفيد الرجاء والظن والترجي ؛ وذلك لأنه لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مَّا يَرِيدُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ .

وكقوله تعالى :

﴿ **عَسَى** اللَّهُ أَنْ يَكْفَّ بِأْسِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ النساء: ٨٤ .

﴿ **عَسَى** اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ ﴾ النساء: ٩٩ .

﴿ **عَسَى** أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ ﴾ الأعراف: ١٨٥ .

﴿ **عَسَى** أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ الإسراء: ٧٩ .

﴿ **قُلْ عَسَى** أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ النمل: ٧٢ .

﴿ **عَسَى** أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ **عَسَى** أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ الحجرات: ١١ .

﴿ **عَسَى** رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾ التحريم: ٥ .

فإن (**عَسَى**) في الآيات السابقة تفيد التحقيق والتأكيد والوقوع لا محالة ؛ لأنها من الله الخالق جل وعلا .

لكن لو كانت "عسى" من (المخلوق) فإنها للترجي والرجاء والطلب والدعاء ؛ كما حكا الله عن بعض خلقه ؛ وذلك في قوله تعالى :

﴿ **عَسَى** أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْفَعَهُ وَوَلَدًا ﴾ يوسف: ٢١ .

﴿ **عَسَى** اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ يوسف: ٨٣ .

﴿ **عَسَى** أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ الكهف: ٢٤ .

﴿ **عَسَى** أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ مريم: ٤٨ .

﴿ **عَسَى** رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ القصص: ٢٢ .

ف "عسى" هنا تفيد الرجاء والطلب ؛ لأنها دعاء من المخلوقين .

(٢٩) - ومن أساليبه :

وَضْعُ الْخَبْرِ مَوْضِعَ (النَّهْيِ وَالزَّجْرِ) :

فقد يورد الخبر وكأنه إخبارٌ عن شيء والمراد الزجر والنهي أو الأمر، وهذا شيء يجب فهمه ومعرفته ..

فمن ذلك قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة: ١٩٧،
أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا ..

وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾

آل عمران: ١٤٦

فالمعنى: لا تهنوا ولا تضعفوا ولا تستكينوا للكفار، واصبروا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المائدة: ٧٢

فالمعنى: النهي عن الشرك؛ أي لا تشركوا بالله؛ واحذروا الشرك؛ فإنه

من مات مشركاً فهو من أهل النار خالداً فيها، ولا يدخل الجنة.

(٣٠) - وَمِنْ أَسَالِيهِ :

وَضْعُ الْخَبْرِ مَوْضِعَ (الْأَمْرِ وَالطَّلَبِ) :

فيأتي بالأمر والنهي في صورة الخبر ، ويُخبر ؛ والمقصود الأمر أو النهي أو الدعاء ، وهو أسلوب مهم لمعرفة مُراد الله في كتابه .

ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ ﴾ البقرة ٢٣٣ ،
والمعنى : أرضعن أولادكن .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْمَطْلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ البقرة: ٢٢٨ ، أي
تربصن وانتظرن العدة .

وقوله : ﴿ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الصف: ١١ ، أي آمنوا
وجاهدوا .. (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ التوبة: ٧١

فمفادها : آمنوا ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وأطيعوا الله ورسوله ..

وقد يكون العكس :

فيأتي بالأمر والطلب ؛ والمقصود الإخبار فقط ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَتَّخِذُوا

مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة: ١٢٥ ، وقوله : ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ مريم: ٧٥ .

وقد يُعبرُّ بالماضي والمستقبل .

(٣١) - ومن أساليبه :

وَضْعُ الْخَبْرِ مَوْضِعَ (التَّحْذِيرِ وَالْوَعِيدِ) :

فتأتي في القرآن آياتٌ على هيئة أخبار ؛ وهي في الحقيقة تحذير ووعيد ؛ كما في سورة الفاتحة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فهي خبرٌ أن الله تعالى هو المالك ليوم الحساب ؛ لكنه خبرٌ الغرض منه التخويف والتحذير ؛ فكأنه يقول : فاتقوا ذلك اليوم واعملوا له واحذروا عذابه .

ومثل قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ .. ، تكرر في القرآن عشرات المرات ..

والمعنى : احذروا من المعاصي القولية والفعلية ؛ فإن الله تعالى يسمعكم ويراكم ويعلمكم وسيجازيكم على معاصيكم ؛ وإنه عزيزٌ ذو عزةٍ وغلبةٍ وقوةٍ وقهرٍ وحكمةٍ فاحذروا مخالفة أمره .

وكقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ فصلت : ٤٠ ؛ فإن هذا أسلوب وعيد وتهديد ؛ أي : إنهم لا يخفون على الله ؛ بل هو عالمٌ بهم ؛ وسيجازيهم ببغيهم .

وكقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ..

تكررت عشرات المرات ؛ **والمعنى :** احذروا معصية الله في الخلوات ؛ واخشوا الله في السر والعلن ، وراقبوه سراً وجَهراً .. فإنه رقيبٌ عليكم عالمٌ بخفائياكم ؛ وسيجازيكم بها ويحاسبكم عليها .

فهذه الآيات .. في ظاهرها أخبار ؛ لكنها في حقيقتها ومعانيها تهديد ووعيد وتحذير وأحكام وأوامر ونواهي.

وكقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ النساء: ٣٤.

فقوله (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) خبر مفاده التحذير والترهيب من ظلم النساء ؛ فمن استعلى عليهن فالله أعلى وأكبر منه ؛ وسيُجازيه.



(٣٢) - ومن أساليبه :

(وَضْعُ الْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ مَوَاضِعُهُمَا اللَّائِقَةُ) :

فمن الكلمات ما لا يأتي إلا مجموعة ؛ والعكس ، ومنها ما لا يليق به إلا الجمع أو الإفراد ؛ حسب السياق أو المعنى ..

من ذلك : أنها لم تأت (الأرض) مجموعة ؛ لثقل جمعها وهو الأرضون ، بينما جاءت السموات مجموعة ؛ في آيات كثيرة.

ومن ذلك : أنه جاء : (النور ، الحق ، سبيل الإسلام) بالإفراد ؛ ولم تُجمع لأنها "حق" ؛ والحق واحد لا يتعدد.

كذلك قوله : (وليُّ المؤمنين) جاءت بالإفراد ؛ لأن الولي واحد ؛ هو الله سبحانه .. بينما ذكر (سُبُل الباطل) بالجمع ، و (أولياء الكفار) بالجمع ، و (الظلمات) بالجمع ... لأن الباطل متعدد ؛ بعكس الحق ..

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ءَأَوْلِيَآءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ؕ أُولَٰئِكَ ءَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٧

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ الأنعام: ١٥٣
فجمع (سُبُل) الباطل ، وأفرد (سبيل) الحق .

ومن ذلك : (الإفراد) في قوله : ﴿ إِذْ أُنبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴾ الشمس: ١٢ ؛ وبعدها

(جمع) فقال : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ ؛ لِيُبين أنهم متواطئون ومتفقون على قتل الناقة ؛ فينالهم العقاب كلهم ؛ الشقي وقومه ؛ لأنهم متفقون متعاونون راضون بالجريمة.

ومن عجائب الجَمْع والإفراد في القرآن :

جَمْع التعظيم ؛ كجمع الضمير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص: ٥٨ ؛ ونحو ذلك ..

إلا في مقام التوحيد والإفراد ونبذ الشرك ؛ فإنه لا يجمع الضمير ؛ بل يأتي به (مُفْرَدًا) ؛ احترازًا من الشرك ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ طه: ١٤ ، وقوله تعالى : ﴿ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ النمل: ١٠

فَلَمْ يَقُلْ "نحن" هنا ؛ بل أفرد الضمير تحقيقًا للوحدانية والتوحيد ، واحترازًا من الوهم بالشرك والشريك ^(١) .

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ؛ ومحاسن التأويل للقاسمي .. عند هذه الآيات.

(٣٣) - ومن أساليبه :

إطلاق (العام) على الخاص ، وإطلاق (الخاص) على العام؛

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ﴾ هود: ٩.

فلفظ (الإنسان) هنا عمومٌ أريد به خصوصٌ هو "الكافر".

وكذلك "الانسان" في قوله تعالى :

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ مريم: ٦٦

﴿وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ فصلت: ٥١

ف(الإنسان) هنا هو الكافر أو الفاسق.

أما في قوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ السجدة ٧ ، فالمقصود (آدم) عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يس: ٧٧ ، فالمقصود

(كل إنسانٍ منكرٍ للبعث والحساب) إلى يوم القيامة.

وقيل المقصود (العاص بن وائل) ؛ وهو من كفار قريش ؛ حيث فتَّ عظمًا

بيده ؛ ثم قال للرسول - ﷺ - مُنْكَرًا مُكْذِبًا لقدرة الله - تعالى - على البعث :

"أيحيي الله هذا؟" فقال النبي ﷺ : (نعم ، يُميتك الله ثم يُحييك ؛ ثم يُدخلك

النار) (١).

(١) البرهان للزركشي ٢٧١/٢ ؛ والدُّرُّ للسيوطي ٢٦٩/٥ ؛ وأورده الحاكم في المستدرک

٤٢٩/٢ وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره ابن كثير في التفسير ٦١٧/٦ ؛ واستنكر ان

يكون المقصود (أبي بن خلف أو ابن سلول) لأن سورة يس مكية ؛ وهؤلاء بالمدينة ،

وعلى كلٍ فالعبرة من الآية هي عموم لفظها لا خصوص سببها ؛ فكل منكر للبعث

والحساب فهو داخل في معنى هذه الآية.

(٣٤) - ومن أساليبه :

(الدلالة بالأصغر على الأكبر ؛ وبالأقل على الأكثر) :

أي (يأمر) بالشيء الأدنى أو الأقل ليدل على وجوب ما هو أكبر أو اعظم منه.
و(ينهى) عن الشيء الأدنى أو الأقل ليدل على تحريم ما هو أكبر أو أشنع منه.
وقد يخبر بالأقل ؛ ليدل على ما هو أكثر منه ..

وقد تدل الآية (بمنطوقها) على تحريم الأدنى ؛ و(بمفهومها) على ما هو أكبر
وأشد تحريماً ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ الأنعام: ١٥١

﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ الأنعام ١٥٢ ، والاسراء ٣٤

﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٢

ففي هذه الآيات نهى عن مجرد (القرب) ؛ ليدل على أن الوقوع والولوج في
الفواحش ومال اليتيم والزنا .. هو أشد وأشنع ..

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَنْهَرُهُمَا ﴾ الإسراء: ٢٣

فهنا حرم ونهى عن الأقل والأهون - وهو التأفف - ليدل على تحريم وتشنيع
ما هو أعلى أو أكبر منه ؛ كالكلام والضرب ونحوهما.

- ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ الإسراء: ٥٣

فهنا أمر بالقول (الحسن) ..

ليدل - بمفهوم المخالفة - أن القول (السيء) سببٌ للقطيعة والبغضاء ..

وليدل - بمفهوم المخالفة - أن (الفعال) أشد وقعاً وأثراً من القول ؛ سواء كان حسناً
أم سيئاً.

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ فاطر: ١٣

فهنا بينَ عَجْزُ المخلوقين عن إيجاد أو خَلْق (القطمير) الهين ؛ ليدل على شدة عجزهم عن ما هو أكبر منه ؛ وعدم قُدرتهم على ما لا يَقْدِرُ عليه إلا الله تعالى ؛ فلا يستحقون صَرف العبادة لهم من دون الله عز وجلّ.

وفي "القرآن الكريم" الكثير من الألفاظ والأمر التي ذكّرها يدل على ما لم يُذكر ..

وهذا يفتح باباً عظيماً في (فقه القرآن) ليكون أكثر شمولية وسعة ودلالةً على كثير من الأحكام والتشريعات ..

حتى إنّ في القرآن (تحريم) أشياء ولم تُذكر فيه بالمنطوق ؛ ولكن بالمفهوم. وفيه (مشروعية أو إيجاب) أشياء ؛ جاءت فيه مفهوماً لا منطوقاً ، إما مفهوم موافقةً أو مفهوم مخالفة ..

ومرجع ذلك هو باب (المنطوق والمفهوم) المعروف عند الفقهاء والأصوليين. فقد يُحرّم (منطوق) الآية شيئاً ؛ و(مفهومها) يُحرّم مثله أو أكبر منه ، ويبيح العكس ؛ بمفهوم المخالفة ..

وقد يُوجب (منطوق) الآية شيئاً ؛ و(مفهومها) يوجب مثله أو أكبر منه ، ويجرّم العكس ؛ بمفهوم المخالفة ..

(٣٥) - ومن أساليب القرآن :

(الإلتفات والنقل في الخطاب) :

وهو الانتقال بالكلام من أسلوب إلى أسلوب ؛ جذبًا للسامع أو القارئ ،
وتجديدًا للنشاط ، ودفعًا للملل ..

والإلتفات بالخطاب ونقله في القرآن أنواع :

- منها : نقل الخطاب من المتكلم إلى ضمير الغائب ؛ كقوله - تعالى :-

﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الدخان.

- ومنها: نقل الخطاب من ضمير الغائب إلى المتكلم ؛ كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي

كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿٥٦﴾ **وَزَيْنًا** السَّمَاءَ الَّتِي يُصَوِّعُ بِهَا نَفْسَهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ وَيُخْرِجَ فِيهَا رِزْقًا لَّكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْمُنْتَجِثِ ﴿٥٧﴾ فصلت ١٢
ففي الأفعال : (أوحى - زينا) ؛ لَفَتَ الخطاب من ضمير الغائب (أوحى) إلى
المتكلم (وزينا) ؛ إظهارًا للقدره والخلق الذي هو من خصائصه وحده سبحانه ،
فتزيين السماء لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ طه: ٥٣ ،

في الأفعال : "أنزل - أخرجنا" التفاتٌ من الغائب إلى المتكلم ؛ لأن "إخراج
النبات" لا يقدر عليه إلا الله سبحانه.

- ومنها : نقل الخطاب من المخاطب إلى ضمير الغائب ؛ كقوله تعالى :

﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرْتُمْ يَدَيْكُمْ لِتَقِيلُوا عَلَيْهِمُ ثِقَاتَ الْفُلِ فَأَخَذْتُمْ بِذُكُرِهِمْ فَكَانَ هُمْ أُمَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا بِآيَاتِهِ لَمَّاعِينَ ﴿٢٢﴾ يونس: ٢٢ ،

فالتقدير : كنتم أنتم ، وجرين بهم
هم ، لأنه قد يركب في السفينة المؤمن والكافر ؛ ولا يثبت على إيمانه في جميع
الأحوال إلا المؤمن.

تكرار الالتفات :

وقد يتكرر الالتفات في موضوع واحد في آية أو سورة واحدة ..
 (كما في سورة الفاتحة) ؛ حيث انتقل الخطابُ والتفتَ فيها من أسلوب الغائب (مالك) إلى المخاطب (إياك) نعبد وإياك نستعين ، ثم إلى الغائب (المغضوب عليهم) ولم يقل : الذين غضبت كما قال أنعمت ، وذلك لأغراضٍ دينيةٍ وبلاغيةٍ عظيمة !.

وكقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
 نوع الخطاب فيها ثلاث مرات : من الغائب (أسرى) إلى المتكلم (باركنا - لنريه) إلى الغائب (إنه هو).

ففي الأمور العظيمة وقضايا العقيدة وما لا يقدر عليه إلا الله - تعالى - يرُدُّ الخطابَ والضمير إلى نفسه سبحانه وتعالى.

❖ وقد يكون الالتفات والانتقال (من المفرد إلى المثني أو إلى الجمع)،
 والعكس ، كقوله تعالى عن بني إسرائيل : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس ٧٨

وكقوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾ الطلاق ١
 التفت من المفرد (النبي) إلى الجمع (طلقتنم)، وفي ذلك حكمٌ وحكمة عظيمة ؛ وهي أن الخطاب للنبي ﷺ ولأمته معه ؛ فجاء بضمير الجمع في (طلقتنم) ليعمم الحكم.

❖ وقد يكون الانتقال (من الماضي إلى المضارع ثم إلى الماضي) ، كقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ فاطر: ٩ ، فالفعل (أرسل) : بالماضي ، و(تثير) بالمضارع ، و(سقناه) بالماضي.

وأعاد الضمير في (أحييناه) إليه سبحانه ؛ لأنه هو وحده القادر على الإحياء والإماتة ؛ فهما من أفعاله وحده سبحانه وتعالى.

ولما كان في القرآن آيات متشابهات لفظاً ؛ فإن هناك آية تُشابه هذه الآية ؛

لكنها اتسقت فيها الضمائر ؛ هي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ

سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدَّاقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ ﴾
الروم: ٤٨

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ ﴾ الحج: ٢٥

أتى بالمضارع (ويصدون) بعد الماضي ؛ إشارة لاستمرار الكفار على الصدّ

والشر والمكر ، وهذا كله من فصاحة القرآن وبلاغته وجمال أسلوبه ^(١).

(١) البرهان للزركشي ٣/٣١٤ ، وانظر الإتقان للسيوطي ٢/١٦٥ وما بعدها.

(٣٦) - ومن أساليب القرآن :

(التَّأدُّبُ ، والأدب الرفيع) :

وذلك في المخاطبة وفي اختيار الألفاظ ، فلا يجرح الشعور ، ولا يُعبّر بألفاظٍ غليظة ، خاصة في حق الله تعالى.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿غَيْرَ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الفاتحة: ٧ ؛ لم يقل "الذين غضبتُ عليهم" ؛ مراعاة للأدب واللفظ المناسب.
ومن أمثلة ذلك :

التعبير بلفظ ﴿الْغَائِطِ﴾^(١) كنايةً عن ما يُخرجه الإنسان ، إذ لا يُستحسن ذكره صراحة ، و(الغائط) هو المكان المنخفض ؛ ثم استعير لهذا الشيء ؛ لأن الانسان يقصده - عند قضاء حاجته - لِيَسْتَتِرَ.

ومنه : التعبير بلفظ ﴿لَمَسْتُمُ﴾^(١) ؛ كنايةً عن الجماع ، وقد سبق ذكر ذلك آنفاً ؛ في أسلوب الكنايات.

ومن ذلك : قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرَضَتْ فَهُوَ يَشْفِي﴾ الشعراء: ٨٠ ، فلم يقل "أمرضني" ؛ تأدباً مع الله تعالى .

ومن ذلك : أنه لم يُصرح بما أعدّ في الجنة (للنساء) مما أعدّ للرجال من الحور العين والزوجات ؛ وذلك تأدباً واحتراماً لمشاعرهنّ وحيائهنّ .. وإلا فإن "المفهوم والعموم" من الآيات يدل على أنّ لهنّ ما للرجال ؛ من كلّ ما تشتهيهُ الأنفس ..

(١) سورة النساء: ٤٣ ، والمائدة: ٦.

ومن ذلك : قوله تعالى عن عيسى بن مريم وأمه - عليهما السلام - :

﴿ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ المائدة: ٧٥ ، ولم يكمل الكلام ؛ لأن مفهومه أن مَنْ أَكَلَ تَغَوَّطَ ؛ وهذه صفة نقص في بني آدم ، والناقص لا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا ، وفي هذا ردُّ على مشركي النصرارى الذين يؤلِّهون عيسى من دون الله.

ومن ذلك :

اعتذار يوسف - عليه السلام - عندما قال : ﴿ إِذْ أَخْرَجْنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ

مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ يوسف ١٠٠

فَلَمْ يَقُلْ : (مِنَ الْجُبِّ) ؛ رغم أن الخروج من الجب أعظم وأخطر ،

فعدَّلَ عن ذكره ؛ وذلك لأمرين ذكرهما أهل العلم :

أحدهما : التأدب مع إخوانه ؛ وتناسي عدائهم وأفعالهم معه ؛ وتغليب

جانب العفو والصفح ، وذلك حتى لا يُنْفَرَهُمْ ولا يُحْرِجَهُمْ بتجديد الماضي

والخطأ .. ، ونَسَبَ النزغ والزلل إلى الشيطان ؛ ولم ينسبه إلى إخوته تأدباً معهم

ومُراعاة لمشاعرهم..!

والثاني : أن خروجه مِنَ الْجُبِّ كان إلى الرِّقِّ ، بينما خروجه من

السجن كان إلى المُلْكِ..

وفي ذلك تعليم للذين يَحْمِلُونَ على أصحابهم وأقاربهم كل صغيرة

وكبيرة ؛ ولا يكتمون الغيظ ولا يعفون عنهم ..

والله نسأل أن لا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا.

(٣٧)

أسلوب التعجب وهل يوصف الله - تعالى - بالتعجب؟

إن من أساليب القرآن: التعجب؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾

البقرة: ١٧٥، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْلِكَ يَمُوسَى﴾ طه: ٨٣

في عقيدة أهل السنة: لا يجوز اعتقاد أن المتعجب هو الله تعالى؛ لأن التعجب استعظامٌ وجهلٌ بالسبب، والله - تعالى - مُتَنَزَّهٌ عن ذلك. والصواب: أن يُصْرَفَ التعجب إلى المخاطبين؛ لأنه تعجبٌ من الله لهم، كالدعاء والترجي؛ فهو مصروفٌ من العباد لله وحده.

ولا يفهم من ذلك نفي صفة "التعجب" عن الله تعالى، فإن من الصفات الفعلية الثابتة له - سبحانه - صفة "التعجب"، يعجب مما شاء سبحانه، وليس عجبُ الله - تعالى - استعظاماً أو جهلاً بالسبب، بل هو تعجبٌ رِضاً وقبولٍ وعِلْمٍ؛ وبكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه.

أما تعجبُ المخلوق: فإنه لِحَفَاءِ الأسباب والجهل بالحقائق^(١)، قال الله

تعالى: ﴿وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَيْ ذَا كُنَّا تُرْبًا أَيْ نَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلَاتِكَ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ الرعد ٥.

وقال رسول الله ﷺ قال: (عجب الله من قوم يدخلون الجنة

بالسلاسل)^(٢).

(١) وانظر: كتاب صفات الله تعالى؛ صالح علي المسند ص ١٠٧، وكتاب الأسماء الحسنى

والصفات ص ٥١؛ لابن وهف.

(٢) رواه البخاري (٣٠١٠)، ويدخلون الجنة بالسلاسل: أي يهيء الله لهم أعمال الجنة

يعملونها ولو لم يسعوا لفعالها.

وقوله ﷺ: (يَعَجَّبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شِظْيَةِ جَبَلٍ ، يُؤذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : انظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا ؛ يُؤذِّنُ وَيُقيمُ الصَّلَاةَ ؛ وَيَخَافُ مِنِّي ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ) (١).

وفي قصة الأنصاري الذي قال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت لا إلا قوتُ صبياني ، فقال لها : علّهم بشيء ، فإذا دخل الضيف فأطفئي السراج وأريه أننا نأكل ، ففعدوا وأكل الضيف ، فلما غداً إلى رسول الله قال ﷺ له : (قد عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ) (٢).

فالتعجب صفة ثابتة لله تعالى ؛ لكن ليس كتعجب المخلوقين ، فتعجبه - سبحانه - تعجب رضاء وقبول وعلم ، وتعجب المخلوق للاستعظام والجهل بالأسباب.

(١) رواية النسائي (٦٦٤) ؛ وأبو داود (١٢٠٣) باب الصلاة والأذان.

(٢) رواه البخاري (٣٧٩٨) ومسلم (١٧٢/٣٦) ، ولفظ البخاري : ضحك الله الليلة وعجب من

الفصل العاشر

تناسب القرآن الكريم
وما في تناسبه من الجمال الإعجاز

تمهيد:

إن من أوصاف القرآن وخصائصه الإعجازية : أنه متناسبٌ ، وفيه تناسب ومناسبات ؛ أي تقارب في الترتيب والمعاني بين السور والآيات .
ولا شك أن علم "التناسب والمناسبات بين السور والآيات" علمٌ عظيم وله مقاصد ودلالات جليّة ؛ وقد اهتم به المفسّرون وأُفرد بالتصنيف ؛ لأهميته في توضيح جمال نظم القرآن وهدايته وتمام بلاغته ورصانته وإعجازه .

وفي معرفة هذه الخصيصة للقرآن مقدرة في الرد على الطاعنين والمستشرقين وغيرهم ؛ ممن لا يفهم حقيقة كتاب الله ورفيع منزلته^(١) .

(١) ممن أفردته بالتأليف: الإمام السيوطي في كتاب : تناسق الدرر في تناسب السور ، ومراصد المطالع له ، والبرهان في تناسب القرآن لأبي جعفر بن الزبير، وانظر: البرهان للزركشى ٣٥/١ وما بعدها ، واهتم به من المفسرين في تفاسيرهم : الزمخشري والرازي والقرطبي ؛ والكرماني في الغرائب وغيرهم.

تعريف علم مناسبات القرآن

لغةً : هو التقارب والمقاربة والمشاكلة^(١).

واصطلاحاً: (هو علمٌ يُعرف به عِلل ومقاصد ترتيب سور وآيات القرآن، ووجوه ارتباطها ببعض مبنئ ومعنى)^(٢).

وفي قيد "مبنى ومعنى" : إشارة إلى قسمي التناسب ، فالمبنى : تناسب الفواصل والمقاطع ، والمعنى : تناسب المعاني.

أقسام وأنواع التناسب القرآني

تناسب القرآن الكريم قسماً :

١ - القسم الأول : [تناسب في الفواصل والمقاطع البلاغية]

٢ - القسم الثاني : [تناسب في المعاني والمواضيع وتكاملها]

وهذا الثاني خمسة أنواع :

-تناسب القرآن كله بعضه مع بعض.

-تناسب الآية الواحدة.

-تناسب الآيات.

-تناسب السورة الواحدة.

-تناسب السور . وإلى توضيح هذه الأقسام :

(١) لسان العرب ؛ مادة نسب ٤٤٠٤/٦ ، وانظر مختار الصحاح للرازي ص ٦١١ مادة ن س ب.

(٢) وانظر: الإتقان للسيوطي ٢/٢١١ ، والبرهان للزركشي ١/١٣١ .

القِسْمُ الأوَّلُ

[التناسب في الفواصل والمقاطع البلاغية]

اختصرتُ الكلام في هذا القِسْم ؛ لأن قليله يدل على كثيره ، وأكثر دراسته تنصَّب على الجانب اللغوي والبلاغي ، وهو مُمتع ومهم لمن أراد الاطلاع على أسرار القرآن ونظمه وترابطه البلاغي.. ؛ مما يساعد على الفهم والتدبر.

وبالمثال يتضح المقال :

فالكلام العربي فيه نثرٌ وشعر ، و"النثر" نوعان : مُرسل ، ومَسجوع.

(فالنثر المرسل) : هو الكلام المجزأ الغير مُقيَّد بقافيةٍ مُعيَّنة ، كسورة البقرة وسورة المائدة وسورة الحجرات وغيرها من سور القرآن مما لا تنتهي آياتها بحرف مُعين.

(والنثر المسجوع) : ما كان فيه سَجَع ، "والسجع" : هو اتحاد القوافي في الكلام المنثور ، وقد ورد ذلك في القرآن كثيراً ؛ كسورة النساء ، وسورة الفرقان ، وسورة ص ، وسورة القمر مسجوعة بالراء ، وسورة الرحمن فاصلتها بالنون ، وسورة الشمس بالألف ..

السجع والفواصل :

يُسمَّى أهلُ العلم سَجَعَ القرآنَ (فواصل) ؛ وذلك تأدباً مع القرآن الكريم ، فأخر كلمةٍ من الآية تُسمَّى (فاصلة)^(١) ، وقد لا تكون الفاصلة رأس الآية ؛ بل قد تكون في وسط الآية ؛ حسب المعنى.

(١) البرهان للزركشي ٥٣/١ تحقيق أبي الفضل ، (والفواصل) : هي رؤوس الآيات ، فكل كلمة

تنتهي بها الآية تسمى (فاصلة) كما سبق بيانه .

وأكثرهم قالوا بوجود "سجع الفواصل" في القرآن، خاصة عند تماثل الحروف؛ كقوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ۝١ وَكُنْتِ مَسْطُورِ ۝٢ فِي رَقٍ مَّنشُورِ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ ﴾ .

لكن الذي يميز فواصل القرآن: أن كل فاصلة لها معنى غير الأخرى، فلا طول ولا تكرار ولا تكلف فيها من أجل التناسب، بل لم تأت هذه الفواصل الجميلة إلا حسب المعنى؛ مما يزيد القرآن إحكاماً وبلاغة وحلاوة ووضوحاً.. حتى كأن تلك الفواصل لم تُقصَد لذاتها، بل جاءت خادمة لسياق معاني القرآن.

ولننظر قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ۝٣٢ وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحَ إِذْ أَسْفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧ ﴾ .

ومثل ذلك الكلمات: (مئاب - الأبواب - وشراب - أتراب - الحساب) الآيات ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، على التوالي من سورة ص. وغيرها من سائر آيات القرآن؛ وما امتازت به من سلامة المبنى وحلاوة المعنى وترابط المعنى والمبنى.

أثر الفواصل في بلاغة القرآن وجمالها

وقد تتفق الفاصلتان في "الوزن أو القافية" أو في كليهما ؛ وحينئذ يُسمى عند أهل البديع والبلاغة - بحسب ذلك - سجعٌ : متوازن - أو متطرف - أو متوازي . ولا يخفى على العارفين أن القرآن وفواصله في أعلى درجات البيان والنظم ؛ ذلك ؛ لأن ألفاظه معتدلة مُتخَيِّرة تابعةٌ للمقاصد والمعاني ؛ وليس اللفظ والمباني .

وسُمِّيتْ وقفات القرآن ورؤوس آياته "فواصل" : لأنه ينفصل عندها الكلام والمعنى ، وينفصل عندها ما بعدها عن الذي قبلها ، وذلك بحسب المعاني ، كما قال الزركشي في "البرهان" .

وهل للفواصل آثار في جمال التلاوة وتدبرها؟

نعم ؛ هذه الفواصل تزيد القرآن بهاءً وتزيد قارئه تدبراً ، وقد عدّها بعض العلماء قريباً من الأربعين أثراً ، وفيما يلي طرف منها :

(١) **التقديم والتأخير** : كقوله تعالى : ﴿الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ النجم : ٢٥ ، ﴿هَرُونَ

وَمُوسَى﴾ طه : ٧٠ ، ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ الأنعام : ٨٤

(٢) **الحذف والإضافة** : مثل (المتعال) (التناد) حذف منها (الياء) ليتناسب اللفظ مع ما قبله ، ومثل (السبيلا - الرسولا) زاد الألف مراعاة لسجع وتناسب الفواصل .

(٣) **التذكير والتأنيث** : مثل : ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ القمر ٢٠ ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ الحاقة ٧ دُكِّرَ في سياق التذكير (منقعر) ، وأُنْثِ في سياق التأنيث (خاوية) .

(٤) **الإفراد والجمع** : كقوله : ﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان : ٧٤ ؛ لم

يقول : أئمة ، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ القمر : ٥٤ ؛ لم يقل أنهار .

(٥) **كثرة المرادفات:** مثل: ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: ٢٦٩ ﴿لَأُولَىٰ التَّهْمَىٰ﴾ طه: ٥٤ والألباب والنهي هي العقول ، لكن أتى بكل لفظ في المكان الذي يناسب ما قبله وما بعده وزناً وقافية ومعنى.

(٦) **تغيير بُنية الكلمة:** كقوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ التين: ٢ ؛ والأصل "سيناء" ، لكن ختمها بالياء والنون لتناسب فاصلة (الأمين) بعدها ، وليتجانس اللفظ ويزداد وضوحاً وحلاوة ويزيد تدبراً وفهماً ورسوخاً.
أقول:

فهذه بعض الآثار الظاهرة في ألفاظ الآيات ، والتي سببها مراعاة اتحاد الفواصل بين الآيات لخدمة المعاني والمقاصد ، إن ذلك كله من أسرار بلاغة القرآن ؛ وليس لزخرفة اللفظ وإطراب الأذن ؛ كلا ، فالقرآن مُنزه عن ذلك^(١).

(١) وانظر: البرهان للزركشي ٣٥/١ وما بعدها ، والإيتقان للسيوطي ١٩٠/٢ ، والبيان في علوم القرآن للعلامة طاهر الجزائري ، ودرة التنزيل للإمام الإسكافي.

القسم الثاني

[التناسب في المعاني والمواضيع المتكاملة]

هذا القسم كما ذكرت سابقاً خمسة أنواع هي :

- ١ - تناسب القرآن كله بعضه لبعض. ٢ - تناسب الآية الواحدة.
- ٣ - تناسب الآيات مع بعض. ٤ - تناسب السورة الواحدة.
- ٥ - تناسب السور مع بعض.

(١) - تناسب القرآن كله مع بعضه

القرآن كله كلام الله تعالى ؛ فلا شك أنه سيكون متناسباً متماثلاً متشابهاً في بلاغته وفصاحته وإعجازه ودلالته وهدايته وأسلوبه ومقاصده ؛ أوله في ذلك كآخره ، وقليله ككثيره لا فرق.

وهذا التناسب القرآني العام هو الذي فهمه العلماء من مراد الله - تعالى - في

قوله : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣

أي يشبه بعضه بعضاً في أسلوبه وإعجازه وفصاحته ومقاصده وهدايته ؛ ويصدق بعضه بعضاً ؛ ويُفسر بعضه بعضاً ؛ فلا تناقض ولا اختلاف ولا صعوبة في ألفاظه ولا آياته ، وأستغفر الله أن أفصل في هذا النفي.

ألم تر أن السيفَ ينقصُ قدره إذا قيل إن السيفَ أمضى من العصا

(٢) - تناسب الآية الواحدة

ويُسمى (تناسب الصّدر والدّيل) ويسمى أيضاً (التصدير والتوشيح) وكذلك يسمى (ردّ العجز على الصدر)، ومعناه: تذييل الآية بما يناسب أولها؛ أي تنتهي الآية بجملة تؤكد وتفسر وتناسب أولها، وهذا غالب آيات القرآن:

(١) كقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ

يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ النحل: ٢٥، فالوزر جاء في ذيل الآية متناسباً مع ذكره في أولها.

(٢) وكقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا

نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة: ٣٨، فختم الآية بقوله: (عزيز حكيم) لأن قطع اليد وإقامة الحدود موطن عزّة وقوّة وحكمة؛ وليس غير ذلك.

وقد روي في بعض كتب الأدب أن أعرابياً عربياً فصيحاً سمع قارئاً يقرأ هذه الآية فأخطأ فيها فقال "غفور رحيم"؛ فقال الأعرابي هذا أخطأ أو ليس بقرآن؛ قالوا: لماذا؟ قال: كيف تُختم الآية بالرحمة والموطن فيها موطن عزّ وقوّة؟! فصحّ له.

وذيل الآيات ضربان:

(الأول): ما هو كالقاعدة أو المثل السائر؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿إِنَّ البَطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجًا﴾، ومعلوم أن القاعدة أو المثل أنه ينطبق على معانٍ كثيرة، ويدخل تحته أشياء متعددة.. فضلاً عن شموله لمطلع الآية وصدرها.

(الثانى): ما ليس بقاعدة ولا مثل ؛ ولا يخرج مخرجهما ، فهو خاص بمطلع

الآية ؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ ؛ أي لا يُجْزَىٰ بمثل ذلك إلا كل كفور ، وقوله تعالى: ﴿الْأَسَاءَ مَا يَرْزُونَ﴾ .

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ النساء: ٣٤ ، جاء هذا التهديد ذيلٌ لآية علاج (النشوز) ؛ حيث كان مناسباً جداً أن تتذيل به هذه الآية ليكون تهديداً للأزواج الظالمين المُفْرِطِينَ فِي الْهَجْرِ وَالضَّرْبِ ، والمستعلين على زوجاتهم ؛ وليبين لهم إذا عَلَوْا وَتَكَبَّرُوا أن الله أعلى وأكبر وأقوى وأقدر منهم فلا يَظْلَمُو الزوجات.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ تذييلٌ ناسب الدعاء الوارد في أول الآية في قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ آل عمران: ١٩٤ ، فهو صدرٌ تَوْشِّحٌ وَتَجَمَّلٌ بذلك التذييل الجميل ؛ وهو عَجْزٌ رَجَعَ عَلَىٰ ذَلِكَ الصِّدْرِ تَوْسَلًا ؛ وليؤكِّده.

وما يقال في هذه الآية وما دُكِرَ قبلها يقال في عامة آيات القرآن صدورها وذيولها وخواتمها .. إلا القليل.

ومن الآيات ما هي وحدة كاملة مترابطة بلا ذيل ولا صدر ؛ بحيث لا معنى لأولها إلا بآخرها ؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الزمر: ٦٥ ، فهذه الآية الكريمة وما يماثلها لا يجوز الوقوف والبدء في أثناءها عند أحد من القراء ؛ لأن في قطعها يصير قطعاً لمعناها وإيهاً بالمحذور..

فلو قطعها ثم بدأ بقوله: لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ .. فكأنه ينسب حبوط العمل للنبي ﷺ.

(٣) - تناسب الآيات مع بعضها

فما من آية في القرآن إلا وهي في المكان المناسب لها معنى وأسلوباً وفصاحةً ، ذلك أن النبي ﷺ كان يقول لكتبته: (ضَعُوا آيَةَ كَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا) ^(١) ، وهو أعلم الخلق بكتاب ربه - تعالى - وترتيبه وتناسبه.

ومتأمل القرآن يدرك ذلك ، حتى الاستطراد يكون مناسباً في مكانه ؛ لأنه إما يعود لبيان ما قبله أو إلى مطلع الكلام أو السورة.

فمثلاً: في أول سورة البقرة ؛ الحديث عن (المؤمنين) ؛ فناسب أن يتكلم بعده عن طائفتي (الكافرين والمنافقين) ؛ ليشمل الكلام سائر طوائف البشر في مكان واحد ؛ وسياق واحد.

ومثال آخر: (آية الرهان) في آخر سورة البقرة ، ناسب إتيانها بعد (آية الدين) قبلها ؛ لأن موضوعهما واحد هو : توثيق الأموال.

ومثال ثالث: وهو ما قد يستثير السؤال عن آيات في سورة الأحزاب ؛ هي قوله تعالى: ﴿ وَأَوْزَحْتُمْ أَرْضَهُمْ وَدَيْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَاتِهِمْ تَطَعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧ ﴾ يتأيتها النبيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿ الأحزاب: ٢٧ - ٢٨ ، كيف انتقل فيها من ذكر (القتال والغنائم) إلى (نساء النبي والحجاب) ؛ فما هو التناسب والارتباط بينهما؟!

والجواب : أن الآية الأولى فيها القتال والغنائم وتملك أموال وأراضي يهود خيبر ؛ وهذا أمرٌ يدعو الرجال والنساء للاستشراف والطمع في المال والغنائم والنيل منها ؛ ومنهم نساء النبي ﷺ ؛ أردنَ المال وطمعن فيه وفي الغنيمة ..

(١) رواه أبو داود (٧٨٦) في كتاب الصلاة.

فأمر الله رسوله أن يناديهم ويذكرهن بأن الآخرة ونعيمها خير من الدنيا
وغنائمها: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أَمْ تَتَذَكَّرُونَ أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا﴾

ثم ناسب بعد ذلك أن يسترسل في أمور النساء وأحكامهن في باقي السورة (١).

(١) انظر: تفسير بن كثير وتفسير الخازن وتفسير أبي بكر الجزائري عند هذه الآيات ٢٧ - ٢٨
من سورة الأحزاب.

(٤) - تناسب السورة الواحدة

ومعناه أن سور القرآن الكريم كل سورة متناسبة ومتقاربة في مطلعها وخاتمها وفواصلها ، فكان كل جزء منها مكمل للآخر ، مما يوحد موضوعها ، وقد يُذكر في أول السورة شيء ثم يأتي تفصيله في ثايلها :

كسورة يوسف : جاء في أولها إشارة لقصة يوسف : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ

وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلنَّاسِ لِيُنظَرُوا فِي سَوَآتِهِمْ يوسف: ٧ ؛ ثم فصل قصته في نفس السورة.

وسورة النحل : في مطلعها : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ

رَحِيمٌ النحل: ١٨ ؛ ثم عدد كثيراً من تلك النعم في ثايل السورة.

وسورة المؤمنون : مطلعها : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ؛ وخاتمها : ﴿إِنَّهُ لَا

يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ؛ وذلك مع بعضه فيه تناسب عظيم واضح !.

وسورة النور : جاء في ثايلها الحث على حفظ الأعراض والفروج وتأديب

المجتمع بوجوب الاستئذان وغض البصر وأدب البيوت .. ؛ فكان ذلك مناسباً جداً لما جاء في أول السورة من ذكر حد الزنا والقذف والإفك .. ؛ لأن ذلك من رباط الشيء بسببه.

وسورة العنكبوت : جاء في أولها الحث على جهاد النفس : ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا

يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، ثم ناسب أن تُختم السورة بما بدأت به ، فقال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ؛ فناسب ذكر الجهاد

في أولها وفي آخرها ؛ مما يبين وحدتها الموضوعية.

هذه أمثلة لباقى سور القرآن الكريم ؛ تدل على ما لم يُذكر من السور (١) .

(١) وانظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ؛ للسيوطي ، تحقيق د.محمد الشوربجي.

(٤) - تناسُب سُورِ الْقُرْآنِ مَعَ بَعْضِهَا

وهذا النوع هو الأطول عن ما سبقه ، ولكن ثماره ولذيذ أخباره وعجيب أسراره تُنسي طولَه ، وتجذب إليه ، وتُشوّق لمعرفة والاطلاع عليه ..

فَتَنَاسُبُ سورتين أو أكثر .. **معناه** : أنها متقاربة في مواضيعها أو طابعها العام ؛ مما يجعل من المناسب أن تكون متتابعة متقاربة في ترتيبها التوقيفي في المصحف .

وَمِنْ تَنَاسُبِ السُّورَتَيْنِ - أَوِ السُّورِ - : أن تتناسَب خاتمة الأولى ببداية الثانية أو يُفَصَّل في الثانية ما أُجْمِل في الأولى ، أو أن تتناسب الحروف المُقطّعة فيها ؛ كالحواميم والمسبحات وذوات الر .. ؛ فإنها لما تناسبت تابعت في ترتيبها التوقيفي في المصحف .

قال الإمام السيوطي : (مَنْ تَأَمَّلَ الْقُرْآنَ وَسُورَهُ : ظَهَرَ لَهُ أَنَّ قَاعِدَتَهُ : أَنْ كُلَّ سُورَةٍ شَرَّحٌ وَتَفْصِيلٌ لِمَا قَبْلَهَا^(١)).

فلننظر فيما يلي تناسب بعض السور ؛ حسب هذه المعاني والمناسبات المذكورة ؛ على سبيل الذكر والتمثيل فقط ؛ لأن تناسب القرآن بحر واسع .. وفي تفسير الشيخ محمد الصابوني (صفوة التفاسير) الكثير والكثير من ذكر المناسبات بين كل آية وسورة ، يضعه المؤلف تحت عنوان (المناسبة) بعد كل آيتين أو ثلاث ، وقد وُفِّق فيه ، والله الموفق .

وإلى شيءٍ من ذلك التناسُب بين السُّور :

(١) تناسق الدرر في تناسب السور ص ٦٥ للإمام السيوطي . تحقيق عبد القادر عطا .

التناسُب بين الفاتحة والزهراوين :

الزهراوان هما البقرة وآل عمران ، وترتيب البقرة ثم آل عمران بعد الفاتحة بهذا الترتيب فيه تناسب مهم وعجيب .

(**فجاء في الفاتحة**) ذِكْرٌ مُجْمَلٌ (للمغضوب عليهم) وهم اليهود ، و(الضالين) وهم النصارى ، ثم فَصِّلَ هذا الإجمال في سورتي البقرة وآل عمران بعدها..

ففي سورة البقرة : عامة خطابها عن (اليهود) "المغضوب عليهم" ؛ وما أنعم الله به عليهم من الأنبياء والكتب والرزق .. وفيها عَرَضٌ لمواقفهم المخزية من الكفر، والعناد، والكبر، وقتل الأنبياء ..؛ كما قال تعالى عنهم : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ البقرة: ١٠٢ ، وقال عنهم : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ البقرة: ٥٥ ، وقال تعالى : ﴿وَلَن رَّضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ البقرة: ١٢٠ .

أما سورة آل عمران : فعامتها خطابها عن (النصارى) "الضالين" ، وفيها قمع دعاواهم وردّ شُبُههم وأباطيلهم ؛ وإبطال معتقداتهم الفاسدة في عيسى عليه السلام.

جاء في الصحيحين ، وفي سيرة ابن هشام ، وذكر ابن كثير في تفسيره : أن نيفاً وثمانين آية من أول آل عمران كلها نزلت في وفد نجران النصارى الذين وفدوا على رسول الله ﷺ في عام الوفود (العام ٩هـ) ، يدّعون بطلان رسالة محمد ﷺ ويدّعون ألوهية عيسى عليه السلام!.

فرّد الله باطلهم ، وبيّن أنه أنزل الإنجيل على عيسى - عليه السلام - ، وأن عيسى بشرٌ من تراب ، وينتمي لأسرة آل عمران ، ودُكِرَ قصة حمل أمه به

وبدايته ، وقال في هذه السورة : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ آل عمران: ٥٩ .

وفي سورة النساء قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ النساء: ١٧١ .

ثم في آخر هذه السورة - سورة آل عمران - استثنى الله تعالى المؤمنين والصلحاء من النصارى ؛- كالنجاشي النصراني الذي أسلم - ، فقال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ آل عمران: ١٩٩ .

إذن فما في البقرة وآل عمران هو تفسير وشرح لقوله تعالى في الفاتحة : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ الفاتحة: ٧ ، وهو تناسب عجيب وإعجاز عظيم .

التناسب بين سورتي البقرة وآل عمران :

في تتابعها بهذا الترتيب تناسبٌ وتقاربٌ واضحٌ ومُعجزٌ.

فمثلا في آية البقرة : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ ؛ إجمالُ فُصْلٍ ووضوحٌ في آية سورة

آل عمران : ﴿وَأَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلْنَا الْفُرْقَانَ﴾.

وفي سورة البقرة : ذِكرُ خَلْقِ أبينا "آدم" - عليه السلام - من ترابٍ وبلا أب.

وفي آل عمران : ذِكرُ خَلْقِ "عيسى" - عليه السلام - من ترابٍ وبلا أب ..

وفي هاتين السورتين استكمال الحديث عن أهل الكتاب ، ففي (البقرة) أخبار

اليهود ، وفي (آل عمران) أخبار النصارى.

وأما سورة النساء

فالذي ناسب إلحاقها بالفاتحة والبقرة وآل عمران ؛ هو تقاربها مع ما سبقها في

أشياء كثيرة.

ففي سورة البقرة إجمالٌ لأُمُورِ القتال والهجرة والموارث والنساء والطلاق

ونظام الأسرة .. ، وفي "سورة النساء" تفصيلٌ وتوضيحٌ ذلك كله وبالذات

الموارث.

ومن تناسقٍ ترتيب سورة النساء بعد الفاتحة والزهاوين أن في (الفاتحة) ذِكرُ

المُنعم عليهم ، وفي سورة النساء توضيحهم : ﴿.. النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾

وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩ .

وأما سورة المائدة

ففيها من التناسب مع ما قبلها الشيء الكثير، كذكر باقي الأطعمة المحرمة المذكورة في سورة البقرة إجمالاً ؛ فصّلت في سورة المائدة في قوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى التُّصْبِ وَأَنْ تَسْنَقُوا

بِالْأَرْزَاقِ ذَلِكُمْ فَسُقُ ﴾ المائدة: ٣ .

ومثل إباحة نكاح الكتايات ؛ جاء في المائدة.

ومثل تفصيل أحكام الصيد حال الإحرام والحج ؛ المذكور في البقرة وآل عمران فصّل في سورة المائدة ، مما ناسب إتيانها على هذا الترتيب.

كما أنه جاء فيها فروض وأمور لم تأت فيما قبلها ؛ أو أتت على سبيل

الإشارة ..

كالطهارة : أشارت لها سورة البقرة من غير تفصيل ؛ وفي سورة المائدة جاء

تفصيل الطهارة بأنواعها : الغسل والوضوء والتيمم.

وأما سورة الأنعام

فهي أول المكيّات ترتيباً بعد الفاتحة ، وناسب إتيانها بهذا الترتيب في المصحف تعلقها الواضح بتفصيل ما سبق من التوحيد والإيمان والرسول .
ووجه آخر عظيم : هو أنها مبدوءة بالحمد ، وهي خامسة خمس سورٍ مبدوءة بالحمد : هي الفاتحة - والأنعام - والكهف - وسبأ - وفاطر .
والأعجب من ذلك : أن هذه الخمس المبدوءة بالحمد ؛ الترتيب التوقيفي لكل منها على بداية رُبع المصحف ..

- (الرُبع الأول) : مبدوء بالفاتحة : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ .
 (الرُبع الثاني) : مبدوء بالأنعام : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ** .. ﴾ .
 (الرُبع الثالث) : مبدوء بالكهف : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ** .. ﴾ .
 (الرُبع الرابع) : مبدوء بسبأ : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ .

وأما سورة الأعراف

فمناسبة ترتيبها بعد الأنعام : أنها فسّرت وفصلت بعض ما في سورة الأنعام بتفصيلٍ لم يأت في غيرها مثله .

ففي الأنعام قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ** ﴾ الأنعام: ٢ ؛ آيةٌ مُجمّلة جاء تفسيرها في سورة الأعراف بعدها ؛ في أكثر من (٢٠) آية ، بذكرٍ كاملٍ لبدء خلق البشر ؛ وصراع أبيهم آدم مع إبليس ..

وفي الأنعام قوله تعالى : ﴿ **الْمَيْرُوا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ** ﴾ الأنعام: ٦ ؛ فيها إشارةٌ مُجمّلةٌ للقرون السابقة ؛ وفي (سورة الأعراف) تفصيلها كاملة ، حيث ذكرت أخبار تلك القرون : قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وموسى ..

وأما سورتا الأنفال والتوبة

فإن ترتيبهما هذا ترتيبٌ توقيفيٌّ بأمر عثمان - رضي الله عنه - ، وأجمع الصحابة على ذلك ، فلا يجوز العدول عنه ، ولا يُسَمَلُ لبراءة ؛ لأنها نزلت بالسيف ودم المنافقين ؛ والبسمة أمان ورحمة ؛ ولا يجوز الترحم على الكفار وحديث السورتين متقارب يدور حول الجهاد والغزوات وقتال الكفار والمنافقين ، والمعاهدة معهم ، والغنائم ونحوها ..؛ السورتان في ذلك سواء ، مما جعل بينهما مناسبة وتناسب يقتضي تتابعهما ، ولا شك أن هذا من عجائب القرآن وإعجازه.!

أما ذوات ﴿الر﴾ الست

وهي السُّورُ: يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ؛ فإنها أتت بعد التوبة ، وناسب أن تكون متقاربة ومتتابعة في ترتيبها ؛ لاتحاد فواتحها بـ(الر) ؛ ولتشابهها في ذكر قصص الأنبياء وأقوامهم ..؛ فهي متكاملة مناسبة ، وذلك واضح لكل قارئ متأمل متدبر.

وبين سورتي (إبراهيم والحجر) ارتباط وتناسب ، حيث ذكر في آخر سورة إبراهيم : تصفيد الكفار وغشيانهم بالنار ، حتى يتمنون أنهم أسلموا لينجوا من النار.. ؛ فناسب في بداية سورة (الحجر) بعدها الإفصاح عن رغبتهم : ﴿رُبَّمَا

يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: ٢).

ثم النحل والإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء

تتابعت هذه السور بتناسبها وكونها مكية النزول ؛ ولأنها أول ما نزل ، كما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال في الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء : (إنهن من العتاق الأول وإنهن من تِلَادِي) ^(١) .
ومما تساوى وتناسب فيه حديث هذه السور : ذكر البعث والآخرة وأدلة قدرة الله تعالى على ذلك.

أما الحج والمؤمنون والنور

ففي تتابعها من التناسب الشيء العجيب ؛ وما لا يخفى على لبيب ،
"فالحج" فيها قوله تعالى : ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الحج : ٧٧ ،
ثم فصل هذا (الحج والفلاح) في سورة "المؤمنون" بعدها ؛ في العشر الآيات
الأول منها ؛ وهي قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ
لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠﴾ .

ومن بين هذه التفصيلات المثمرة بالفلاح أمرٌ مهمٌ ؛ وهو (حفظ الفروج)
الذي ذكر إشارةً فقط في سورة المؤمنون : (وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ) ، لكنه
فصلٌ وشرحٌ شرحاً وافياً في "سورة النور" التي تلي سورة "المؤمنون" .

ففي سورة النور تفصيل الحدود : القذف ، والزنا ، واللعان ، وحادثة
الإفك ، وآداب البيوت ، وحفظ النظر ، والاستئذان ..
فكانت سورتا (المؤمنون والنور) شيئاً واحداً لموضوع واحد ، فسبحان
منزلهما والمتكلم بهما.

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٩٠) وبرقم (٤٩٩٤) في فضائل القرآن.

**ثم : الفرقان والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان
والسجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس والصفات و ص.. وحتى الزمر:**

هذه الخمس عشرة سورة في تتابعها تقاربٌ وتناسب ؛ لأن عموم حديثها عن
قصص الأنبياء أو بعضها ؛ وذكر التوحيد والبرهنة عليه من الكون ، فناسب أن
تتأبع في ترتيبها.

ثم الحواميم السبع

وهي : غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ،
والأحقاف.

سُميت بالحواميم لافتتاحها بـ ﴿حَمَّ﴾ ، حيث استوت هذه السور في فواتحها
ومواضيعها ، وكونها مكية ؛ فكان تتابعها متناسباً جداً.

ثم السُّور : محمد والفتح والحجرات

سورة (محمد) - القتال - حديثها عن القتال ووجوبه وفضله ؛ فناسب أن
يَعقبها سورة الفتح والحجرات في الترتيب ، حيث :

في سورة (الفتح) : قتال الكفار.

وفي (الحجرات) : قتال البغاة.

فهما مكملتان لسورة محمد ، لا سيما وفي سورة الفتح الاستبشار بالفتح

والنصر ، فلننظر لهذا التناسب العجيب.!

ثم الأجزاء الأربعة الأخيرة من القرآن : جزء الذاريات ، وجزء المجادلة ، وجزء تبارك ، وجزء عم

هذه الأجزاء الأربعة هي (المفصل) ؛ سمّاها النبي ﷺ بذلك لكثرة سورها وتناسبها في الطول والقصر ؛ وتقاربها في المعاني .. ، وللفضل بينها بالبسملة^(١) .
وكل سورة في هذه الأجزاء فيها من اللطائف والتفصيلات ما يناسب ما قبلها.

وفيها سُور (المُسَبِّحات) الأربع متتابعة : الحديد ، والحشر ، والصف ، والممتحنة ، ناسب أن تتقارب لتقارب طولها ، وبينها المجادلة مثلها ، وبين (جزء الذاريات) و (جزء تبارك) تناسبٌ في طول السور.

ومن تناسب سُور (جزء عم) أن بعضها شرّح لبعض ..

فمثلا : (الماعون) فيها ذم وتحذير من (ترك الصلاة - ومن الرياء - ومن منع الماعون والزكاة) ، فناسب أن أتى بعدها سورة (الكوثر) التي فيها الأمر بصد هذه الثلاث : (فصلّ - لرَبك - وانحر) .

ومثلاً (الإخلاص والمعوذتان) : تقاربت وتتابعت لكونها متناسبة ومتشابهة في ذكر التوحيد والدعاء ، وفيها الشفاء والرقية ودفع الضر ، ومشروعية قراءتها بعد كلّ الصلاة وفي الصباح والمساء .. إنه تناسبٌ عجيب !

قال الإمام السيوطي - رحمه الله - : (وهذه الوجوه والمناسبات بالنسبة للقرآن كنقطة من بحر!)^(٢) .

(١) المفصل من سورة ق إلى الناس ، وطواله من ق إلى البروج ، وأواسطه من البروج إلى البينة ، وقصاره من البينة إلى الناس .

(٢) تناسق الدرر في تناسب السور ؛ للسيوطي ص ٨٧ تحقيق عبد القادر عطا .

الفصل الحادي عشر

رَسْمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
(الرسم العثماني)

وما فيه من الحكَم والإعجاز

الرسم العثماني خصيصة قرآنية

إن من الخصائص الإعجازية للقرآن : رسمه بالخط العثماني ؛ وأن في هذا الرسم لمسات إعجازية عظيمة ؛ وأنه يجب التوقف في خطه على هذا الرسم.

و"الرسم" : هو الخط ، والكتابة ، والرقم ، وهو نوعان :

١ - عثماني : وهو الذي كُتب به المصحف الشريف ؛ نسبةً لعثمان ؛ رضي الله عنه.

٢ - قياسي (إملائي) : وهو الذي يخضع للقواعد المتجددة ، ونكتب به الآن ، ولا يجوز أن يُكتب به المصحف على أصح قولِي العلماء ؛ كما سيأتي.

وقد نُسب رسم المصحف إلى (عثمان بن عفان) - رضي الله عنه - لأنه أمر أن يُكتب المصحف بهذا الرسم الثابت من عهد الرسول ﷺ ؛ وهو الرسم الذي كُتب به "كتاب الوحي" بين يدي رسول الله ﷺ ، فلما رأى عثمان اختلاف القراء في القرآن والقراءات أمر بتشكيل لجنة تخطّ مصحفاً موحداً للأمة كلّها حتى لا تختلف ، ثم نسّخه عدة نُسخ بعدد الأمصار ليرسله إليها ، كالشام والكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن.

وقد تلقى الصحابة هذا العمل بالقبول وأجمعوا عليه ، وصار المصحف يُكتب به إلى اليوم ؛ وصار هذا الخط سراً من أسرار الإعجاز والحفظ القرآني إلى اليوم وإلى ما شاء الله.

ومما يميّز الرسم العثماني أنها تزداد فيه حروف وتنقص حروف عن أصل اللفظ ، مثل زيادة ياء في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّدِي ﴾ الذاريات: ٤٧ ، وقلب الألف واواً في قوله : ﴿ الصَّلَاةَ ﴾ ﴿ الزَّكَاةَ ﴾ البقرة: ٤٣ ، وزيادة ألف في قوله : ﴿ لَا أَذْبَحْنَهُ ﴾ النمل: ٢١ ، ونقص الألف في قوله : ﴿ أَلِكْتَبْ ﴾ البقرة: ٢ ؛ كل ذلك لحكم وأسرار

استنبط العلماء شيئاً منها ؛ وقالوا: قد تكون للتعظيم ؛ أو التفخيم ؛ أو التخصيص ؛ أو التخفيف ؛ أو لتشمل القراءات المختلفة..

مثلا: ﴿الصَّلَاةُ﴾ ﴿الزَّكَاةُ﴾ ﴿كَيْشْكُورَةٌ﴾ قيل : قلبت الألف واواً تفخيماً لشأنها.

وقوله : ﴿الزَّيْكَ نُظْفَةٌ﴾ القيامة: ٣٧ ، قيل : حُذفت النون لهوان منشأ الإنسان^(١) . وقد راعى الكتّبة أن يكون خط المصحف ورسمه مطابقاً للقراءات القرآنية ما أمكن ، كقوله : ﴿يُخَادِعُونَ﴾ البقرة: ٩ ؛ رُسمت هكذا بدوت ألف لتشمل القراءتين المتواترتين بها (يُخَادِعُونَ - يُخَادِعُونَ) ، ومثل : ﴿قَالَ﴾ في أوائل وأواخر سورة الأنبياء - وفي بعض الآيات - رُسمت هكذا لتشمل القراءتين المتواترتين (قَالَ - قال) ، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

مِن فَوَائِدِ الرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ

- ١- حَمَل الناس على قراءة القرآن ليستوثقوا من ألفاظه وأدائه ، ولا يُحرّفوه.
- ٢- اتصال سند التلاوة والقراءة والتلقي لفظاً وخطاً برسول الله ﷺ.
- ٣- إظهار الإعجاز القرآني ؛ حتى في خطه ورسمه ؛ ليكون معجزة باقية على مرّ الأجيال.
- ٤- تحقيق شرطٍ من شروط تواتر القراءة ، وهو : (موافقة هذا الرسم) الذي روعي في كتابته أن يكون مُحتمِلاً لوجوه (القراءات المختلفة) حتى لا تضيق ، ولو رُسمت المصاحف بدون مراعاةٍ للقراءات فستُخْفَى علينا ، وقد لا يوجد ما يُدَكَّرُ بها غير التلقي.

(١) البرهان للزركشي ٣٧٦/١ وما بعدها.

هل الرسم العثماني توقيفي ملزم أم اجتهادي؟

فيه خلاف بين العلماء :

فمنهم من قال : إنه اجتهادي ؛ لأنه لم يثبت بذلك نصٌ من كتاب ولا سنة ولا إجماع ، ولأن قواعد الإملاء تتغير حسب الزمان والمكان.

لكن القول المعتمد الراجح عند العلماء سلفاً وخلفاً : هو أن رسم المصحف توقيفي ؛ رَسَمَ به كُتَّاب الوحي ، وأقرّه عثمان - رضي الله عنه - وأجمع عليه الصحابة ، وعليه لا يجوز مخالفته بحجة التسهيل على العامة ؛ لأن ما كان صعباً فإنه يؤلّف مع كثرة التلاوة.

ولأن مخالفته تؤدي إلى الأخطاء والتذبذب والتغيير ومخالفة بعض القراءات المتواترة ، ثم إنه لا حاجة لتغييره فهو سهل واضح ويسير ؛ حتى للأطفال والعجزة ، فالبقاء عليه واجب.

شبهة وردّها ؛ حول الرسم العثماني

يعتقد بعض الناس - خطأً - أن الرسم العثماني الحالي للمصحف من وضع وإنشاء عثمان بن عفان ؛ رضي الله عنه ، والصواب : أن خط المصحف المكتوب به الآن كُتِبَ من عهد رسول الله ﷺ وبين يديه ، كتبه كُتَّاب الوحي ؛ ومنهم : زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، وبقي القرآن الكريم متفرقاً ؛ حتى أمر عثمانُ بجمعه في مصحفٍ واحد على ما هو عليه من النقط والكتابة ، ونسخه عدة نسخ بحاله ؛ ووزّعه على الأمصار فُسِّبَ إليه ؛ نسبةُ جمع لا نسبة إنشاء ، وسَمَّوه (مصحف عثمان الإمام) ؛ لأن عثمان أَمَرَ بالالتزام برسمه ، وصار عند الصحابة والعلماء محل إجماع ؛ لا تحق مخالفته^(١).

(١) الإتيان للسيوطي ١٦٧/٢ ط الحلبي.

أهمية الرسم العثماني في توضيح القراءات

كثير من الكلمات القرآنية فيها قراءتان فأكثر ، وبعض الكلمات فيها قراءات متعددة متواترة ، لكنها رُسِمَت رسماً واحداً في جميع المصاحف ، وهذه تُعرَف بالشكل أو بالتلقي من المشايخ المقرئين ليس غير.

ومن الكلمات ما حُذِفَ منها حرف أو زيد عليها حرف ؛ وذلك للدلالة على أن فيها قراءة أخرى صحيحة متواترة.

وفيما يلي : نماذج وأمثلة من الكلمات ذات القراءتين والرسم الخاص المحتمل للقراءات المختلفة ، وهي (ثمانية أصناف) يدور عليها اختلاف القراءات ؛ هي :

- ١ - كلماتٌ حُذِفَ منها حَرَفٌ.
- ٢ - كلماتٌ زيدَ عليها حرفٌ.
- ٣ - كلماتٌ بُدِّلَ فيها حرفٌ بحرفٍ.
- ٤ - كلماتٌ تَغَيَّرَ لفظها ومعناها.
- ٥ - كلماتٌ رُسِمَت رسماً واحداً في جميع المصاحف.
- ٦ - كلماتٌ حُذِفَ الألفُ مِنْ بُنْيَتِهَا ، لكنه يُنْطَقُ.
- ٧ - كلماتٌ حُذِفَتْ ياؤها الأصلية.
- ٨ - كلماتٌ رُسِمَت هاء التانيث فيها مفتوحة وليست مربوطة.

أولاً: ما حُذِفَ منها حرفٌ ، للدلالة على قراءةٍ أخرى متواترة.

مثل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ آل عمران: ١٣٣ ، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْتُوا﴾

الَّذِينَ ﴿المائدة: ٥٣ ، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ التوبة: ١٠٧ .. هذه الآيات

حُذِفَ مِنْهَا (الواو) فِي قِرَاءَاتٍ أُخْرَى مُتَوَاتِرَةً كَقِرَاءَةِ نَافِعٍ وَقِرَاءَةِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَرُسِمَتْ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِدُونِ وَاوٍ ؛ عَلَى قِرَاءَةِ الْمَكِّيِّينَ ^(١) .

ومثل: ﴿حَسَنًا﴾ العنكبوت: ٨؛ بحذف الألف والهمزة.

ومثل: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ الحديد: ٢٤؛ تُقْرَأُ بِقِرَاءَةِ نَافِعٍ: (فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيَّ) بِحَذْفِ "هُوَ"، خِلَافًا لِعَاصِمٍ وَمَنْ وَافَقَهُ.

ثَانِيًا: مَا زِيدَ فِيهَا حَرْفٌ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى قِرَاءَةِ أُخْرَى مُتَوَاتِرَةً.

مثل: (وأوصى) بزيادة همزة؛ على قراءة نافع ومن وافقه، في قول الله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ﴾ البقرة: ١٣٢.

ومثل: (وبالزبر) بزيادة "باء" على قراءة نافع ومن وافقه؛ في قول الله تعالى:

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ آل عمران: ١٨٤.

ومثل: (وقال الملأ الذين استكبروا) بزيادة واو؛ على قراءة نافع ومن

وافقه، في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ الأعراف: ٧٥.

ومثل: (ومن يرتدد) بزيادة دال لفك الإدغام، على قراءة نافع ومن وافقه،

في قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ المائدة: ٥٤.

وهكذا قوله: ﴿مَامَكْنِي﴾ الكهف: ٩٥، ﴿وَنَزَلَ الْمَلَكَةُ﴾ الفرقان: ٢٥ ﴿أُولِيَاتِي﴾

النمل: ٢١، ﴿تَأْمُرُونِي﴾ الزمر: ٦٤؛ قُرِئَتْ كُلُّهَا بِفِكَ الْإِدْغَامِ وَزِيَادَةِ الْحَرْفِ

المدغم (ما مكني - ونزل - ليأتيني - تأمروني)، فهذه كلها قراءات متواترة

(١) على قراءة عاصم ومن وافقه: (وسارعوا - ويقول - والذين) بالواو، أما على قراءة نافع

ومن وافقه؛ فتقرأ بدون واو (سارعوا - يقول - الذين)؛ والكلمة وردت وصحيح دل عليه

دل عليها هذا الرسم العثماني المكتوب به بعض المصاحف الشامية والكوفية ، غير قراءة عاصم براوييه شعبة وحفص - رحمهم الله جميعاً ..

ثالثاً : ما يُبدل فيه حرف بحرف ، للدلالة على قراءة أخرى .

كقوله تعالى : (إلا قليلاً منهم) بالنصب بدل الرفع ؛ في غير قراءة عاصم ، في

قوله تعالى : ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ النساء: ٦٦ .

وقوله : (فتوكل) بالفاء بدل الواو ؛ في غير قراءة عاصم ، في قوله تعالى :

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ الشعراء: ٢١٧ .

وقوله : (أشد منكم) منكم بدل منهم ؛ في غير قراءة عاصم ، في قوله

تعالى : ﴿هُمَّ أَشَدُّ مِنْهُمْ﴾ غافر: ٢١ .

وقوله : (ذا العصف) بدل ذو ، و(ذو الجلال) بدل ذي ؛ في غير قراءة

عاصم ، في قوله تعالى : ﴿ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الرحمن: ١٢ ؛ ﴿ذِي الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن: ٧٨ .

وقوله : (وكل وعَد) بالرفع بدل النصب : وكلاً ؛ في غير قراءة عاصم ، في

قوله تعالى : ﴿وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِ﴾ الحديد: ١٠ .

وقوله : (فلا يخاف عقبها) بالفاء بدل الواو ، على رواية قالون عن نافع

ومن وافقه ؛ في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾ الشمس: ١٥

رابعاً : ما تغير لفظه ومعناه.

مثل : (نشرها) بالراء بدل (نشزها) بالزاي ؛ في قوله تعالى : ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ البقرة: ٢٥٩ .

ومثل : (ينشركم في البر) بدل (يسيركم) ؛ في قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يونس: ٢٢ .

ومثل : (أنجيتنا من هذه) بدل (أنجانا) ؛ في قوله تعالى : ﴿لَئِن أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ: ٦٣ .

وقوله : (قال سبحان ربي) بدل (قل) ؛ في قوله تعالى : ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ الإسراء: ٩٣ ، والأمثلة كثيرة.

خامساً : كلمات رُسمت رسماً واحداً في جميع المصاحف العثمانية لتحتمل برسمها ذلك جميع القراءات فيها.

كقوله : (يَكْذِبُونَ) (تَظَاهِرُونَ) بالتخفيف وبالشد ، (يُكْذِبُونَ) في قوله تعالى : ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ البقرة: ١٠ والتوبة ٧٧ ، ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكْذِبُونِ﴾ القصص: ٣٤ والانشقاق ٢٢ .

وقوله : (تَظَاهِرُونَ) بالتخفيف والشد ؛ في قوله تعالى : ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ البقرة: ٨٥ .

وقوله : (ترجعون - يرجع - حسناً) ..، وغيرها مما لا يتميز إلا بالحركات، ومعرفة لا تكون إلا بالتلقي من أفواه المشايخ والقراء.

سادساً : كلمات حذفت الألف من بُنيّة نطقها ، فترسم بدونه لتحتمل القراءة الأخرى التي بدون ألف ، وتدل عليها.

وهذه "الألف المحذوفة كتابةً" عوّض عنها العلماء والخطاطون بعلامة تدل على نطقه في القراءة التي يُنطق فيها ، والعلامة هكذا: (٣) في بعض المصاحف. كقوله تعالى: ﴿مَلِكٌ﴾؛ رُسِمَت بدون "ألف" لتدل على القراءة المتواترة (مَلِك). ومثل ذلك الكلمات: ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ ﴿وَعَدْنَا﴾ ﴿الرِّيحِ﴾ ﴿الزَّمَنَةُ طَبْرَهُ﴾ ﴿لَسَجْرٌ﴾ ﴿خَلَقَكَ﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿قَرِهَيْنَ﴾ ﴿فَنَكِهَيْنَ﴾ (١).

فهذه الكلمات وأمثالها في كلٍ منها قراءتين : قراءة بالألف ، وقراءة بدون ألف ، فرُسِمَت هكذا لتحتمل كل الوجوه .. وهذا مُراعاةٌ من كُتبة الوحي لهذه المسألة ؛ رضي الله عنهم وأرضاهم وجزاهم عن القرآن والأمة خير الجزاء.

(١) أما الكلمة: ﴿قُرْءَانًا﴾ في سورة يوسف آية (٢) ، وسورة الزخرف آية (٣) ؛ فرُسِمَت هكذا بدون ألف مع وجوب نطق الألف ، خلافاً لغيرها من المواضع .. فجاءت الكلمة نفسها مرسومة رسماً عادياً بالألف هكذا: ﴿الْقُرْءَانَ﴾ وحتى في سورة يوسف نفسها آية (٣) وهذا من عجائب وإعجاز الرسم القرآني ؛ لِحِكْمٍ قد ندرَكها أو لا ندرَكها!.

سابعاً : كلمات حذفت ياؤها الأصلية من آخرها للدلالة على وجوب

الوقف عليها بدون ياء ، كما جاء عن النبي ﷺ .

مثل : (الداع - دعان - يؤت - ننج - نأت - المتعال - المهتد - نبغ - الواد -
الباد - هاد - باق - واق - وال - صال - التلاق - الجوار - المناد - تغن -
يسر).

ومما حذفت (الواو) منه - للدلالة على وجوب الوقف عليها بدون واو - قوله
تعالى : (ويدع الإنسان - يمخ الله - يدع الدع - سندع الزبانية).

ثامناً : كلمات مؤنثة رُسمت تاء التانيث فيها مفتوحة وليس مربوطة.

وذلك للدلالة على وجوب الوقف عليها بالتاء وليس الهاء ؛ لمن وقف عليها
اضطراباً أو اختياراً ، وذلك عند عامة القراء ؛ إلا (ابن كثير المكي) فإنه يقف
عليها بالهاء ، وهي في (١٢) كلمة في القرآن ، ومع التكرار قرابة (٤٠) كلمة :

- ١ - رحمت الله - رحمت ربك ؛ في (٧) مواضع من القرآن.
- ٢ - نعمت الله ؛ في (١١) موضع من القرآن.
- ٣ - سُنَّت ؛ في (٥) مواقع من القرآن.
- ٤ - امرأت ؛ في (٧) مواضع في القرآن.
- ٥ - كلمت ربك ؛ في الأنعام آية ١١٥ .
- ٦ - لعنت الله ؛ موضعان في آل عمران آية ٦١ ؛ والنور آية ٧ .
- ٧ - معصيت الرسول ؛ موضعان في المجادلة آية ٨ ، ٩ .
- ٨ - شجرت الزقوم ؛ في سورة الدخان آية ٤٣ .
- ٩ - قُرت عين ؛ في القصص آية ٩ .
- ١٠ - بَقِيَّتُ الله ؛ في سورة هود آية ٨٦ .

- ١١ - جنت نعيم ؛ في الواقعة آية ٨٩.
- ١٢ - (يا أبتِ) تكررت (٦) مرات ؛ في سورة يوسف ومريم وغيرهما،
والله تعالى أعلم^(١).

(١) للاستزادة انظر: الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني ؛ للشيخ د.محمد محيسن.

الفصل الثاني عشر

الإعجاز العلمي للقرآن
مناهجه وضوابطه وأمثله



الإعجاز العلمي للقرآن

هو: إعجاز القرآن لعلماء الكون والحياة ؛ بسبقه إلى ذكر وبيان ما علّموا واكتشفوا وتوصلوا إليه من الحقائق العلمية التي لم تتوصل إليها القدرات البشرية السابقة.

والعلم المقصود هنا : هو العلم التجريبي المبني على التجربة الحسيّة المشاهدة في الكون والمخلوقات.

فكلُّ مَنْ أتى بنظريةٍ أو اكتشافٍ في الكون فإن القرآن يُعجزه بالسبق إليها وبيان أصولها أو التوجيه إليها ، وسيأتي لذلك أمثلة مفصّلة إن شاء الله.

وإنّ غالب ما يصل إليه العلم والجهد البشري موجود في القرآن ؛ تصرّحاً أو تلويحاً ، وقد لا يُصرّح القرآن بكل نظرية علمية ؛ ويخطئ من يقول بهذا ؛ لأن القرآن كتاب هداية وسلوك ؛ وليس كتاب نظريات.

والصحيح أن الاكتشافات والنظريات إن لم تُذكر في القرآن صراحة وإلا فهي مندرجة تحت إرشاداته وهداياته وحثه على النظر والتفكير في الكون والنفس..

وهذه حقيقة عظيمة : أن أكثر إعجاز القرآن الكريم هو في حثه على الفكر

والنظر والدعوة للعلم وتأييده ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ١٠١

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا

بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴾ الروم: ٨ .

وهناك طرفٌ آخر للإعجاز العلمي هو "الإعجاز الطبي" ؛ سُمي كذلك تمييزاً ولعلاقته بالأشياء الطبية التي منعها القرآن ؛ وفَسَّرَ الطبُّ سبب منعها أو

تحريمها ؛ كمنع الإسراف في الأكل ، وتحريم نكاح الأقارب ، وتحريم الخمر
والمخدرات ، وتحريم لحم الخنزير ، وتحريم الجرائم الجنسية ..
أو الأمور المشروعة ؛ وما فيها من الفوائد الطبية والصحية والاجتماعية ؛
كمشروعية الصلاة ، والصوم ، والحُتان ، والرضاع عامين ..
وغير ذلك مما لو عَرَفنا أسرارَه الطيبة لكان من دواعي العجب ، وفي المباحث
التالية التوضيح والتجلية لشيء من تلك الحقائق الإعجازية العلمية القرآنية :

التفسير العلمي والإعجاز العلمي

التفسير أعم من الإعجاز ، والإعجاز من قبيل التفسير ، والفرق يسير.
فالإعجاز العلمي : هو سبُّق القرآن لبيان المكتشفات العلمية حديثاً.
والتفسير العلمي : هو بيان معاني الآيات في ضوء ما صح من النظريات الكونية والكشف عن العلاقة بين دلائل الآيات ونتائج العلوم والمكتشفات.
 والتفسير العلمي جائز ولا مانع منه عند أهل العلم ؛ **لكن يُشترط فيه** :
 - أن يُربط بالتفسير الديني المأثور الذي يوضح أن لقدرة الله وإرادته تدخلاً في حوادث الكون.

- وأن يُضبط بالضوابط الشرعية والتفسيرية واللغوية .. ؛ فإذا كان عن هوى ؛ أو خالف العقيدة والأصول الصحيحة .. فإنه تفسيرٌ مردودٌ لا اعتبار له ^(١).
 إذا فإن الإعجاز والتفسير العلميين قد يكونا مردودين منقوضين ولا يُقبلان أبداً إلا بضوابط واشتراطات شرعية وعلمية سيأتي توضيحها في الفصل التالي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

"إن من يُفسر القرآن ويتأوله على غير مُراد الله وعلى غير تفسير الصحابة والتابعين فهو مُفتَرٍ على الله ؛ مُلجِدٌ في آيات الله ؛ مُحَرِّفٌ للكلم عن مواضعه ؛ وهذا فتحٌ لباب الزندقة والإلحاد" ^(٢).

(١) الإتقان للسيوطي ١٨٢/٤ ، وانظر اتجاهات التفسير ٥٤٩/٢ د. فهد الرومي ، وتاريخ

الإعجاز وضوابطه د. عبد الله المصلح ص ٣٣ - ٣٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤٣/١٣.

الشروط الشرعية والضوابط العلمية للبحث في الإعجاز العلمي والتفسير العلمي

هناك أمور وشروط واحتياطات شرعية يجب العلم بها واعتقادها والأخذ بها عند اكتشاف الحقائق العلمية أو الاعلان عنها ؛ ومخالفة هذه الضوابط تُوقَع في المحذور والإثم.

وليس الهدف من هذه الضوابط والشروط الحَجْر على الباحثين والمتدبرين ، إنما الهدف منها هو ضبط الكتابة والبحث في هذا الموضوع الحيوي المهم ..

وتلك الضوابط هي :

١ - أنه لا يجوز تثبيت القرآن بالعلم ، ولا الاستدلال له من العلم ، أو أن العلم الكوني المكتشف يهيمن على القرآن ؛ فهذا أمرٌ مُحَرَّمٌ مُنْكَرٌ ، وهزيمةٌ داخلية مذمومة ، والحق : أن القرآن مهيمن على العلم ، دالٌ عليه ، داعٍ إليه متبوعٌ به.

٢ - لا يجوز التعسف والتكلف في دلالة القرآن ، ولا يجوز تأويله تأويلاً يوافق النظريات العلمية.

٣ - لا يجوز المُفسِّرُ بأن هذه النظرية وهذا التفسير هو معنى الآية وما عداه خطأ ؛ فهذا مردود.

٤ - أن حقائق القرآن وعلومه قطعية وثابتة ؛ لا تُقبَلُ الخطأ ولا النقض ، أما الدراسات البشرية فغير قطعية ولا ثابتة ؛ وهي قابلة للنقد والمراجعة والنقض والتصحيح.

٥ - أن يحتوي النص القرآني على إشارة واضحة إلى الحقيقة العلمية المكتشفة ويجب أن يكون النص من المُحَكَم ، لا من المتشابه ولا من المنسوخ.

٦ - لا تكون الحقيقة العلمية مجرد نظرية أو افتراض أو تخمين ؛ بل لابد أن تكون حقيقة قطعية ثابتة موثقة ؛ حتى تصير قانوناً علمياً متفقاً عليه.

٧ - الإيمان واليقين بأنه لا يوجد تعارض بين (الآيات القرآنية) و(الحقائق العلمية الصحيحة الثابتة).

٨ - جَمْع النصوص الشرعية المتعلقة بموضوع الإعجاز في الشيء ؛ ودراستها ودراسة ما يدور حولها من النسخ وأسباب النزول والتأويل والمنطوق والمفهوم والخصوص والعموم والمطلق والمقيد والمجمل والمبين .. ؛ حتى لا يَحْصُل تفسيرٌ خاطئٌ ولا يَحْصُل وَهْمٌ عند تفسير الإعجاز.

٩ - الحذر من الاستغناء بالكشوف العلمية التجريبية عن الدين ، أو عن القرآن ودلالته ؛ فذلك أمرٌ مُحَرَّمٌ يَحْمَلُ صاحبه على سوء الاعتقاد وينقض موقف القرآن من العلم ، ويؤدي للطغيان والكبر وربما الإلحاد ، وقد ذم الله تعالى ذلك فقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَابَ ﴾ العلق ٧

١٠ - يجب على الباحث الصبر والإخلاص وتحري الصدق والصواب وعدم تحميل النصوص ما لا تحتل ، وإذا توضحَّتْ له الحقيقة وإلا فليتوقف ، وسينكشف الحق ولو بعد حين.

١١ - يجب الحذر من تفسير القرآن بغير علم أو بالهوى ، لحديث : (مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بغيرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) (١).

(١) رواه الترمذي (٢٥٩٠) وحسنه ، وضعفه الألباني ، أما حديث : " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " فهو صحيح ثابتٌ في الصحيحين ، والكذب على الله أعظم وأشنع.

١٢ - يجب الحذر الشديد من الفهم الخاطئ لوظيفة القرآن الكريم؛ فليس إثباتاً للنظريات ، ولا ميداناً لإبراز المواهب والاكتشافات.. كلا ، بل مهمة القرآن هي (هداية الخلق ودلايتهم على الله وتوحيده)، وما الحقائق العلمية فيه إلا وسيلة إلى ذلك ، ومن لم يهتد بالقرآن وبعلمه إلى عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته فإنه في ضلال مبين ، ولن يخرج ضالاً من ضلالته حتى يتدبر ويعي قول الله تعالى: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوهُ بِهِ وَيُعَلِّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحْدٌ وَيَذَكِّرُوا لَأَلْبَسُوا ﴾ إبراهيم ٥٢ (١).

(١) وانظر: ضوابط الكتابة في الإعجاز د.سيد رزق، تاريخ الإعجاز العلمي وضوابطه د. عبد الله المصلح، والثقافة الإسلامية ٨٨/٢ د. فايز حابس و د. السنوسي.

نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن

وبعد تعريف الإعجاز العلمي وشروط البحث فيه ؛ أذكر هنا "نماذج وأمثلة" من إعجاز القرآن لعلماء العصر ، وما اكتشفوه في هذا الكون الذي خلقه الخالق سبحانه وتعالى^(١).

وقد قسّمت الكلام في هذه الأمثلة إلى ستة أقسام :

- ١ - إعجاز القرآن في آياتٍ كونية **حيوية**. (الإنسان ، الزوجية ، حياة الحيوان).
- ٢ - إعجاز القرآن في آياتٍ كونية **سماوية**. (الكون والشمس والقمر والرياح).
- ٣ - إعجاز القرآن في آياتٍ كونية **أرضية**. (الجبال والماء والألوان والحوادث).
- ٤ - إعجاز القرآن في آياتٍ كونية **بحرية**. (عالم البحار ، البرازخ).
- ٥ - إعجاز القرآن في آياتٍ كونية **طبية**. (الإعجاز الطبي والصحة والأمراض).
- ٦ - نماذج من إعجاز **السنة النبوية**. (كأحاديث الغيب والذباب والكلب والسواك..)

فإلى التفصيل والتوضيح :

(١) اعتمدتُ فيها على ما كتبه العلماء في هذا الموضوع وعلى جهود هيئة الإعجاز العلمي بمكة والمجلة الفصلية "الإعجاز" ، وإعجاز القرآن للسويدان ، وتوحيد الخالق للزنداني ، والبرهان للزرکشي ، والإيتقان للسيوطي ، والإعجاز القرآني للباقلاني ، وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة د. أحمد شوقي إبراهيم ، ومواقع كثيرة على شبكة النت ؛ وغيرها.

القِسْمُ الْأَوَّلُ

(إعجاز القرآن في آيات كونية حيوية)

(١)

الإعجاز في بيان منشأ خلق الإنسان ومراحل تكوينه

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾

الزمر: ٦

معركة فكرية دامت مئات السنين قبل الإسلام والقرآن ؛ حَوَّل كيفية خَلق الإنسان في بطن أمه ، وقد تصوروا قديماً تصورات خاطئة ؛ لأنهم لم يكونوا يعرفوا نُطفةً ولا علقَةً ولا أمشاجاً ... واستمرّ الحال والجهل كذلك ؛ حتى نزل القرآن الكريم فذكر الماء الدافق ، والصلب ، والترائب ، والنطفة ، والعلقة ، والمضغة ، والأمشاج ، والظلمات الثلاث ، ولم تأت هذه المصطلحات وهذه الحقائق في كتابٍ قط قبل نزول القرآن الكريم.



" جنين في بطن أمه داخل غشاء المشيمة في الشهر السادس تقريبا "

فبعد أن نزل بها القرآن بدأ العلماء والمفسرون في صدر الإسلام يوضحونها ويبيّنون معانيها حسب تصديقهم الجازم بأخبار القرآن ؛ وحسب مدلولات اللغة العربية ؛ مع بعض التضارب في توضيح الترائب .. وصار هذا التراث مفخرة للمسلمين لم يعرفه قبلهم أحد.

أما الذين يكفرون بالقرآن؛ فإنهم لا يزالون يخوضون في هذا الأمر حتى القرن الثاني عشر الهجري؛ أي ١٦٦٥م تقريبا؛ حيث تم اختراع "المجهر" (١).



وتطورت صناعة المجهر ليكبر الصور الدقيقة إلى آلاف المرات، وبه أراهم الله تعالى حقائق علمية لم تُعرف ولم تُشاهد من قبل.

وتوصلوا أخيراً بالدراسات والأبحاث والتصوير والتكبير المجهرية إلى اكتشاف الحيوانات المنوية، والبويضات، والخلايا، والتلقيح، وانقسام الكروموسومات، وعمل الجينات، ومشج المائين..، ثم تكوين الجنين في أغشيته الثلاثة، ومرحلة المضغة ثم العظام ثم نبات اللحم، ونبض القلب، وبدء شق السمع والبصر، وتكوين البنان والأطراف.

وأثبتوا - بالتجربة والبرهان - أن ماء الرجل يخرج من بين صلبه وترائبه، وأن

"الصلب" عظام ظهر الرجل، و"الترائب" عظام صدره، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ

الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ الطارق: ٧



بويضة مكبر ٥٠٠ مرة، وحيوان منوي واحد

(١) اخترعه عالم أحياء هولندي؛ وسمي باسمه "مجهر ليفينهوك"؛ ثم اخترع المجهر الإلكتروني الضوئي في القرن السابع عشر الميلادي (الموسوعة الحرة).

ثم أثبتوا أن ماء الرجل - المنى - يخرج معه في الدفقة الواحدة الملايين من الحيوانات المنوية ، وكل حيوان منوي له رأس وله وذيل متحرك يدفعه نحو البويضة عبر سوائل رحم المرأة ، وأن هذه الملايين لا يصلُ البويضة منها إلا واحد فقط ؛ ويموت ما عداه ، ويخترق جدار البويضة وتتم عملية (المشج) وبه يتم التلقيح ؛ وتمتزج الجينات وتنقسم الكروموسومات الوراثية^(١) .

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ** ^(١٢) **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ** ^(١٣) **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ^(١٤) **ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لِمَيْتُونَ** ^(١٥) **ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْثُونَ** ﴿ المؤمنون.

تتكون العلقه ؛ وبعد أربعين يوماً تصير مضغة ؛ وهكذا حتى تدب فيه الحياة من الشهر الرابع ؛ ساجحاً في ماءٍ لزجٍ داخل الرحم وداخل المشيمة ..
أما (السائل) فيقي الجنين من الصدمات ، ويأخذ الجنين من خلاله الغذاء والأكسجين من دم الأم ..

وأما (المشيمة) (السلى) - الحاوي للسائل - فمُحاط من فوقه بغشاء مبطن لجدار الرحم ؛ وهذا الغشاء به خملات ونتوءات عملها سحب الفضلات وثنائي أكسيد الكربون من الجنين إلى دم الأم ثم يخرج مع بول الأم ! فتبارك الله أحسن الخالقين.
ثم إن السلى - المشيمة - ؛ والغشاء المحيط به ؛ والغشاء المبطن لرحم الأم

تُسمَّى : (الأغشية الثلاثة) أو (الظلمات الثلاث) ؛ كما قال تعالى: ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ** ﴿ الزمر: ٦ ، وعند الولادة تتمزق هذه الأغشية ويخرج المولود.

(١) رسالة الرضوان في بيان خلق الإنسان ص ٢١ وما بعدها لابن الطلاع.



جنين إنسان في مرحلة العظام ، طوله (١) سم ، وعمره (٥) أسابيع

وبعد كشف وإثبات هذه المراحل وقفوا على معجزة عظمى سبقتهم إلى ذلك بأربعة عشر قرن من الزمان ؛ وهي آيات القرآن الكريم !
قال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ الإنسان: ٢ .

وقال تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْفَقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ الحج: ٥ .

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ المؤمنون: ١٤ .



جنين إنسان ، سقط وهو مضغعة



جنين مكتمل داخل المشيمة

"الإنسان والتراب"

ومن المُعجِز أيضاً : أنه تأكد لدى العلماء أن جسم الإنسان مكون من عناصر أصلها من التراب ، وأن حوالي (٢٤) عنصر في الإنسان موجودة في التربة من أصل (٩٢) عنصر ترابي ؛ انتقلت إلى الإنسان عبر النبات ؛ لأن النبات يمتصها فيأكلها الإنسان وينمو منها..

كما قال الله تعالى : ﴿ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ الحج: ٥.

وقال سبحانه : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ طه: ٥٥.

وقال رسول الله ﷺ : (إن الله - تعالى - خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ويبن ذلك ، والسهل والحزن ، والخبث والطيب ، ويبن ذلك) (١).

ونستفيد من ذلك :

أن الناس أجناس ؛ فتميّز بينهم ، وتعامل مع كلٍ بما يناسبه ، ونعرف السر في شخصيات الناس وتصرفاتهم وطباعهم وأخلاقهم ؛ فنعاملهم بالصبر والحلم والتواضع والحذر والصدق والنصيحة ..

(١) رواه أبو داود (٤٦٨٥) ، وابن حبان (٦٠٥١) ، والترمذي (٣٠٤٠) ، وصححه الألباني.

(٢)

القرآن يُبطل نظرية التطور والنشوء والارتقاء

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

الأعراف: ١٨٩

زعم (داروين) المفتري الجاهل المتوفى سنة ١٨٨٢م تقريبا ؛ هو ومن نحى منحاه وتبع نظرياته .. أن المخلوقات الحية كلها كانت نوعاً واحداً ، وأن أصلها أصلٌ واحد ؛ بما فيها الإنسان ، وأن ذلك قبل بلايين السنين ، ثم تحولت هذه المخلوقات إلى أشكال أخرى ، حتى الإنسان ؛ قالوا : تحول وترقى من قرد إلى إنسانٍ على مرّ الأزمان ..؛ إلى غير ذلك من خرافاتهم الكاذبة وأساطيرهم الباطلة. وجاء (العلم الحديث) - وعلم (الوراثة) بالأخص - فأبطل هذه النظريات والأساطير.

وثبت بالعلم التجريبي والبراهين العلمية القطعية أن المخلوقات لم تكن نوعاً واحداً ، وأنها ثابتة على أصلها لاتقبل التغير ولا التطور ، وأن النظريات الداروينية خاطئة كاذبة.

ومن أدلة العلم في ذلك :

- ١ - أن العمر الجيولوجي التقريبي للأرض يُقدّر - والله أعلم - بملايين السنين وليس بلايين السنين كما زعم أولئك.
- ٢ - أن علماء علم الوراثة - في العصر الحديث - أثبتوا بالأدلة والتجارب والتشريح المجهرى أن كل كائن حي مكون من (خلايا) ؛ ولكل خلية (نواة) وفي النواة توجد (الكروموسومات) على شكل خيوط متناهية في الصغر!.
- ٣ - أن لكل كائن حي عدداً - مستقلاً وثابتاً ومُحدداً - من الكروموسومات الوراثةية ؛ لا يتغير ولا يوافق غيره.

فالسمك مثلاً له ٤ كروموسومات ، وللأرنب ٤٤ ، ولقرود الغوريلا ٤٨ .
أما (الإنسان) فله ٤٦ كروموسوم ، صفة ثابتة لا تتغير ؛ ويستحيل معها أن
يتحول من إنسان إلى غيره ، فالقرود قرد ، والإنسان إنسان منذ أن خلقه الله ،
هكذا أثبت العلم الحديث .

ولما تأمل أهل العلم (آيات القرآن الكريم) وجدوه قد سبق بالإشارة إلى هذه
الاكتشافات العلمية ؛ وأنه توافق مع معطيات العلم الحديث ، وتبين من آيات
القران الكريم أن الإنسان إنسانٌ منذ أن خُلِقَ ، وأن أصله واحدٌ من نفسٍ واحدة
كغيره من سائر الخلق .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ** ﴾ آل عمران: ٥٩

وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾
الأعراف: ١٨٩

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٠

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ** ﴾ ٧ ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ**

مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ ٨ ﴿ **ثُمَّ رَسَوْنَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ**

وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴾ السجدة: ١٠

فهذه آيات بينات فيها الشيء العظيم من الإعجاز ؛ حيث جاء فيها - قبل
مئات السنين - ما توصل إليه العلم الحديث أخيراً ؛ من تفصيل خطوات خلق
الإنسان ، فسبحان منزل القرآن ومكون الأكوان ^(١) .

(١) وانظر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ؛ وهي موسوعة إلكترونية ؛ لرئيس هيئة
الإعجاز العلمي بمصر د. أحمد إبراهيم .

(٣)

الإعجاز في بيان قانون الزوجية في الكائنات

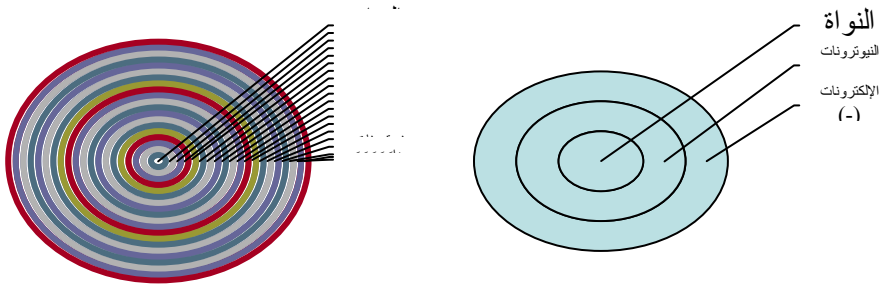
﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

الذاريات: ٤٩

أثبت العلم الحديث قانوناً حياتياً لا يتخلف ، وهو "الازدواجية" في أجناس الكائنات وأجزائها وذراتها.

والازدواج في لغة العلم معناه : الشيء ومقابلته أو نقيضه ، وقولهم : "الكائنات النقيضة" أي الزوجية التي أودعها الله تعالى فيها.

وعند علماء المادة : أن الذرة لأي عنصر تتكون من "نواة" بها جسيمات موجبة وسالبة ومعتدلة ، ولها مدارات متعاكسة داخل النواة ، (وفي المدارات القريبة من النواة تدور النيوترونات معتدلة الشحنة) ؛ (وفي المدارات الخارجية تدور الإلكترونات السالبة الشحنة) ^(١).



أشكال تقريبية لمكونات الذرة من أي عنصر في الطبيعية ، وكيفية ازدواجية شحنتها

(١) والذرة - كما عرفها العلماء -: هي أصغر جزء في العنصر ، ولا تُرى بالعين المجردة ، ولكن العلم الحديث أثبت أنها ليست أصغر جزء من المادة ، بل هناك أصغر منها وهو "الجُزْيء" والجسيمات التي داخل الذرة ؛ والتي من صِغَرِها لا تُرى حتى بالمجاهر المطورة ؛ كالنيوترونات والبروتونات الذرية ، كما قال علماء هذا الفن ، ومما أدهش العلماء أن القرآن قد سبق بيان ذلك

والإشارة إليه ؛ في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الذاريات: ٤٩

أما علماء الأحياء والخلايا : فقد أثبتوا - بالوسائل الحديثة - أن الخلايا الحية بها صفة الزوجية ؛ وأن خلية أي كائن حي لها نواةٌ بها "كروموسومات" وهي صفات تُحدّد نوع الكائن الحي حسب عددها في الخلية ^(١).

فالنوع الإنساني في نواة خليته (٤٦) كروموسوماً ، وعند الانقسام يأخذ كل قسم نَفْس العدد ؛ وهو بواقع (٢٣) زوجاً بصفةٍ ازدواجيةٍ عجيبة ، ومن ذلك الخلايا الجنسية ؛ وأن نطفة الرجل هي التي تحمّل صفة الذكورة أو الأنوثة.



المصدر: موسوعة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

ثم الأتعجب أنهم لما كَبُرُوا " الكروموسوم " آلاف المرات تحت المجهر وجدوه يحتوي على ما يُسمى (جينات) ويقدر عددها بعشرات الآلاف على شكل أزواج وكل "جين" مكون من شريطين دقيقين مُلتفّان على بعض ؛ ومُهمّتهما: هي حَمَل الصفات الوراثية كالأشكال ، والطبائع ، والصوت ، والطول ، واللون ، والمرض..

(١) سبق في الفقرة السابقة الكلام عن الكروموسومات والجينات ؛ وهُنَا الكلام عن (ازدواجيتها).

ووجدوا بالعلم والتجربة: وأن شبه الولد بأبويه هو من هذه الجينات وازدواجيتها ، وأن هذه الجينات الوراثية قد تظهر في كل جيل ، وقد (تنحى) ؛ أي تتحيز إلى جيلٍ بعد جيل .. مما قد ينقل صفة الجدِّ للحفيد ^(١) ؛ ولذلك يسمونها "مورثات" ^(٢) ، وأنه لو حصل اختلاف أو تحلّف في هذه الازدواجات فإنها ستحصل كارثة وراثية ^(٣) .

هذا العلم وهذا الاكتشاف قد أعجز القرآن رُواده بالسبب لذكره ؛ والإشارة إلى وجوده في الكائنات ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس ٣٦ ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ الرعد ٣ .

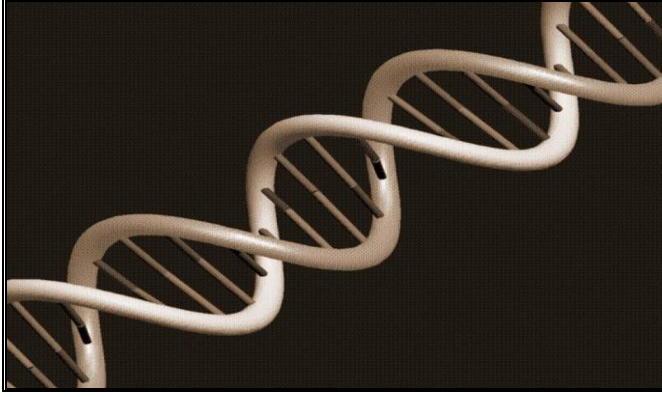
علماً أن كلام المفسرين من السلف حول هذه الآيات متطابق مع العلم الحديث إلا في القليل مما يخص الدقائق المجهرية ، ومن ذلك بيان تقابل الليل والنهار ، والحر والبرد ، والطول والقصر ، والذكر والأنثى ، والموجب والسالب ، والحالي والمر .. ؛ وغير ذلك من الازدواجات والتقابلات ؛ في العوالم الظاهرة ؛ والعوالم الدقيقة المجهرية ^(٤) .

(١) وهذا ما أشار له النبي ﷺ في قوله : (لَعَلَّ نَزْعَةَ عِرْقٍ) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رسالة الرضوان في خلق الإنسان كما في القرآن ص ٦١-٦٢ ؛ لابن الطلاع.

(٣) الإعجاز الطبي في القرآن ص ٤٤ د. السيد الجميلي ، وانظر توحيد الخالق ١١٥/١ للزنداني.

(٤) انظر تفسير القرطبي وغيره عند هذه الآيات ، وما نقلوه عن مجاهد وغيره رضي الله عنهم.



عينة من الجينات الكروموسومية المسؤولة عن حفظ الصفات وثباتها بعد تكبيره وُجد أنه عبارة عن شريطين حلزونيين بشكل ازدواجي ، وأنه يحمل ملايين المعلومات عن الكائن الحي وصفاته الوراثية والصحية والجسمية !.

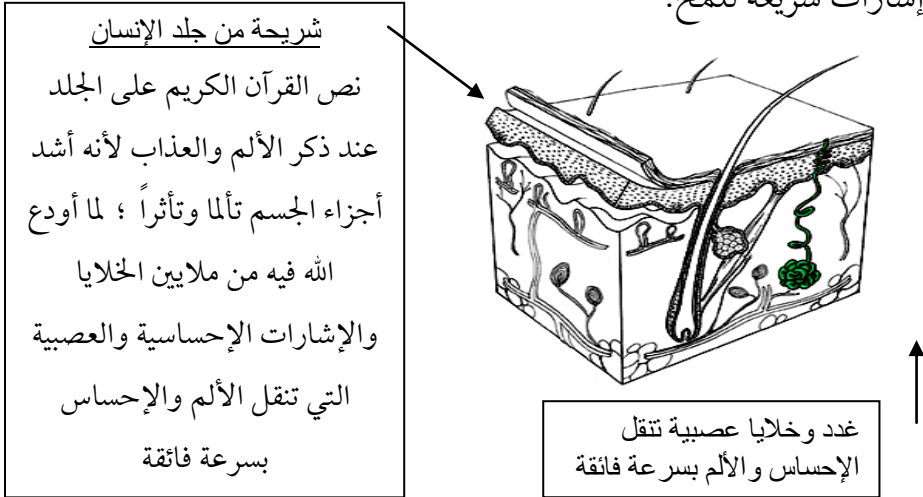
(٤)

الإعجاز في بيان تركيب جلد الإنسان

﴿كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

النساء: ٥٦

أثبت علماء العصر - بالدراسات الطبية الحديثة - أن (جلد الإنسان) هو أشد أجزاء الجسم إحساساً وتألماً ؛ لأنه مُتصل به آلاف الخلايا العصبية التي تُكسيه الإحساس ، فأبي حارٌّ أو باردٍ أو وَخزٍ يَمسُ الجلد .. فإن هذه الخلايا تُرسل إشارات سريعة للمخ.



والمخ هو الآخر قالوا : فيه "ألف مليون" خلية عصبية ؛ تستقبل إشارات الجلد فيعطي المخ أمره إلى الجلد والأعضاء والأطراف للإحساس بالألم ، ويكون ذلك بكهربية تسري عبر العصب بين المخ والأعضاء بسرعة ١٠٠ كم/ساعة^(١) .

ولكن المعجزة أن القرآن الكريم قد وضح ذلك وأشار إليه وسبق لذكره ؛ في

قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ

جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء: ٥٦

(١) الإعجاز الطبي في القرآن ص ٩٨ ، ١٠٤ ، وانظر : تركيب الجلد بينة علمية د.محمد دحدوح.

وفي صحيح مسلم: أن جلد الكافر يوم القيامة في النار يكون سميكاً، ليناله العذاب ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ: (ضبرس الكافر أو ناب الكافر مثلُ أُحد ، وغلظُ جلده مسيرة ثلاثة)^(١).

(١) رواه مسلم (١٩٨٢) كتاب صفة النار ، ومعنى مسيرة ثلاثة : أي ثلاثة أيام كما في حديث ما بين المنكبين في صحيح مسلم أيضاً ، نسأل الله العفو العافية.

(٥)

الإعجاز في بيان وظيفة الدماغ والناصية منه

﴿ نَاصِيَةٌ كَذِبِيَّةٌ خَاطِئَةٌ ﴾

العلق: ١٦

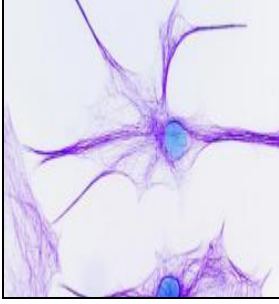
أثبت كثير من العلماء والأطباء المعاصرين: أنه يستحيل على علماء الأعصاب في يوم من الأيام أن يسبروا أغوار الدماغ ويكتشفوا أسرارها بشكل نهائي وقطعي.

وقام العالم "هانز هوفاك" - وهو عالم متخصص في علم الأعصاب وعلم الحاسبات في آن واحد - بعقد مقارنة بين أحدث الحاسبات في سنة ٢٠٠٠م وبين الدماغ البشري ، وأجرى دراسته على شبكية العين ؛ لأن هذه الشبكية جزء ممتد من الدماغ إلى مؤخرة العين .. وكانت نتيجة المقارنة - حسبما تخضت عنه تجربة هذا العالم - أن الحاسبات الآلية الحديثة تحاكي في كفاءتها دماغ غملة واحدة ، أما الدماغ البشري فيساوي في كفاءته مليون حاسبة متطورة تعمل في نفس الوقت.

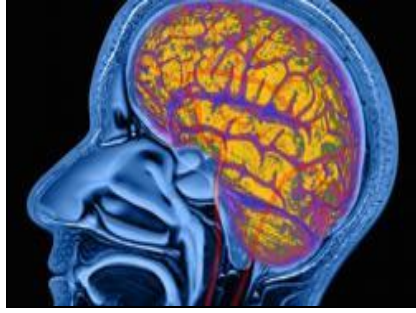


الدماغ البشري

أما عن مستوى تعقيد الدماغ البشري: فلا يستطيع أحد من البشر أن يتصور التعقيد المذهل للدماغ البشري، فقد أجمع علماء الأحياء أن الدماغ هو أعقد مخلوق، وقالوا إن عدد الخلايا العصبية في دماغ الإنسان (عشرة آلاف مليون) خلية عصبية، وهو عدد سهل اللفظ صعب التصور، وهناك في الدماغ خلايا أخرى وظيفتها تغذية وإسناد الخلايا العصبية ؛ يبلغ عددها عشرة أمثال الخلايا العصبية (أي ١٠٠ ألف مليون خلية).



صورة لخلية دماغية



شبكة الكم الهائل لخلايا النخ

وحقيقةً أُخرى: وهي أن كل خلية عصبية تتسلم عشرة آلاف اشتباك عصبي؛ يأتيها من مختلف مناطق الدماغ؛ ويستثنى من ذلك: الفص الأمامي؛ فكل خلية فيه تتسلم أربعين ألف اشتباك عصبي!!^(١).

**أما لماذا يكذب الإنسان أو يرتكب الأخطاء؟
وهل هنالك منطقة محددة في الدماغ تتحكم بالكذب والخطأ؟
وأين يوجد مركز القيادة والسلوك؟**

فإنها اكتشافات حديثة جداً؛ تحدّث عنها القرآن.

لقد كان الناس ينظرون إلى الكذب على أنه عادة سيئة فحسب.

ولكن عندما تطور العلم وبدأ العلماء يستخدمون التجارب العلمية لربط جميع الظواهر بأشياء مادية ومحاوله إعطائها تفسيراً علمياً مقبولاً، أي: لماذا يكذب الإنسان؟ وهل هنالك منطقة محددة في الدماغ مسؤولة عن الكذب؟ بل ماذا يحدث أثناء عملية الكذب؟ وهل هنالك طاقة يصرفها الإنسان عندما يكذب؟

(١) المصادر: كُتب علمية متخصصة بعلم الدماغ؛ ترجمها الأستاذ الدكتور أحمد عدنان،

وحوارات شاركه فيها د. عماد البياتي؛ أخصائي بطب المجتمع.

وفي المقابل :

ماذا عن الصدق ؟ وهل هنالك فرق في عمليات الدماغ عندما يقول الإنسان الحق ؛ أو عندما يكذب ؟ .. هذه أسئلة شغلت بال بعض العلماء في السنوات القليلة الماضية.

وبما أن ظاهرة الكذب قد تفتشت بشكل كبير وغير مسبق .. فلا بد من البحث عن وسائل موثوقة لكشف هذا الكذب ؛ بتجارب أو بأجهزة عند التحقيق مع المجرمين.

وبالدراسة والتجربة والبحث .. استنتج العلماء أن الجزء الأمامي العلوي من الدماغ هو المسؤول عن الكذب ! وهذا الجزء هو المعروف بـ "ناصية الإنسان" ، أي أعلى ومقدمة الرأس ^(١) .



(١) جاء في المعاجم العربية : أن (الناصية) : هي مقدمة الشعر ، وتقول العرب : نصاه أي قبض بناصيته وهي شعر "الغرة" أي شعر مقدمة وأعلى الرأس. وإبلٌ ناصية : ارتفعت في المرعى. والمتنصى أعلى الواديين ، ونواصي الناس أشرافهم.

ونلاحظ أن العرب زمن نزول القرآن كانت تفهم من كلمة (الناصية) أعلى ومقدمة الرأس ، أو أعلى ومقدمة أي شيء ، وناصية الإنسان : مقدمة وأعلى رأسه.

وبعد إجراء التجارب والتقاط العديد من الصور لجميع أجزاء الدماغ وجد العلماء أن منطقة الناصية هي المسؤولة عن (الصدق) أو (الكذب)، وأن الكذب يتطلب طاقة أكبر!؛ مما يدل على الكذب.

وهذا يعني أن الصدق يعني توفير الطاقة وفي عمل الدماغ.

وأن المنطقة الأمامية من الدماغ هي الأكثر نشاطاً؛ ولذلك فهي المسؤولة عن الكذب في دماغ الإنسان.

وهذه صور حقيقية لدماغ يظهر وجود نشاط كبير في المنطقة الأمامية أثناء

ممارسة الكذب :



الصورة اليسرى تمثل الدماغ في حالة الصدق، ثم تليها صور لحالات متدرجة في الكذب، حيث نلاحظ ازدياد حجم البقعة الصفراء التي تمثل نشاط الدماغ في المنطقة الأمامية، ويزداد هذا النشاط تدريجياً كلما تعمد الإنسان الكذب أكثر.

هذا الكذب!.

فماذا عن الأخطاء والسلوكيات الخاطئة!؟

في تجربة جديدة أيضاً بحث العلماء عن مصدر "الخطأ" في الدماغ، فقاموا بعملية مسح شاملةٍ لدماغ إنسانٍ يرتكب خطأً ما، والنتيجة المفاجئة هي وجود

منطقة في "الدماغ" مسؤولة عن الأخطاء ؛ وهي : (الناصية) التي تكون أكثر نشاطاً عندما يرتكب الإنسان خطأً ما! وكلما كان الخطأ أكبر كانت هذه المنطقة أنشط.

وتعتمد التقنية الجديدة في كشف "الخطأ" على مسح الدماغ بالرنين المغناطيسي الذي يهدف إلى رصد حركة الدم ، وسرعة تدفق الدم في مختلف أجزاء الدماغ. وبالطبع فإن المنطقة ذات التدفق الأكبر تكون هي الأنشط.

وبهذا ثبت أن (الناصية) هي أهم جزء في الدماغ ؛ لأنها التي يتم فيها توجيه الإنسان والحيوان ، ويتم فيها اتخاذ القرارات المهمة ، سواء كانت صحيحة أم خاطئة ؛ ويتم فيها أيضاً التخطيط للخير والشر والتفكير ..

وقد أظهرت الصور - بالرنين المغناطيسي - أن المنطقة الأمامية جداً والقريبة من جبهة الرأس - الناصية - هي الأكثر تعقيداً والأكثر نشاطاً أثناء عمليات السلوك والهجوم والهروب وغير ذلك من أنواع السلوك والتوجه.

إنها اكتشافات حديثة جداً لا يزال العلماء يبحثون ويُجرون التجارب لكشف الكثير من أسرار هذه المنطقة الحساسة من الدماغ!.

والمعجزة : أن القرآن هو أول كتاب يحدد مهام الجزء الأمامي من الدماغ ؛ في زمنٍ لم يكن أحد على وجه الأرض يَعْلَمُ أي شيءٍ عن هذا الجزء من الدماغ ؛ أو عن عمله ومهامه التي تتعلق بالخطأ والكذب والتوجيه والقيادة؟!.

يقول الله تعالى - عن أبي جهل ومن معه من الكافرين والمعاندين والمكذبين :-

﴿الرَّيْلَمُ بَانَ اللّهُ يَرَى﴾ (١٤) ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ (١٥) ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ العلق: ١٦

وبما أن المنطقة الأمامية من الدماغ - أي منطقة الناصية - هي التي تمارس نشاط الكذب ، فإن (القرآن) بذلك يكون أول كتاب تحدث عنها وعلاقتها بالكذب ؛

بل وصفها بالكذب (ناصية كاذبة)؛ وهذا سبقٌ علميٌ ذكره القرآن ، وهو وصفٌ قرآني دقيق جداً . من الناحية العلمية - عندما وصف الناصية بالخاطئة : ﴿ نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ ﴾ ؛ وهنا أيضاً نلاحظ أن القرآن قد ربط بين الناصية وبين الخطأ ، وهذا ما كشفه العلماء حديثاً جداً .

طاقة الكذب أكبر من طاقة الصدق :

وقد أثبت علماء التجربة والبحث أن الصدق لا يكلف الدماغ شيئاً ، وأن الكذب يتطلب طاقة كبيرة ، وهنا تتجلى فائدة جديدة من فوائد الصدق .

وسبحان الله ! عندما أمرنا الله تعالى بالصدق فإن هنالك فائدة من هذا الأمر ، وهذا يثبت أن الله تعالى لا يأمر إلا بشيء فيه منفعة للبشر . يقول تعالى : ﴿ فَلَوْ

صَدَقُوا لَلَّهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ محمد: ٢١

ومن الإعجاز القرآني : وَصَفَ مَنْ أكرمَهُ اللهُ بِالهُدَى وَالْإِيمَانِ وَأَتَاهُ مِنْ آيَاتِهِ

العظيمة ، ولكنه كَذَّبَ وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، قال تعالى : ﴿ فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٦

ونتساءل : لماذا شبه الله - تعالى - الذي يكذب بالكلب الذي يلهث؟

لأن عملية الكذب والتكذيب تحتاج إلى بذل جهد وطاقة ، تماماً كما يبذل الكلب طاقة كبيرة عندما يلهث ، إنها بالفعل عملية تحتاج إلى تفكير وتحليل لنستيقن بأن من يكذب بآيات الله تعالى فهو يشبه الكلب ؛ ولذلك ختمت الآية بقول الله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

راحة الدماغ في الإيمان والصدق وذكر الله :

وقد وجد علماء الحياة أن (الدماغ) مصمّم ومهيأ ليعمل على أساس الصدق ؛ أي أن النظام الافتراضي للدماغ هو الصدق ، وأن يكون الإنسان صادقاً مؤمناً ذاكراً لله ، قال تعالى : ﴿ فَأَقْرُبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠

وقال النبي ﷺ : (كلُّ مولود يُولدُ على الفِطْرَةِ) ؛ فالله تعالى قد فطر الناس منذ ولادتهم على الصدق ، وهذا ما يعترف به العلم اليوم .

وقال هودٌ - عليه السلام - لقومه بعدما كذبوه : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ

مَا مِّن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هود: ٥٦ .

فالله تعالى هو الذي يأخذ بناصية جميع المخلوقات ؛ ويوجهها كيف يشاء .

ونص على (الناصية) لأنها المسؤولة عن التوجيه والسلوك والقيادة ، وهذا من عظمة القرآن وإجازه .

إن منطقة الناصية تتحكم باتخاذ القرارات الصحيحة وبالتالي كلما كانت هذه المنطقة أكثر فعالية وأكثر نشاطاً وأكثر سلامة كانت القرارات أكثر دقة وحكمة ، وبالتالي كان الإنسان على طريق مستقيم ، ومن هنا ربما ندرك سرّ الربط الإلهي بين (الناصية) وبين (الصراط المستقيم) في الآية الكريمة ﴿ مَا مِّن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

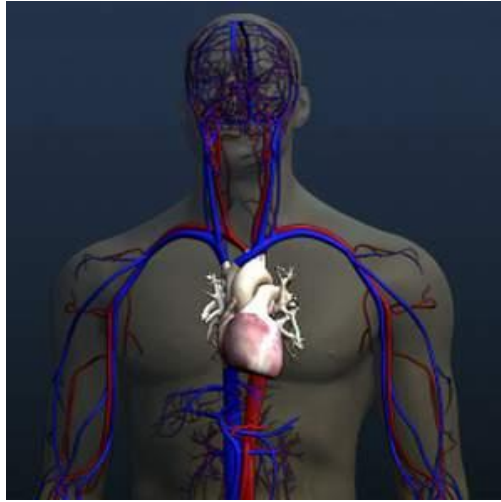
بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وفي هذا إشارة إلى أهمية هذه الناصية في سلوك الإنسان ؛ وهذا ما أثبتته العلم وأشار إليه القرآن .

ونتذكر أيضاً دعاء النبي ﷺ وهو يخاطب ربه : (ناصيتي بيدك) ؛ وفي هذا تسليم منه إلى الله تعالى ؛ بأن كل شأنه لله ، وأن الله يتحكم كيف يشاء ويقدر له ما يشاء.

فقد أدرك ﷺ - بما علّمه الله - أن (منطقة الناصية) تلعب دوراً مهماً في العمليات العليا للإنسان ؛ مثل الإدراك واتخاذ القرارات والتوجيه وحل المشاكل ، ولذلك سلّم هذه المنطقة لله تعالى في دعائه : (ناصيتي بيدك).

وعليه فلا تناقض بين ما جاء في القرآن قبل أربعة عشر قرناً ؛ وبين ما يكتشفه العلماء في القرن الحادي والعشرين ؛ كلا ..

فالقرآن هو الحق السابق ؛ لأنه من عند الله العزيز الحكيم ^(١).



(١) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ؛ الباحث : عبد الدائم الكحيل.

(٦)

الإعجاز في بيان حياة الحيوان ونظامه

﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾

الأنعام: ٣٨

بدراساتٍ وتجاربٍ أجراها علماء الحيوان ؛ ثبت أن دواب الأرض والجو والبحر .. أنها أُمَّمٌ كأُمَّمٍ وطوائف بني آدم ، ولكل أُمَّةٍ وطائفة نظامٌ وأسلوبٌ تفاهم ، وعقول نسبية ، وأنها شعوب وحكومات ؛ وبينها تعاون وتضامن ولغات للتخاطب ..



هل هذه ورقة أم دابة؟! بل هي دابة أعطاها الله قدرة على التشكل والتلون على لون البيئة والأشجار التي تعيش فيها لتختفي من أعدائها! فسبحان الخالق

ولا شكَّ أن الكثير من (الدواب والطيور) مثلاً رائعاً للإنسان في النظام وحُسن التصرف والحياة الاجتماعية ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم قبلهم بمئات السنين ؛ لأنه الحق من عند الله تعالى ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِي

سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ المائدة: ٣١ ، والمقصود هنا هو (قاييل) ابن آدم الذي قتل أخاه (هابيل) ؛ ولم يدْرِ ما يفعل بجثمان أخيه ، فبعث الله تعالى الغرابَ يقتل أخاه ثم يبحث له حفرةً ويدفنه فيها أمام قاييل القاتل ؛ ليُعلمه كيف يواريه في القبر!

وقال الله - تعالى - عن موسى - عليه السلام - أنه قال لفرعون لما جادله في الله

تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه: ٥٠

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا

يَعْرَشُونَ﴾ النحل: ٦٨ .

وأخبرنا تعالى عن الهدهد أنه قال لسليمان - عليه السلام - : ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ

تُحِطُ بِهِ - وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ النمل: ٢٢ .



سبحان مَنْ عَلَّمَهَا الأُمومة وجمَع لها بين الرحمة والحنان والبطش !؟

وصدق الله العظيم: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ مَا

فَرَطْنَا فِي الأَكْتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُنَمِّرُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام: ٣٨



الاعجاز القرآني في وصف النملة:

واكتشف العلماء حديثاً أن جسم النملة مزود بهيكل - غلاف - عظمي خارجي لحمايتها ودعم جسدها الضعيف ، هذا الغلاف العظمي صلب كالزجاج لا يقبل الضغط ، فإذا تعرض للضغط فإنه يتحطم كتحطم الزجاج !.

وقد سبقهم القرآن إلى بيان هذه الحقيقة العلمية ؛ حيث حكاها الله - تعالى - لنا

على لسان نملة ؛ قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ

أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ النمل: ١٨

فعبّر في قوله: (يَحْطَمَنَّكُمْ) بالتحطم الذي هو من خصائص الزجاج ؛ كما هو الحال في جسد النملة !^(١).

(١) راجع موسوعة أسامة الكحيل في الإعجاز العلمي.

(٧)

الإعجاز في بيان توازن الكائنات وتكافؤ المخلوقات

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

الرعد: ٨

أثبتت بحوث ودراسات حديثة بأنه لم يُخلق شيءٌ عبثاً ، وأن كل كائن فهو لفائدة ، عَلِمناها أم لا ، حتى الذباب والعقارب والأفاعي ..
وأن هذا الكون فيه توازن وتقدير عجيب بكل ما فيه ! ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً ؛ منها :

- ١ - توازن الحيوان والنبات ؛ فهو غذاء للحيوان ؛ ويساهم في زيادة الأكسجين.
- ٢ - توازن قشرة الأرض ، فلوزاد سُمكها أو نقص لانهُزَم الأكسجين وتضطرب الحياة.
- ٣ - دقة المسافة بين الأرض والشمس ؛ فلو تغيرت لعمَّ الهلاك بالحرّ أو البرد.
- ٤ - وجود كثير من الحشرات التي إن ضرت في جانب نفعت في آخر ، كالأفاعي والعقارب التي استخرجوا منها أمصالاً تُضاد بعض الأمراض^(١).
- ٥ - التكافؤ والتوازن بين النباتات والدواب والحشرات التي تتغذى عليها ، فالطبيعة وما فيها من النباتات والحيوانات الآكلة والمأكولة .. كل شيء باتزان وتقدير من العليم الحكيم.

ذلك كله مما أثبتته القرآن وأعجزهم بالسبق لبيانه ، قال تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ

عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ الرعد: ٨ ، وقال تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّزْرُوعٍ ﴿١٩﴾ الحجر: ١٩ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِإِِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ ﴾ الحجر: ٢١ .

ومن الموازنات الإعجازية العجيبة التي أذهلت العلماء :

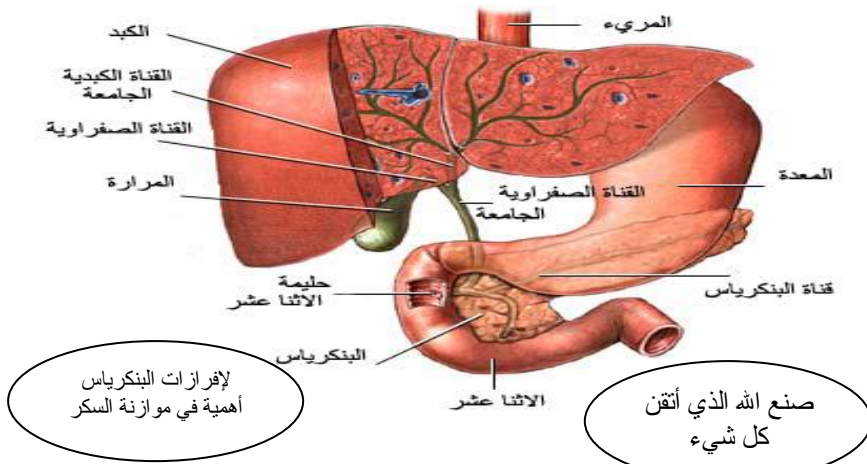
توازن أجهزة جسم الإنسان ووظائفه الداخلية ، فأجهزته تعمل بانتظام وتعاون وهولا يشعر حتى وهو نائم ، ومنها (الغدة الهرمونية الست) وتسمى بالغدة الصماء ، موزعة في جسم الإنسان ، وتصب إفرازاتها ، في الدم مباشرة أو بواسطة قنوات.

هذه الهرمونات هي أعظم ما يدرسه الطب ويعتني به العلم اليوم ؛ لأنها مهمة جداً في نمو وظائف الجسم ؛ والنمو العام ؛ وموازنة الطول والقصر والصحة والمرض والأعضاء .. وجميع أجهزة الجسم ، ومرض السكري ..

وهذه الغدة هي :

- ١ - **الغدة النخامية** : تقع في أسفل المخ ، وهي أهم الغدة مطلقاً ؛ لأنها تفرز هرمونات النمو والطول والوزن والنضج ، ونشاط الخلايا، ووظائف الجسم الحيوية.
- ٢ - **الغدة الدرقية** : تقع في أسفل الحنجرة ؛ وتفرز هرموناً مساعداً للخلايا وعملها.
- ٣ - **الغدة الجاردرقية** : وهي أربع غدد صغيرة ملاصقة للغدة الدرقية ؛ وتفرز هرموناً هاماً في تنظيم الأملاح في الجسم وسلامة الأعصاب .
- ٤ - **الغدتان الكظريتان** : تقع فوق الكليتين ، وتفرز هرمونات هامة في تنظيم دقات القلب ووظائف الجسم حال الجلوس أو الركض أو النوم.
- ٥ - **الغدة الجنسية** : وتقع في خصيتي الذكر ومبيضي الأنثى ، وتفرز هرمونات الذكورة والأنوثة ، ولها دور في النضج والبلوغ والتغيرات الفسيولوجية والجنسية.

٦ - **غدد البنكرياس** : وتقع داخل البنكرياس وهي كثيرة جداً ، وتفرز أنزيمات هضم الطعام ، ومنها نوع يسمى (غدد لانجر هانز) التي تفرز هرمون (الأنسولين) الهام جداً في تنظيم نسبة السكر في الدم ، والنسبة المعتدلة لسكر الجلوكوز هي ٨٠ - ١٢٠ ملجم في كل مليلتر في الدم ، وما زاد عن (١٢٠) فهو مرض السكري ، وبالعكس : فإنه إذا انخفض السكر في الدم عن (٨٠) فإن (غدد لانجر هانز) تفرز هرموناً آخر لإعادة التوازن ؛ يسمى هرمون (جلوكاجون) ليرفع نسبة السكر في الدم حتى يعود لمعدله الطبيعي ^(١).



(١) وانظر كتاب جهاز الهضم وصحته ومرضه د. أحمد عز الدين ، وموسوعة الإعجاز العلمي د.

القسم الثاني

إعجاز القرآن في آيات كونية سماوية



"١"

الإعجاز في بيان سرّ أعمدة رفع السماء بالجاذبية

﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الرعد: ٢

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ لقمان: ١٠

قرر العلم الحديث ما يُسمّى "قانون الجاذبية" ، وفيه أن هناك بين الأرض والكواكب جاذبيةً تساعد الأرض والنجوم والأجرام السماوية على البقاء في أماكنها ؛ والكواكب في مجاريها مرفوعة بهذه الأعمدة الهائلة ؛ أعمدة الجاذبية بين الكواكب والنجوم والتي لا نراها ..

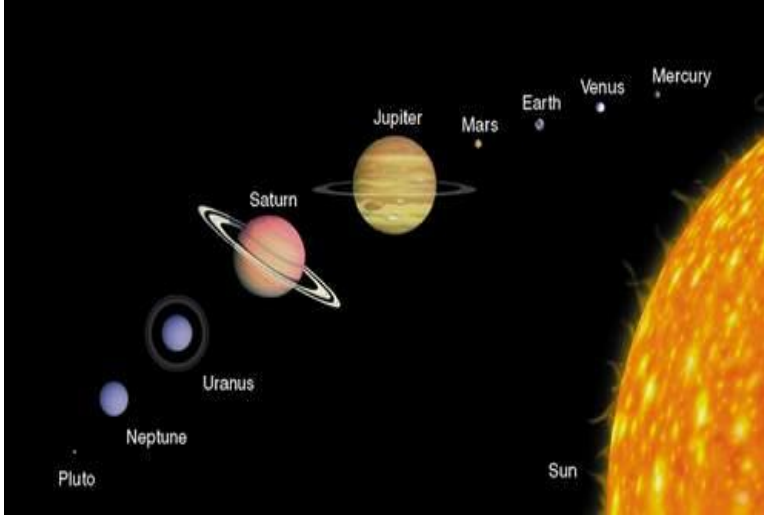
وفي العصر الحاضر أثبت علماء الفلك أن كواكب المجموعة الشمسية تدور حول الشمس باتزان ونظام ، والمسافات بينها وبين الشمس ثابتة ودقيقة جداً ، لا يمكن أن تتغير إلا أن يشاء الله ؛ لأن كل واحد منها واقع تحت قوتين عظيمتين : (قوة جذب الشمس) و (قوة طرد مركزية من الشمس) ، فالشمس تجذب وباطنها يطرُد ، فضبط كلٌّ من هذه الكواكب بهاتين القوتين ، وصارت هذه القوى كالأعمدة المثبتة لها! ^(١).

وتوقع العلماء - توقّعاً والله أعلم - أنها الأعمدة التي لا نراها ؛ كما جاء في القرآن في قول الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ، وفتحت لهم هذه الآية باباً ، وتأمّلوا كلمة (تَرَوْنَهَا) ، وظهر لهم من النظر والتفكير أن هناك عمداً لا تُرى ، لأنه يكون معنى الآية - والله أعلم - : رفع السماء بعمدٍ لا ترونها ، فسبحان الله القائل في كتابه الكريم : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا

وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فاطر: ٤١

(١) انظر المصادر السابقة ، ومواقع الإعجاز على شبكة المعلومات.

عجائب كواكب المجموعة الشمسية :



لنتخيل كواكب المجموعة الشمسية وثبات كل منها وتوازنه في مساره لا يتغير ولا يميل ، ولنتخيل حجم (الأرض Earth) بالنسبة للكواكب التي معها ؛ وحجم هذه الكواكب مجتمعة بالنسبة للشمس !! فسبحان الخلاق العليم.

قال تعالى : ﴿ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًسًا أَن نَعِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبِيلًا لَّعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالْجَمِّ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿ النحل: ١٦

هناك دراسات أخيرة تم بها اكتشاف كوكب جديد في المجموعة الشمسية ؛ وأسموه "سدنا" ؛ وبعضهم أنزله مكان البلوتو ؛ والعلم كل يوم في تطور واتساع وهناك كواكب أخرى لم تُكشَفْ بعد ، فسبحان مَنْ خَلَقَ فَأَبْدَع.

مَجَرَّاتِ الكَوْنِ

إن كواكب المجموعة الشمسية تدور حول الشمس باتزان وانتظام دقيق ، وهذه المجموعة تنتمي إلى مجرة واحدة من (ملايين) المجرات ، وكل مجرة منها فيها (ملايين) الكواكب والنجوم !.. ولا يعلم الإنسان عنها شيئاً بُعدها في الفضاء. وفي بعض الدراسات الفلكية : أن هذه المجرات تدور حول مركزها مرة واحدة كل ٢٠٠ مليون سنة تقريبا ، فسبحان الخالق العظيم لا إله إلا هو.



المجرات العملاقة في الفضاء والتي بها الكثير من المجموعات الشمسية

تفاوت الكواكب في الحجم والمساحة

تختلف الكواكب والمجرات والمجموعات الشمسية في سعتها وحجمها ؛ فالأرض لا تُعدّ شيئاً بالنسبة لحجم الشمس ؛ إذ الشمس أكبر من الأرض بملايين المرات ، والشمس صغيرة جداً بالنسبة للمجرة التي هي تابعة لها! ، وسبحان الله وبحمده.



صورة طبيعية للأرض من على سطح القمر (ليلاً) ويبدو ظلام الكون.

مقارنة تقريبية لبعض كواكب المجموعة الشمسية^(١)

المجموعة الشمسية وعدة كواكب تدور حول الشمس بسرعة هائلة ؛ أقربها للشمس أشدها حرارة ، والأبعد أبرد ، أما الأرض فجعل الله - تعالى - مكانها وسطاً معتدلاً ملائماً للحياة والعيش ؛ لو ابتعدت أو قرُبت لهلك ما عليها! .
(وعطارد) أقربها للشمس ويدور حولها مرة كل ٨٨ يوم ، و(الأرض) تدور حول الشمس كل عامٍ مرةً يُنتج عنها الفصول الأربعة ، أما (أورانوس) فيدور حول الشمس كل ١٨٠ سنة !! كل ذلك حسب تقديرات خُبراء الفضاء.

الكوكب	قطره بالكيلومتر	بُعدُه عن الشمس بالكيلومتر	ملاحظات
عطارد	٤٨٨٠ كم	٥٨ مليون كم	شديد الحرارة وذلك لقُربه من الشمس
الزهرة	١٢١٠٤ كم	١٠٨ مليون كم	فيه شديد اللمعان
الأرض	١٢٧٥٠ كم	١٥٠ مليون كم	هي كوكب الحياة
المريخ	٦٨٠٠ كم	٢٢٨ مليون كم	نصف حجم الأرض
المشتري	١٤٢٨٠٠	٧٧٨ مليون كم	أكبر كواكب المجموعة ؛ كالأرض ١١ مرة
زحل	١٢٠٦٦٠	١٤٢٦ مليون كم	محاط بهالة من كثرة الكواكب
أورانوس	٥١١٠٠	٢٨٧٠ مليون كم (٢ بليون و ٨٧٠) كم	أزرق مخضر اللون لكثرة الغازات المحيطة به
نبتون	٤٩٥٠٠	٤٤٦٩ مليون كم	أبعد المجموعة عن الشمس وأشدها تجمداً وبرودة

(١) مستخلص من بعض الدراسات الفلكية الموثقة ؛ كموسوعة الإعجاز والفلك - لعبد الدائم الكحيل ، وموسوعة الإعجاز العلمي د. أحمد شوقي، وأبحاث الكواكب والكون على النت.

مصطلحات فلكية (١)

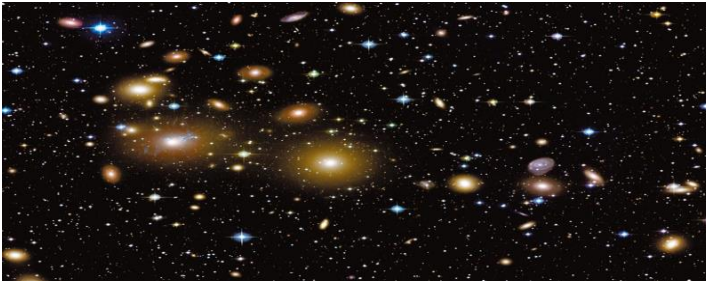
المجرة : مجموعات كبيرة من الكواكب والأقمار والتوابع والنجوم والكتل الجوية الهائلة المترابطة بسبب الجاذبية بينها ؛ يقدر عدد كواكبها بآلاف البلايين ، ويقدر عدد المجرات في الكون بمئات المجرات ، و(درب التبانة) هي المجرة التي نقع فيها.



واحدة من المجرات السماوية بها ملايين الكواكب

الكواكب : أجسام سيّارة تدور حول الشمس؛ كالأرض والمريخ والأقمار من حولها.

النجوم : أجسام سيّارة تسبح في الفضاء ؛ ويدخل في تكوينها الغازات المشعة الملتهبة فتضيء بذاتها وتسطع ليلاً ، فتزين السماء ، ويهتدي بها الناس ، ويحددوا بها الجهات ، كنجم القطب والشعرى وسهيل ومجموعة الدب والجدي ..



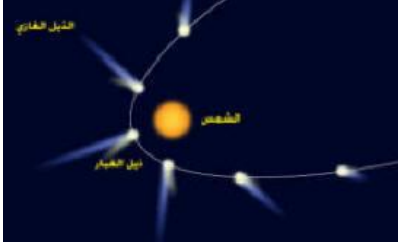
قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ﴾ الأنعام ٩٧

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَتِ وَاللَّجِيمَ هُم يَهْتَدُونَ ﴾ النحل: ١٦

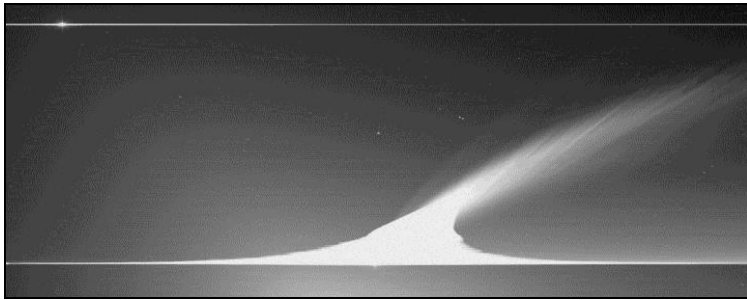
(١) موسوعة (ويكيبيديا)، والإعجاز العلمي د. أحمد شوقي، وأبحاث الفلك والكون على النت.

المدنبات : أجرام ساجحة في فضاء المجموعات الشمسية ؛ مكونة من صخور وغازات وجليد ؛ تدور حول الشمس ؛ وإذا قربت منها ذابت أجزاء منها مكونة ذيلاً (ذنباً) طويلاً حَلْفها يُقدَّر طوله بملايين الكيلومترات.!

ومن المدنبات الكبيرة الهائلة: (مذنب هالي) الذي يدور حول الأرض مرة واحدة كل ٧٦ سنة.



مذنب له ذيلان : الأول من الغاز ؛ والثاني من الغبار مراحل جري المذنب حول الشمس



صورة التقطتها وكالة "ناسا" الأمريكية الفضائية لمذنب في الفضاء

طوله أكثر من ٣٠ مليون كيلومتر ، يسبح في الفضاء وذيله مكون من مركبات الحديد والغاز.

الشهب : أجرام سماوية مكونة من الحديد وذرات الكربون وغبار وغازات متجمدة ؛ تجري في الفضاء بسرعة هائلة تقدر بمئات الكيلومترات في أقل من الدقيقة ، تحترق الشهب الغلاف الجوي للأرض بسرعة وعلى هيئة خط لامع ؛ وتحترق وتتلأشى على هيئة نيازك قبل ارتطامها بالأرض.



شهاب ساقط على البحر



شهاب بسرعة هائلة

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ الصافات: ١٠ ،

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا الْمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ الجن: ٨

النيازك : هي بقايا الشهب ؛ وهي ما يسقط على سطح الأرض من ذرات وبقايا الشهب المحترقة ؛ حيث تحتك (الشهب) بالغلاف الجوي للأرض وبسرعة (٧٠كم/ث) تقريباً؛ فتسقط على هيئة ذرات صغيرة لا يشعر بها الإنسان لصغرها ؛ وقد تسقط قطع كبيرة مُخَلَّفَةٌ حُفْرًا على سطح الأرض ؛ وهذه نادرة جداً.

ويقدر العلماء بأن ما يصل إلى الأرض يومياً من تلك الأحجار النيزكية هو أكثر من (١٠٠٠ طن) من ذرات النيازك في اليوم الواحد ، وقالوا إن سقوط مثل هذه النيازك على سطح الأرض يزيد نسبة الحديد فيها ، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا

الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ الحديد: ٢٥



حفرة نيازك كبير وقع على سطح الأرض

السديم : هو ما بين النجوم والمجرات من الغازات والغبار ؛ وتشكل سحابة كثيفا يملأ الفضاء ؛ وتَسَبَّح فيه الكواكب.

السَّنَة الضوئية : هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة ؛ وتساوي تقريباً: (٥٠٠٠ بليون كيلومتر) ؛ وهو وحدة قياس المسافات بين النجوم والكواكب ؛ لجأ إليها الفلكيون لشدة المسافات بين الكواكب والصعوبة الشديدة في تحديدها ؛ إذ تُقدَّر بملايين البلايين من الكيلومترات!.

تبلغ سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كيلومتر/ثانية ، وهي السرعة القياسية القصوى في الكون ؛ ولا يوجد شيءٌ - مما اكتشفوا - أسرع من الضوء ^(١).

ولو ضربنا ٣٠٠.٠٠٠ في عدد الثواني في السنة الواحدة ؛ فالنتيجة هي المسافة التي يقطعها الضوء في العام الواحد ؛ وتقدر ببلايين التريلونات ؛ وهي أرقام يصعب على العقل البشري استيعابها !، وسبحان الله القائل: ﴿يَمَعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا

بِسُلْطَانٍ﴾ الرحمن: ٣٣

(١) المصادر السابقة ؛ وانظر الموسوعة العربية العالمية ك - م - ن - ف.

الإعجاز في بيان الضغط الجوي وآثار الصعود

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾

الأنعام: ١٢٥

أثبت خبراء الفلك والطبيعة - مع توفر وسائل الصعود والطيران - أن للجوّ وغازاته ضغطاً ، وأن هذا الضغط يزداد في المنخفضات ويقل في المرتفعات .. ثم إن الأكسجين - الذي هو أكثر وأهم الغازات الجوية للحياة - يقل مع الإرتفاع فينتج من ذلك اختناقاً وضيقاً ، وهكذا يزداد الضيق بازدياد الارتفاع .. بتناسبٍ طردي. وذلك هو ما صوّره القرآن ووضّحه في أقصر عبارة ..

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ،

يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ

عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

فربط الضيق بالصعود ، و "يصعد" بصيغة المبالغة : أي صعوداً بعد صعود .. وكلما زاد الصعود زاد الضيق والاختناق ، وفيها شبهة نفس الفاسق والكافر وضيق صدره من معصيته كمثل الصاعد المخنوق ، فسبحان الله ، إنه القرآن الحق من عند الله الملك الحق ^(١) .



في طبقات الجو العليا يصعب التنفس ويضيق الصدر للضغط الجوي وقلة الاكسجين

(١) الإعجاز العلمي في القرآن - للسويدان ؛ مسموع ، وانظر توحيد الخالق للزنداني ٣/٣٤٢.

الإعجاز في بيان حقائق علمية عن الشمس والقمر

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾

النبا: ١٣

تأكد للعلم الحديث وعلماء الفلك - من خلال النظر والمراكب الفضائية والتصوير الفوتوغرافي الحي - أن الشمس والقمر كوكبان متحركان ضمن بروج مجرات الكون ..

وأن (الشمس) نجم مُضيء ملتهب متوهج يُصدر أشعة وضوءاً وحرارة شديدة وتمتد ألسنة اللهب منها مسافات هائلة ، وتبلغ درجة حرارتها إلى ملايين الدرجات.

وأن (القمر) كوكب صخري مُظلم لا يُصدر ضوءاً ولا حرارة ؛ وإنما يعكس ضوء الشمس ليلاً ، فالشمس إذاً سراجٌ ، والقمر عاكسٌ منير.

وما إن أعلنوا ذلك إلا ويفاجؤوا بذكره وتوضيحه في القرآن قبل مئات السنين

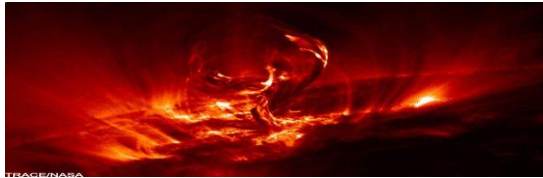
، وأن القرآن وصفَ الشمسَ بالسراجِ الملهبِ المتوهج ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا

سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ النبا: ١٣ وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ

مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ يونس: ٥، وقال تعالى: ﴿نُبَارِكُ الَّذِي

جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ الفرقان: ٦١ !!

ولقد أذعن الكثير منهم لعظمة القرآن.



صورة حقيقية التقطتها الأقمار الصناعية لألسنة لهب الشمس وهي تتوهج وتلهب

فالفرق واضح بين السراج والقمر ، "فالسراج" : هو الذي يصدر ضوءاً ويضيء بنفسه ، "والمنير" : هو الذي لا يُصدر ضوءاً ؛ بل هو جسم مظلم ؛ فإذا وقع عليه الضوء عكسه وأضاء - كالقمر - (١) .

والصورة التالية توضح حقيقة القمر :



صورة حقيقية للقمر وهو مظلم

ولذلك نلاحظ أنه إذا توازى القمر مع الأرض - عند الخسوف - وصارتا على خط مستقيم .. فإنه يُظلم القمر ؛ ويذهب ضوءه ؛ فإذا انجلا الكسوف عاد بدرراً مضيئاً ، فتبارك الله احسن الخالقين !.

(١) الإعجاز العلمي دعوة لأهل عصرنا. محاضرة مسموعة. للشيخ عبد المجيد الزنداني ، وانظر

توحيد الخالق له ١٨٣/٢ .

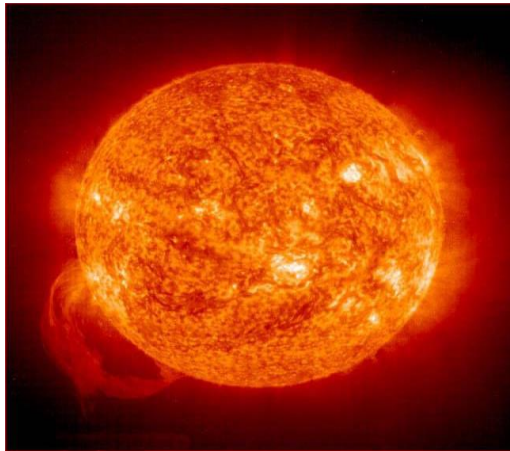


قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ

وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ الأعراف: ١٨٥.



صورة لكسوف الشمس إذا أصبحت مع القمر والأرض على خط مستقيم



الشمس نجم متوهج مضيء شديد الحرارة

حقائق علمية عن الشمس :

في دراساتٍ: أن قطر الشمس يزيد على (مليون) كلم ؛ وحجمها يزيد على حجم الأرض (مليون) مرة ؛ وحرارتها تزيد على (٦٠٠٠°) ؛ بينما تعدّ صغيرة جداً بالنسبة للمجرة التي هي تتبع لها ؛ ويشكل الهيدروجين فيها حوالي ٩٠٪ من تكوينها.



الأرض هي الكوكب الثالث مما يلي الشمس ، وانظر صغر حجمها بالنسبة للشمس !

قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨﴾

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ

وَلَا الْيَلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿ يس: ٤٠﴾



الإعجاز في بيان حقيقة الليل والنهار وظلام الكون وكروية الأرض

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾

يس: ٣٧

بالرصد الدقيق والدراسة والتصوير الحي المشاهد .. أثبت علماء الفلك أن الكون مُظْلِمٌ كله ، وأن الكواكب تَسْبَحُ في ظلام ، ومنها الأرض . فعندما تُقابل الشمسُ وجهًا من وجوه الأرض فإنه يكون النهار على ذلك الوجه فقط ؛ على شكل طبقة ضوءٍ رقيقة مُحاطة بالظلام ، وكأنه قشرة لا تكاد تُرى من الفضاء الخارجي ؛ فإذا اكتمل دوران الأرض وجاء الليل في نفس المكان فإن النهار ينسلخ برقته كانسلاخ الجلد من جسم الشاة .



صورة حقيقية - من الفضاء - للأرض وطبقة النهار على سطحها في ظلام الكون

ثم إن تتابع الليل والنهار بهذه الدقة وهذا النظام قاد العلم الحديث إلى إثبات كروية الأرض ودورانها حول محورها . لكن ما كاد لهم أن يُعلنوا ذلك للعالم إلا وتظهر المعجزة الكبرى ؛ وهي سبق القرآن الكريم لذكر ذلك وتوضيحه بأقصر عبارة ..

قال تعالى : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ يس: ٣٧

والليل : هو ظلام الكون ، والسلك لا يكون إلا للشيء الرقيق .

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ

بِأَمْرِ رَبِّي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النحل: ١٢.



انسلاخ الليل والنهار على سطح الأرض

الإعجاز في بيان تكهرب السحاب وتلقيحه بالرياح

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾

الحجر: ٢٢

قبل أعوام قليلة اكتشف علماء غربيون أن كل سحابة تحمل شحنة كهربية (سالبة) أو (موجبة)، وأنه لا يتألف منها إلا مختلف الشحنة، فإذا اتحدت الشحنة حصل التنافر، وقالوا إن سيراً عجيباً وراء تراكم السحاب كالجبال رغم تنافره.

لكن ذلك قد جاء في القرآن الكريم وبينه قبلهم بمئات السنين؛ في قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴾ النور: ٤٣

ولم يقف الأمر عند ذلك؛ بل اكتشفوا أن المطر لا ينزل على تلك الحال إلا بلقاح وتلاقح بين الرياح والسحاب، فإذا اصطدمت الرياح الموجبة بالسحاب حصل بينها مجال كهربي واسع يتسبب في تحويل البخار والبرد إلى قطرات ماء تتجمع وتثقل فتسقط، إلا أن القرآن قد أعجزهم بسبقه لبيان ذلك وتوضيحه في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾

الحجر: ٢٢

ثم بين الله تعالى تسبب الرياح وتأثيرها، فقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ الأعراف: ٥٧

ولننظر إلى تناسق آيات القرآن مع آيات الأكوان ، ذلك بأنه كلام الخالق
العليم الرحمان ؛ الذي يعلم مَنْ خَلَقَ وهو اللطيف الخبير ^(١).



الرياح تتلاقح مع السحاب ، صورة من الطبيعة

الإعجاز في بيان توسع الكون

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾

الذاريات: ٤٧

الكون المقصود : هو ما نشاهده من عالم الكواكب والمجرات التي تحوي الواحدة منها بلايين النجوم ، وحسبما قرر اكتشاف علماء الفضاء ، وأن القمر يبعد عن الأرض حوالي (٣٨٥) ألف كلم.

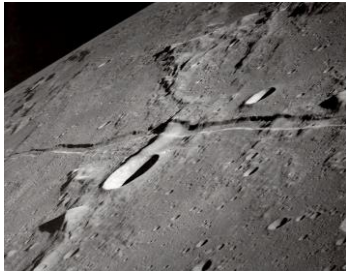
ونتجت دراسة علمية فلكية حديثة أن الكون ونجومه واسع جداً ؛ وأنه في اتساع مستمر ، وذلك بتباعد نجومه ، وكلما زاد الوقت زادت المسافة المقدرة بملايين الأميال في أجزاء الساعة ..

قالوا ذلك استناداً على وسائل بصرية دقيقة ، وضوابط فلكية ، وقوانين علمية ، ودراسة كونية مطوّلة أثبتت ما يسمى (الانفجار العظيم) وهو اتساع وتباعد المجرات والكواكب.

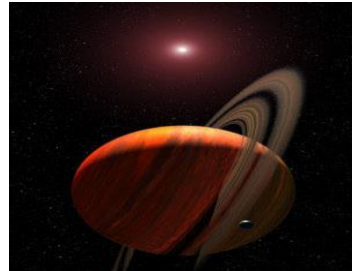
لكن العلماء قالوا : إن القرآن قد أشار لتوسع يحدث في السماء والكون ، مما زادهم دهشة وتعظيماً للقرآن ، ذلك هو قول الله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا

لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات: ٤٧

وقوله (لَمُوسِعُونَ) أتت مؤكدة وبصيغة الاستمرارية...! والله تعالى أعلم.



سطح القمر عن قرب



المريخ في حالته العجيبة

القسم الثالث

"إعجاز القرآن في آيات كونية أرضية"



"١"

الإعجاز في بيان طبيعة الجبال وفائدتها للأرض

﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ النبا: ٧

أثبت العلم الحديث والكشوف الجديدة أن الأرض طبقات ، طبقة القشرة وتحتها طبقات أخرى ، وأنه قد ينزلق بعضها على بعض .. ومن ذلك الانزلاق يحدث التزحزح القاري ؛ بتحريك بعض قارات الأرض حركة بطيئة على مرّ الدهور والأعوام.

ثم اكتشفوا أن "الجبال" في الأرض تساعد على سكونها وثباتها وتوازنها؛ وثبت للعلم أن الجبال:

- تُثَبِّت قشرة الأرض فلا يحصل انزلاق قاري.

- تُثَبِّت الأرض في مسارها ودورانها ضمن الكواكب.

- تُوازِن الأرض وتحفظها من الميّد والميلان.

ذلك بأن لكل جبل ثقلاً عظيماً ، وله جذر متعمق في باطن الأرض بمِثْلِي ما هو منه فوق سطحها أو أكثر ، فأصبح كل جبل مثل الوتد المغروز الراسي مكانه ؛ وصارت الجبال بهذا التجذّر كالأوتاد والمثبتات للأرض ولقاراتها وقشرتها^(١).

وما إن أعلنوا ذلك إلا ونجد وإياهم العجب والإعجاز في القرآن الكريم،

والشرح المفصّل لطبيعة الجبال ووظيفتها ، حيث قال تعالى : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ

رُوسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزَ وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥

وقال تعالى : ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ النبا: ٧.

وقال تعالى : ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ الغاشية: ١٩

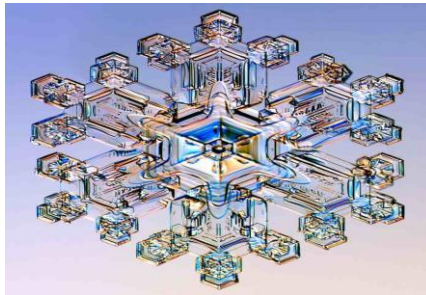
(١) المصدر السابق ٣/٣٤٥ ، وانظر : القرآن يتحدى ص ٢٠٤.



صورة تقريبية للجبل وجذوره الضاربة عمقاً في طبقات الأرض كالوتد



جبل ثلجي اكتشفه العلماء وقد شكّل وتدا للقطارات والطبقات الثلجية
يمسكها من التزلج والتزحزح عن أماكنها وسط البحار



ذرة ثلج مكبّرة بالمليكروكسوب مئات المرات
وجد العلماء أنها ذات ألوان وأشكال رائعة ومعقدة التركيب

٣

الإعجاز في بيان تأثير الماء على ألوان الجبال والصخور

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾

فاطر: ٢٧

أثبت العلم التجريبي الحديث - بدراساته وأبحاثه - أن الجبال والصخور منها الأحمر والأسود والأبيض ، ومنها الملون .. ، وأن هذه الألوان تكثُر في المناطق المائية ومجري الماء بين الصخور في باطن الأرض وعلى سطحها ، مما يدل على أن الماء سبب في تلوين الصخور واكتسابها ألواناً مختلفة ؛ كما نشاهد الجبال الملونة..



لقد جاءت هذه الحقيقة في القرآن قبلهم بمئات السنين ، في الآية الكريمة التي ذكّرت نزول الماء ورتبت على وجوده ألوان الجبال ، حيث قرنت بين الماء

والألوان في قول الله تعالى: ﴿الْمَرْتَرِ أَنْ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ

مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٢٧)

وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر: ٢٨



صخرة ذات ألوان

الإعجاز في أن المواد والكائنات مخلوقة من عدم وقابلة للزوال والفناء ؛ وبطلان النظريات الفيزيائية في ذلك

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرحمن ٢٦

في دراسة علمية غير بعيدة ؛ اشتهر عند علماء الفيزياء والكون نظرية خاطئة حول المواد والعناصر الكونية.

وتلك النظرية هي : (أن المواد لا تُستحدث ولا تُفنى ولكن يطرأ عليها بعض التغيرات) ، وفيها وصفوا المخلوقات بما هو من صفات الله سبحانه تعالى ؛ فوصفوها بالأولية بلا بداية والأزلية بلا نهاية ، تعالى الله عما يقولون.

والحق الذي جاء به القرآن والسنة ؛ والذي عليه اعتقاد السلف الصالح أن صفات الله تعالى "لم تُسبق بعدم ولن يطرأ عليها زوال" ^(١).

قال - تعالى - عن نفسه : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ الحديد: ٣

وفي الدعاء المروي عن النبي ﷺ - عند النوم - : (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ..) ^(٢).

(١) انظر العقيدة الطحاوية وشرحها ٣٧/١ ، والواسطية لابن تيمية وشرحها ص ١٠٥ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٦٨٣٩) باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. قال النووي في شرحه لهذا الحديث : (وأما تسميته سبحانه وتعالى بالآخر فقال الإمام أبو بكر ابن الباقلاني : معناه الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الأزل ، فهو الآخر الباقي كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وحواسهم وتفرق أجسامهم) شرح النووي على صحيح مسلم ؛ باب الذكر والدعاء ٢٩/١٧ .

ومع تطور العلم الحديث وتدقيق البحث ؛ تبين الحق والمفهوم الصحيح ؛ وهو: "أن المواد والموجودات كانت معدومة ثم استحدثت وأوجدت ، وأنها تزول وتفتنى ؛ فهي حادثةٌ فانيةٌ بفعل فاعل" (١) .

ذلك ما قرره القرآن وجاء به .

قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الزمر: ٦٢

وقال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فاطر: ١

وقال سبحانه : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا

وَجْهَهُ لِلَّهِ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص: ٨٨

وعن فناء الكون وما فيه ، قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو

الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن: ٢٧

وجعل الله - تعالى - للكائنات والدواب أجلاً مسمى تنتهي إليه ؛ فقال سبحانه :

﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لقمان: ٢٩

إن ذلك ينقض ما عداه ، فلنصحح بالقرآن المفاهيم ، وإن كان الفناء في القرآن بمعنى الموت والبلا ، لكن تصحيح العقائد واجبٌ متحتم .

(١) الفيزياء ووجود الخالق ص ٧٥ وما بعدها بتصرف أ. د جعفر إدريس .

القسم الرابع

" إعجاز القرآن في آيات كونية بحرية "



"١"

الإعجاز في بيان أمواج البحر وظلماته

﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ﴾ النور: ٤٠

قبل أعوام قليلة من يومنا هذا ؛ اكتشف علماء البحار أن في أعماق البحار والمحيطات أمواجًا هائلة عاتية أشد قوة وسُمْكًا من الأمواج السطحية التي نراها^(١).

ووجدوا أن الأمواج الباطنة تحدث في الأعماق المظلمة التي لا يصلها ضوء الشمس ؛ وسَمَّوه البحر العميق (deep sea)، وأثبتوا أن أشعة الشمس لا تنزل في الماء أكثر من (١٠٠) متر؛ وأن أقلها نزولاً هي الأشعة الحمراء ثم البرتقالية ..، وهكذا حتى تكون الأشعة الزرقاء هي أشدها تعمقاً ونزولاً في البحر ، ولذلك نرى البحر أزرقاً !

وإذا جاء السحاب فوق البحر كان أشد ظلاماً ، وقالوا : إن الكائنات التي تعيش في أعماق المحيطات خَلَقها الله - تعالى - بدون أعين ، لكنه سبحانه جعل لها خطوط إحساس - كالخفاش - تتعرف بها على غذائها ، والهرب من أعدائها.



(١) ساعدهم في ذلك اللباس الحديدي الواقى من ضغط الماء ، والكاميرات التي تصور تحت الماء ، كما أن هناك غواصات فولاذية مزودة بالمصابيح والكميرات التي تعمل تحت الماء.

إلا أن هذا التفسير العلمي الحديث قد جاء بيانه في القرآن الكريم؛ مما يزيد الدهشة والإعجاز، ذلك في قول الله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ مُّظْلِمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ النور: ٤٠.

ولقد اضطر بعض المفسرين قبل هذا الاكتشاف العلمي إلى تأويل قول الله تعالى: (مِن فَوْقِهِ) بأنها مجاز، أي موج يتبعه موج، لكن الواقع خلافه^(١).



أمواج البحر السطحية والعميقة

(١) توحيد الخالق؛ للزنداني ٣/٣٦١، وانظر موسوعة الإعجاز د. أحمد شوقي.

"٢"

الإعجاز في الإخبار بحواجز البحار وبرازخها

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١١﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن: ٢٠

أظهر علماء البحار اكتشافاً في هذا العصر ؛ وهو وجود حواجز غير مرئية في مواطن متعددة من بحار وخلجان الأرض ، وتسمى "برازخ".

ولما أجرُوا الدراسة على تلك الأماكن وجدوا بين الجهتين اختلافاً في كثافة الماء وطبيعته وطبيعة أحيائه ، وأن لكل من المائين تماسكاً جزئياً يختلف عن الآخر ؛ ومذاقاً خاصاً .. ، فتماسك جزيئات الماء المالح يختلف عن تماسك جزيئات الماء العذب .. ، اكتشفوا هذا الفرق بين المائين بناءً على القانون الذي كان العلماء قد وضعوه وسَمَّوهُ : (قانون التماسك السطحي للسوائل) ، وينص على أن : لكل سائل تماسكاً جزئياً بقوةٍ تختلف عن غيره.

إلا أن القرآن قد أعجزهم بذكر هذه البرازخ والحواجز بين المائين العذب والمالح والتي لا تلمس ، مما يدل على عظمة الله وقدرته.

قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا

وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الفرقان: ٥٣

وقال سبحانه : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١١﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن: ٢٠



الإعجاز في بيان الاحتراق في البحار والماء.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ التكوير: ٦

لما تمكن البحارون من الغوص في أعماق البحار بالوسائل المساعدة وجدوا في أعماقها ناراً هائلة تحدث في بعض مناطق الأعماق ، والتقطوا كثيراً من الصور لألسنة اللهب وهي تخرج من قاع البحر ، والله أعلم بذلك وأسبابه ، غير أن المعجزة أن خبر هذا الاشتعال قد أُشير إليه في القرآن والسنة.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ؛ إشارة سابقة إلى اشتعال البحار، وإن كان سياق الآية عن القيامة وأحوالها، إلا أن فيها تلميحاً لحدوث هذا الأمر، ويُستأنس لذلك بحديث: (إن تحت البحر ناراً ثم ماءً ثم ناراً)^(١).



صورة فوتوغرافية حقيقية لإشتعال خارج من باطن الأرض في قاع أحد البحار

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٣) **﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَالِي**

ظُهُورِهِ﴾ **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** (٣٣) **﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمًا كَسْبُومًا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾** الشورى ٣٤

(١) رواه أبو داود وصححه الأرنؤوط ، أما حديث: (لا تتركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً ، فإن تحت الماء ناراً) فهو ضعيف جداً ، ضعفه العلامة الألباني وكثير من المحدثين.

القسم الخامس

"إعجاز القرآن في آيات قرآنية طبيّة"



الآيات في مجال الإعجاز (الطبي) كثيرة جداً ..
وفيما يلي مجرد أمثلة من كثير؛ حَسْبُنَا الإِشَارَةُ إِلَيْهِ :

١- قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ

الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ البقرة: ٢٣٣

الرضاع : أثبت الطب الحديث أن حليب الأم هو الغذاء المثالي للطفل وقوته ومناعته ضد الأمراض ، وأن ذلك لا يكون إلا بطول مدة الرضاع ، لذلك قال تعالى: ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ ، وأنه لا يكون أكثر فائدة إلا من الأم (الوالدة) وليس الأم (المرضعة) ؛ كما يتضح من قوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ ﴾ ؛ ولم يقل: الأمهات. فلنتأمل! (١).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَيْنِهِنَّ مَنَامُهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَبْغَاءُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ؕ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ الروم: ٢٣ ، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا

﴿١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ: ١١

النوم : أكد الأطباء أن النوم آية ، وضرورة ، وصحة ، وراحة ، وأنه به يهدأ القلب ، ويخفّ الضغط ، وترتاح المراكز العصبية والفكرية من إرهاق الدنيا وصخبها .. ، وخاصة نوم (الليل) كما أشارت الآيات الكريمة ، وأن في المخ خلايا لا تنام وتأخذ قسطها من الراحة إلا في الليل بعيداً عن صخب النهار والأضواء !

كما أثبت العلم والطب : أن السهر خطرٌ قاتل ، وأنه يُنهك خلايا المخ ، ويُدمر الأعصاب والتفكير ، ويُضعف مناعة الجسم ، ويسبب الإرهاق الدائم.

(١) انظر كتاب : الغذاء لا الدواء ص ٥٧٦ وهو موسوعة طبية غذائية مفيدة د. صبري القباني.

٣- قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِمَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ المائدة: ٣

حَرَّمَ القرآن هذه الأشياء الخبيثة ، ولما عَلَّل الأطباء حِكْمَةَ التحريم لهذه الأشياء عَجَزُوا ودُهَلُوا مِنْ عِظْمَةِ القرآن ، وتبين لهم الحق والوحدانية والقدرة الإلهية.

فالميتات :

حُرِّمَتْ لاحتباس الدم فيها وشناعة ما فيها من الميكروبات القاتلة.

والدم المسفوح :

حُرِّمَتْ لاحتوائه على مواد مُهَيِّجَةٌ للحساسية والضغط والتجثرم والتسمم.

ولحم الخنزير :

أثبت الطب أنه يحتوي على ديدان شريطية خطيرة، ويرقات قاتلة تخترق الجدار المخاطي في المعدة ؛ وتذهب مع الدم وتسبب بالتالي التشنج، وفقر الدم، وتبَلُّدُ الذهن والإحساس^(١) ؛ ومن ثم الموت ..

إضافةً إلى أن لحم الخنزير ذو ألياف عضلية عَسِرَةِ الهضم ، شديدة الضرر، وأن فيه أمراض طفيلية وفيروسية وفطرية وجراثومية ، وأن حوالي ٨٥٪ من لحم الخنزير يحتوي على دهون ، وعلى دودة التريخينيا ، ويحتوي على مادة البولينا السامة المحتبسة في جسمه ولحمه ..، فلهذا نهى الله عنه القرآن^(٢).

(١) وهو ما يسمى ذهاب الغيرة، كما في الأثر.

(٢) الإعجاز الطبي للسيد الجميلي ص ١١٥ ، وانظر الطب النبوي في ضوء العلم الحديث

٤- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ

وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ البقرة: ٢١٩

الخمر والمخدرات : الخمر- في الطب - يسبب التقرحات ، والالتهابات ، وتليف الكبد، والإدمان ، وإرهاق المخ والأعصاب ، ونبض القلب ، وتصلب الشرايين ، وفقدان الوعي ، وضعف الصحة والشخصية والأسنان ..
ومثل الخمر : المسكرات والمخدرات والهيروين والتدخين ونحوها ؛ بل هي أشد ، لذلك كله حرمها القرآن ، إضافة إلى ما تسببه من دمار المجتمع ، وتفكيك والعلاقات ، وضياح الضروريات الخمس ، وفساد الدين ، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة^(١).

٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: ٣٢

الزنا : دُهِشَ الطب الحديث باكتشاف السبب الذي من أجله حَرَّمَ القرآنُ الزنا، فإضافةً إلى أن الزنا يؤدي لاختلاط الأنساب ، وتدمير المجتمع .. فإنه ثبت طبيًا أنه يسبب مشاكل وأمراضًا وراثية ، وإعاقات خلقية وخلقية ، وأمراضًا مُهلكة متقلبة ؛ عبر العاهرات اللاتي صرن مرتعًا للأوبئة ؛ (كمرض السيلان) و(الزهري) و(الإيدز) ؛ وهي أمراض مزمنة ناتجة عن فيروسات وميكروبات تنتشر بالعدوى عن طريق المعاشرة أو اللمس أو التقبيل .. ، وتؤدي إلى مضاعفات والتهابات واحتقانات تناسلية وبالتالي العقم ، وثُمَّ الموت^(٢).

(١) المصدر السابق ٢٤٠/١ ، وانظر الآفات الثلاث ص ١٢٢ لسيف الدين شاهين ، والبحث

المسفر عن تحريم كل مسكر ؛ للإمام الشوكاني.

(٢) الأمراض الجنسية للشاهين ص ١٩١ ، وانظر كتاب: روائع الطب الإسلامي ؛ د محمد الدقر.

٦- قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ الواقعة ٢١ ، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلَّوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ النحل ١٤ ، وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ

بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ النحل ٦٩

لحم الطيور والعسل : لا يخفى ما فيها من الإعجاز الطبي حول فوائد لحم

الطيور ، والسّمك والعسل ؛ وضرورتها للشفاء والصحة والنمو ... إنه القرآن

العظيم ؛ الذي أعجز الطب وأدهش الأطباء ؛ وأيد تقاريرهم المبنية على

البراهين والحقائق ، فسبحان الذي أنزله كتاباً مباركاً معجزاً^(١) .

٧- قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ الأعراف ١٥٧

قاعدة الطيبات والخبائث : وهي القاعدة المأخوذة من هذه الآية الكريمة

الجامعه ؛ بأن :

(كُلُّ طَيِّبٍ نَافِعٌ فَهُوَ مَبَاحٌ ، وَكُلُّ خَبِيثٍ ضَارٌّ فَهُوَ مُحَرَّمٌ).

فجميع ما ينفع ويبني في صحة الإنسان وأخلاقه وسلوكه ومصالحه وحياته ..

فقد استغرقت هذه الآية وتضمنته ، كذلك كل ضار للصحة والفرد والمجتمع داخل

في هذه الآية ؛ سواء مأكولات أو سلوكيات أو عادات .. ، فهي من الآيات القرآنية

الطبية الوقائية المعجزة.

(١) الإعجاز الطبي في القرآن ص ١١٥ ، ٢٣٧ د. السيد الجميلي ، وانظر توحيد الخالق ٣/٣٦١.

٨ - الإعجاز العلمي والطبي (في قيام الليل) :

أثبت علماء وأطباء - بعد تجارب كثيرة وطويلة - أن القيام من الليل ؛ والحركة داخل المنزل ؛ والقيام ببعض التمرينات الرياضية ؛ وتدليك الأطراف بالماء ؛ والتنفس بعمق.. أن له فوائد صحية عديدة.

والمأمل لهذه النصائح يجد أنها تماثل تماماً حركات (الوضوء والصلاة) عند (قيام الليل) الذي أرشد إليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن النبي عليه الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ الفرقان: ٦٤

وقال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ المزمل: ٦

وقال النبي ﷺ: (عليكم بقيام الليل ؛ فإنه دأبُ الصالحين قبلكم ، وقربةٌ إلى الله عزَّ وجلَّ ، ومنهأةٌ عن الإثم ، وتكفيرٌ للسيئات ، ومطرَدَةٌ للداء من الجسد)^(١).

وعن كيفية طرد الداء من الجسد بقيام الليل :

فقد ثبت أن قيام الليل نافعٌ في تقليل إفراز هرمون (الكورتيزول) ؛ خصوصاً قبل الاستيقاظ بعدة ساعات ، وهو ما يتوافق زمنياً مع وقت السَّحَر أي (الثلث الأخير من الليل) مما يقي من الزيادة المفاجئة في مستوى سُكَّر الدم ، والذي يشكل خطورة على مرضى (السكر)، ويقلل كذلك من الارتفاع المفاجئ في (ضغط الدم)، ويمنع من السكتة المخية والأزمات القلبية في المرضى المعرضين لذلك.

(١) رواه الترمذي (٣٦٩٠) ؛ وابن خزيمة (١١٣٥) ؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع.

كذلك يقلل قيام الليل من مخاطر (تخثر الدم) في وريد العين الشبكي الذي يحدث نتيجة لبطء سريان الدم في أثناء النوم ، وزيادة لزوجة الدم بسبب قلة تناول السوائل أو زيادة فقدانها أو بسبب السمنة المفرطة ؛ وصعوبة التنفس ؛ مما يعوق ارتجاع الدم الوريدي من الرأس .

ويؤدي (قيام الليل) إلى تحسّن وليونة في المفاصل الملتهبة ؛ سواء كانت روماتيزمية أو غيرها.. نتيجة الحركة الخفيفة والتدليك بالماء عند الوضوء! **وقالوا :** إن قيام الليل علاج ناجح لما يُعرَف باسم مرض "الإجهاد الزمني" وذلك لما يوفره قيام الليل من انتظام في الحركة ما بين الجهد البسيط والمتوسط .

وقالوا : يؤدي قيام الليل إلى تخلص الجسد من ما يسمى (بالجليسيرات الثلاثية) وهي نوع من الدهون التي تتراكم في الدم ؛ خصوصاً بعد تناول العشاء المحتوي على نسبة عالية من الدهون التي تزيد من مخاطر الإصابة بأمراض شرايين القلب التاجية بنسبة ٣٢٪ في هؤلاء المرضى مقارنة بغيرهم ..

وثبت أن قيام الليل : ينشط الذاكرة ؛ وينبه وظائف المخ الذهنية المختلفة ؛ لما فيه من قراءة وتدبرٍ للقرآن ؛ و ذكرٍ ودعاء ؛ واسترجاع لأذكار الصباح والمساء فيقي من أمراض (الزهايمر) وخرف الشيخوخة والاكئاب وغيرها ^(١) .

(١) انظر كتاب الوصفات المنزلية و أسرار الشفاء الطبيعية ، لمجموعة من المؤلفين الأمريكان ، وهو كتابٌ طبيّ مترجم .

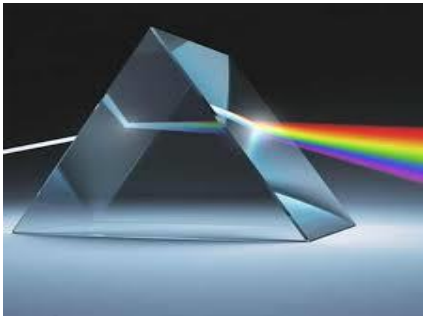
٨ - الإعجاز العلمي والطبي (في الألوان والمناظر الطبيعية) وأثرها في

الصحة النفسية والقلبية :

قبل سنوات قليلة ثبت للأطباء وعلماء النفس - من خلال البحث والتجارب والدراسات النفسية - أن (الألوان الجميلة) و (المناظر الخضراء الطبيعية) لها أثر كبير في راحة النفس وإزالة الكآبة وتخفيف الهموم ، كألوان الطيف والأشجار والحدائق الجميلة ، ووجدتها الأطباء علاجاً جيداً لذوي الكآبة والأمراض النفسية والقهرية وسرّحان الفكر ..



ومما توصلوا إليه بالبحث والتجربة : أن لون الشمس يثير البهجة والسرور ، لأنه يحتوي على (ألوان الطيف) وكافة الألوان المرئية، وكل لون يتميز بطول موجة وتردد محدد ؛ وبالتالي فهو يَحْمِل طاقة تختلف من لونٍ لآخر؛ وهذه الطاقة تعطي تأثيرها الإيجابي على النفس البشرية.



الضوء بعد مروره من منشور زجاجي



ألوان الطيف الجميلة في ضوء الشمس مع المطر

أما اللون **الأصفر** فهو مرتبط بالعمليات الفكرية ويساعد عليها ، ويملك تأثيراً مهيجاً ، ويساعد على التأمل ، وقد يستعمل لعلاج التهاب المفاصل بسبب ترده المناسب لعظام الجسم ، وهو اللون الوحيد المتميز باللمعان والبريق ، كلون الشمس ، فهو يولد البهجة والسرور في النفس ؛ ويثير فيها التفاؤل والسعادة والنشاط ؛ فهو مفضل كلباسٍ أثناء العمل.

وقالوا : إن اللون **الأخضر** يساعد على تنقية النفس وابتهاجها وإعادة التوازن والراحة إليها ؛ وهو لون الطبيعة ؛ ويدفع الناس للنشاط والانطلاقة الجادة.

وأن اللون **البرتقالي** يمكن أن ينشط الحالة العصبية للجسم ؛ ويصلح لعلاج الكآبة والإعياء المزمن ، وقد يستدل به على التساهل وعدم المبالاة لمن يميل إليه ، بعكس **البنّي** ففيه مؤشرات على الحزم.

وأن اللون **الأحمر** مثير للغضب والضغط ، ويثير القلق عند الأطفال الرضع ، إلا أنه نافع للشعور بالدفء عند الجو البارد ، ويدل على التميز بالحيوية وتقديم الجانب الحسي على المعنوي.

أما **البنفسجي** فقد يدل على الشخصية الخيالية كثيرة الخيال.

أما اللون **الأزرق** فيرى الخبراء في دراسة نفسية وطبية أنه يساعد على الاسترخاء والسكينة ؛ وله أثر إيجابي على عمل القلب والجهاز العصبي ؛ وإزالة القلق والضغط النفسي ؛ فهو مفضل في غرف وأماكن الراحة.

أما الأبيض والأسود فهما ضيدان ؛ فالميل (للأسود) يدل على الغموض والانطواء والانغلاق والتكلف ، والأسود يعبر عن الجدية والسلطة ، فاذا أراد الشخص فرض جديته على الناس يختار هذا اللون.

والميل (للأبيض) يدل على العقلانية والتميز بالعقل والاتزان الفكري ؛ ويدل على هدوء النفس والقدرة على تكوين العلاقات الاجتماعية الناجحة وهو لون النقاء والصفاء والترتيب (١).

والعجيب المعجز في أمر الألوان : أن القرآن العظيم سبق في توضيح منافع الألوان ، ودل عليها وأشار إليها ، مما أثار الدهشة والإعجاز والإيمان عند هؤلاء العلماء والأطباء والنفسيين! ولنتأمل سوياً قول الله تعالى عن بقرة بني إسرائيل لَمَّا تَشَدَّدُوا فِي السَّوَالِ: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ البقرة: ٦٩ ، فأثبت هنا حصول السرور بالأصفر الفاقع!

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ نَعْلَمْ بِأَنَّكُمْ قَوْمٌ يَعْزِلُونَ ﴾ النمل: ٦٠ ، فأثبت حصول البهجة في النفس برؤية الحدائق الغناء والأشجار الخضراء!.

وقال - تعالى - في مقام سرد نِعَمِهِ على عباده ؛ في سورة النعم (النحل): ﴿ وَمَا ذَرَأْ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ١٣

(١) بتصريف واختصار من بحوث ودراسات متخصصة في شبكة المعلومات ، وراجع إعجاز

القرآن للشيخ الزنداني ؛ مسموع.

وقال تعالى ممتناً بنعمة الألوان في الثمار والجبال والدواب : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿ فاطر: ٢٨



حَدَائِقُ ذَاتِ بَهْجَةٍ ؛ لها أثرها في إبهاج النفس وراحة البال وعلاج الاكتئاب

وللتنبية :

فإن الألوان والمناظر الجميلة ومباهج الحياة .. لا تكفي وحدها للراحة وسعادة البال وطمأنينة النفس ..، بل هي مقرونة بذكر الله الذي خلقها وأبدعها ..

لأنها إنما تبعث بالسرور والراحة في القلب والعقل عندما يتفكر في عظمة الله ويتأمل في صنعه، ويحرك في قلبه ونفسه توحيد الألوهية والعبودية لخالقه ؛ عز وجلّ.

القسم السادس

نماذج إعجازية من السنة النبوية

لا شك أن للسنة النبوية إعجاز هو الآخر، وهو كثير؛ ولا شك أنه دون إعجاز القرآن؛ خاصة في مجال الإعجاز باللغة والتأثير والأسلوب..

ومن إعجاز السنة في مجال الإعجاز العلمي:

حديث ولوغ الكلب، وحديث سقوط الذباب في الماء، وحديث الختان، وحديث سنن الفطرة، وحديث السواك، وحديث النظر سهم مسموم، وحديث ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء، وحديث الشفاء بالعسل، وحديث الاستنجاء والاستجمار، وحديث الملاعن الثلاثة، وحديث اللعائين، وأحاديث الطاعون، وأحاديث التمر، وأحاديث النطفة وخلق الإنسان، وأحاديث الأكل وآدابه وأن لا يجعل له إلا الثلث، وغيرها كثير..

وهي ثابتة كلها وصحيحة.

ولولا خشية الإطالة؛ ولولا أن ما يُذكر يدل على ما لم يُذكر؛ ولولا أن الإعجاز والمعاني في الأحاديث السابقة واضحة للمستبصرين لذكرتها وأقوال العلماء مع شرحها.

ولدى هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة الكثير في هذا الجانب، أما المؤلفات في إعجاز السنة فكثيرة أيضاً والحمد لله.

الفصل الثالث عشر

الإعجاز القرآني وواقِعنا المُعاصِر
بين الإفراط والتفريط
وتنبهاتٌ حول الإعجاز العددي

وجوب النظر والتفكر

إن ما سبق ذكره من أنواع الإعجاز وأمثله من القرآن والسنة ؛ ما هو إلا قليل من كثير ، ودليل على ما لم يُذكر ، إذ عَدَّ العلماء في القرآن الكريم قرابة الألف آية تتحدث عن الكون والمخلوقات وعلومهما ..^(١)

وقد أمرنا الله تعالى بذلك ووجهنا إلى النظر في خلقه وصنعه بأبصارنا وعقولنا حتى نعرفه سبحانه وندرك عظمته وقدرته ووحدانيته .. ولا نشرك به شيئاً.

قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ**

عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٥

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ**

الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ العنكبوت: ٢٠

وقال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي**

خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران ١٩١

فهذه آيات توجب النظر والتفكر .. فإن في ذلك زيادة إيمان ويقين ، وقدوتنا

أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

فنبينا (محمد ﷺ) لما مرَّ بأصحابه على جبلٍ اسمه جمدان بين مكة والمدينة ،

تأمل فيه فذكره بالله تعالى ؛ فقال لأصحابه : (سيروا هذا جمدان ، سبق

المفردون ، قالوا وما المفردون ، قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)^(٢) ، وهذا

امثال منه ﷺ وتفكر في قول الله تعالى: ﴿ **وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴾ الغاشية: ١٩

(١) لمحات في علوم القرآن ص ٢١٠ للصباغ ، والإعجاز العلمي للزندانى ، مسموع.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٦٧٦) ؛ و"جمدان" جبل من جبال المدينة.

وهذا (إبراهيم) عليه السلام ؛ نبي التوحيد واليقين ، الذي طلب من الله
 برهاناً كونياً يراه بعينه وحواسه - رغم إيمانه الكامل - وقال الله عنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتُؤْمِنٌ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ
 فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ
 سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠

وهذا (موسى) عليه السلام ؛ لَمَّا سَأَلَهُ قَوْمَهُ عَنِ رَبِّهِ وَإِلَٰهِهِ قَالَ - كَمَا حَكَ
 اللَّهُ عَنْهُ - : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه: ٥٠

وكما قيل :

وجميع ما في الكون شاهدُ	أن الإله الحقّ واحدُ
وفي كلّ شيء له آيةٌ	تدل على أنه الواحدُ
فوا عجباً كيف يُعصى الإلهُ	أم كيف يجحده الجاحدُ



سِرُّ نِجَاحِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ وَهَدَايَتِهِم بِالْقُرْآنِ

جيل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ؛ ذلك الجيل الذي لم ولن يتكرر، وذلك القرن العظيم ؛ الذي تحقّق لهم ما لم يتحقّق لغيرهم من التمكين والقوة والنصر والسيادة والسعادة ..؛ لأنهم كانوا يتلقون القرآن ليرجموه بعد فهمه إلى عملٍ جادٍّ وتطبيقٍ كاملٍ.

وكان الصحابي يحس وهو يقرأ القرآن كأنما يتحمل واجبات وتكاليف ، لذا قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (كان الرجل إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)^(١).

وروي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال : كنا أصحاب رسول الله أوتينا الإيمان قبل القرآن ، وسيأتي بعدكم قوم يؤثون القرآن قبل الإيمان ، يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه ؛ يقولون : قرأنا فمن أقرأ منا ؟ وعلمنا فمن أعلم منا ؟ فذلك حظهم ، وأولئك شبرار الأمة.

ولقد تكفل الله تعالى لرسوله بجمع القرآن وقرآنه أي توضيح معانيه وتفسيره فقال : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ؛ ولكنه تعالى لم يتكفل لرسوله بالعمل والاتباع ؛ بل أوكلها إليه فقال : ﴿ فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَأُنَبِّئُ قُرْآنَهُ ﴾ القيامة : ١٧-١٩ فهنا أمره بالعمل والاتباع والاهتداء ، والأمر له ولأمته عامة.

(١) ذكره الطبري والقرطبي في تفسيريهما . ووصححا إسناده لابن مسعود رضي الله عنه.

الحذر من المغالاة في شأن الإعجاز

مع وجوب النظر والتفكر ؛ فإنه يجب أيضاً الحذر من التكلف والمبالغة عند الكلام عن إعجاز القرآن ، أو تحميل المعاني والألفاظ ما لا تحتمله ، ووجوب الاعتدال وعدم الاستطراد ؛ حتى كأن غرض القرآن هو الإعجاز لا الهداية والإرشاد..!

كمن يؤوّل معاني القرآن حسب هواه ليدّعي الإعجاز ، أو يتكلف فيعدد وجوهاً للإعجاز لا معنى لها ولا فائدة لأكثرها ، وغيرها يغنى عنها ..، كقولهم الإعجاز العددي ، الاعجاز البيئي ..

علماً أن لفظ (الإعجاز) لم يرد في نص صريح من الشرع ؛ لأن الشرع والقرآن هداية ودلالة قبل أن يكون إعجازاً وتحدياً ، وإنما أطلقوا هذا المصطلح أخذاً من سبق القرآن وعجز المعاندين ؛ لعلهم ينقادون .. وأخذاً من مفهوم قول الله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الإسراء: ٨٨ ، ففيها تحدٍ ؛ والتحدي إعجاز !

وللأسف ؛ عندما يأتي جاهلون مُفْرِطون أو مُغَرِّضون باسم الإسلام يُشوّهون الأثر الجميل لإعجاز القرآن ؛ ويُغيّرون صورته عند المسلمين الجدد ، ويهدمون بناء الدعوة ببدعتهم ، كابتداع الإعجاز العددي المزعوم ، وبعض التأويلات والتكلفات التي ما أنزل الله بها من سلطان. والله تعالى أعلم.

أي إعجاز يُدركه أهل عصرنا الحاضر أكثر؟

أما إعجاز (اللغة والأسلوب) فمتضح وبيّن لكل متدبر ومتذوق للغة القرآن - والحمد لله - ، غير أنه قد يُخشى أن يكون إدراك أهل عصرنا قليل لهذا النوع من الإعجاز ؛ لكثرة الجهل بلغتنا العربية وبأساليبها ؛ خاصة مع طغيان العامية ، واختلاط اللغات والحضارات .. فلا يكاد عربي مُعاصر يتكلم بالعربية إلا ويلحن فيها. !

أما (الإعجاز العلمي) فهو أكثر ما يدركونه في هذا العصر ؛ وكل يوم يكشف الإنسان منه ويعرف منه الكثير ، ولما برع أهل عصرنا في الجانب العلمي واكتشاف أسرار الكون .. أتى القرآن ليعجزهم في ذلك بدرجة كبيرة ، فتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً.

الأولون : برعوا في اللسان والبيان ؛ فأعجزهم القرآن بفصاحته.
والمعاصرون : برعوا في الاكتشاف والنظريات ؛ فأعجزهم بجانبه العلمي.

وهذا التفصيل يُعود بنا إلى ما سبق بيانه في أن كل نبي يؤيده الله بالمعجزة التي تُناسب ما برع فيه قومه.

أما نبينا (محمد ﷺ) فلم يختص بقومٍ ولا بزمان ؛ بل هو كافة للعالمين إلى يوم القيامة ، فأعطاه الله تعالى لذلك معجزة باقية ما بقوا ، تُعجز أهل كل زمان فيما يبرزون فيه. !

ذلك هو القرآن الكريم ، الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يزيده مرور الأيام إلا قوة ووضوحاً وظهوراً ، وهذا معنى قول العلماء : "إن القرآن مُعجزة خالدة باقية إلى آخر الزمان".

هيئة (الإعجاز العلمي) وجهودها في إجلال إعجاز القرآن :

وهذه الهيئة تقرر إنشاؤها في المؤتمر العالمي للمساجد عام ١٤٠٦ هـ ؛ وكان مقرها في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

واختير لها عشرون عضواً من علماء العصر^(١) ؛ فكان لها دور كبير في إظهار إعجاز القرآن العلمي ؛ حتى كان مثل الإعجاز اللغوي في ذي قبل ؛ حيث نسّقت هذه الهيئة المباركة عقدة المؤتمرات وترتيب الندوات ، وإجراء اللقاءات مع علماء الكون في العالم ... وتم بها مقابلة النظريات وتطوير الأبحاث وتنويرها بنور القرآن.

وكم حصل من المواقف العجيبة لدى الهيئة ممن أسلموا من علماء الشرق والغرب ؛ عندما بهرهم القرآن بإعجازه العلمي !.

وكم خرج غافل من الظلمات إلى نور الإسلام ؛ ورأى تصديق القرآن لما عنده من الحقائق التي بحثها في أسرار الكون ..

وقد سجّل لدى رواد الإعجاز العلمي المسلمين الكثير من تلك الحالات الرائعة التي يعلن الكفار إسلامهم فيها أمام عظمة القرآن وعلمه وآياته ..

(١) منهم العلماء : الزندانى والسامرائى والمصلح والمفسر الشعراوي والسيد سابق والبسام

وغيرهم وقد توفي بعضهم ؛ رحمهم الله تعالى.

هل ظهر الإعجاز العلمي في عصر الصحابة والتابعين؟

لا شك أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين هم أعلم وأفهم بما في القرآن ؛ وبارشادات القرآن إلى النظر في الكون والخلق وذكر قدرة الله - تعالى - والحث على العلم ..، فلهم الفهم التام والعلم الراسخ ؛ وزكاهم الله تعالى في كتابه.

ولنتذكر من جعلهم الله تعالى سبباً وأساساً لحضارة الغرب والشرق اليوم من علماء المسلمين ؛ من الصحابة والتابعين، ومن العلماء القدامى ؛ كابن البيطار، وابن الهيثم ، وابن حيان ، والخوازمي .. في القرون الأولى الهجرية.

إلا أنه في عصرهم لم يظهر الإعجاز العلمي واضحاً مشاهداً كما هو اليوم، خاصة فيما يتعلق بالفضاء الخارجي ، والدقائق الحيوية المجهرية .. وذلك لأنهم على درجة كبيرة من الإيمان واليقين ؛ ولقلة الإمكانيات والوسائل التقنية لديهم^(١).

أما اليوم فقد كثرت الإمكانيات والوسائل لاكتشاف الحقائق العلمية ؛ مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣

والسين في قوله (سَتُرِيهِمْ) تفيد الاستقبال والاستمرارية ودوام الإعجاز في أي مجال يتحدثون فيه ..

ذلك لأن الله - تعالى - يُمكن لأهل كل عصرٍ ما يناسب حالهم ، ويُعجز تحديهم إلى آخر الزمان ؛ وهذا من بركة القرآن الكريم.

(١) انظر مقدمة تفسير ابن كثير ١/٩ ، ومحاسن التأويل للقاسمي ١/٢٧.

الإعجاز والدعوة إلى الله تعالى

في عصرنا هذا تزخرت الحضارة أكثر، وانخدع الكثيرون بذلك ، والله تعالى قد أظهر آياته في الآفاق لكل كافر ومعاند ، ولا يزال ذلك الأمر مستمراً ..
وفي هذه الحال تهيأ للمسلمين عامة - وللدعاة خاصة - تهيأ لهم حجج قوية بهذا الإعجاز العلمي للقرآن ، والذي بات أداة عظيمة ؛ وسلاحاً ونوراً يستغله الدعاة إلى الله تعالى لهداية الناس ودلائتهم على الله تعالى وتوحيده ، فعليهم أن يجعلوا من القرآن مادةً أساسية في دعوة الخلق ؛ يخاطبون بمعجزاته عقولهم ، ويبهرون بجماله مشاعرهم.

وجزماً ؛ فإن إعجاز القرآن وعلومه لو اطلع عليها علماء النظرية التجريبيون ، ولو عرّضت على عتاة الملحدّين .. فإنهم سوف يعجزون ويضطرون إلى الإيمان بالله تعالى رباً واحداً خالقاً مُدبراً ، شريطة أن :
- يُعرّض مِنّا عليهم عَرَضاً سهلاً واضحاً .
- وأن يَقفوا هُم منه موقف العدل والإنصاف .

ولا شك أن القرآن حجة الله على خلقه مؤمنهم وكافرهم ، لكن لا يستفيد من نوره وهدايته إلا الذين آمنوا ، وكلٌ بحسب حاله ودرجة إيمانه ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ

عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٤

فالمؤمن يزداد بالقرآن وإعجازه إيماناً و يقيناً .. ؛ لأن إيمان المرء - حسب مأخذه - نوعان : (إيمانٌ مُقلد) و (إيمانٌ مُكتسب).

كما أن المسلمين نوعان : (مُسلمة ديار) و (مُسلمة اختيار) ، فالذي يعيش في دارٍ مُسلمة ويرى أهلها يؤمنون ويُصلّون فيقلدهم بلا قناعة ولا وقوف على

دليل عقلي أو نقلي .. يُعتبر أضعف وأقل شأنًا من المؤمن الذي اكتسب إيمانه بنفسه وبنظره وعلمه وتفكره في آيات الله المنظورة في كونه وصنعه ؛ والمقروءة في كتابه.

والتأمل الناظر المتفكر يكون "إيمانه" مكتسب عن يقين وقناعة ، وإسلامه عن اختيارٍ واقتناعٍ بعظمة الله ووحدانيته ، فهو إسلامٌ وإيمانٌ راسخٌ مؤصلٌ له ؛ أصله ثابت وفرعه في السماء ، وهو الإيمان الذي لا تصدّه الجبال ولا تفرعه الأهوال ، وهو الإيمان الذي أشارت إليه الآية الكريمة من قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءُتْمَ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ الحجرات: ١٥

إزالة الشك باليقين في أمر الإيمان

إن الاحتياط للإيمان من الشك أمرٌ ضروريٌّ واجبٌ ، لأن الإيمان الصحيح المعتبر النافع هو الإيمان القائم على العلم واليقين ؛ وهذا ما قرره القرآن أيضاً في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ محمد: ١٩

وقوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الحج: ٥٤
فلننظر ونتأمل كيف ذكر الله تعالى (العلم) أولاً ؛ ثم (الإيمان) ؛ ثم (الإخبارات) ، فجعل العلم اليقيني أساساً للإيمان الصحيح الذي يقود للإخبارات لرَبِّ الأرض والسماوات ، وقد قال تعالى: ﴿ وَيَشِيرُ الْمُجْتَبِينَ ﴾ الحج: ٣٤

ومقابل ذلك :

فقد ذم الله - تعالى - الإيمانَ المبني على التقليد والشكّ والظن ؛ فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْتِيهِمْ بِالْآخِرَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ سبأ ٢١
وقال تعالى ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ الدخان: ٩
وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ النجم: ٢٨

فلنجعل من كلام الله وكلام رسوله وآيات الله ومعجزاته مصدراً ومنبعاً لقوة إيماننا وتوحيدها ، ودفع الشكّ والظنّ والوسوسة عنا ؛ لنقوم بحق ربنا كما يريد سبحانه ، وكما أخبرنا ربنا سبحانه وتعالى عن مبدأنا ومنشأنا ومنتهاها فقال: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ

نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنْفِقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى
أَرْضِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴿٥﴾ الحج: ٥

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (سَلُوا اللَّهَ الْيَقِينَ وَالْعَافِيَةَ)؛ قال ابن حجر -
رحمه الله - تعليقا عليه: "لأن الآخرة بغير يقين هدر، والدنيا بغير عافية كدر" (١).
واليقين: هو قوة التصديق الذي لا يخالطه شك بالله تعالى وبسائر الغيب.
وقال النبي ﷺ لعمه العباس: (سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (٢).
وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رجلا قال: يارسول الله: أيُّ الدعاء
أفضل؟ فقال ﷺ: (سَلِ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (٣).
نسأل الله اليقين والعفو والعافية.

(١) مقدمة التحقيق لجامع العلوم والحكم. لشعيب الأرنؤوط ص ٧ ط ٣، والحديث رواه الترمذي

(٣٥١٤) وأحمد (٤٩) وصححه الأرنؤوط

(٢) رواه الترمذي (٣٥١٤) في الدعوات.

(٣) رواه أبوداود (٣٨٤٨) في كتاب الدعاء.

الإعجاز العددي

هل هو إضلال أم أكذوبة ؟

ظهر في زماننا هذا من قال - زوراً وجهاً - : إن للقرآن إعجازاً عددياً ويسمونه "إعجاز عددي أو إحصائي" ؛ يُحصون أرقاماً وحروفاً ومضاعفات تدور على العدد (١٩) وأن فيه سراً ..

وإنما أشرت إليه هنا من باب :

عرفت الشرّ لا للشرّ ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشرّ من الخير يقع فيه

فقبل عقدين من الزمان ؛ ظهر من دعاة الشر والجهل من ينشر هذا الإعجاز المزعوم الدائر على رقم (١٩) ؛ وحاضروا عنه ووضعوه في كتب ونشرات مثل : "دلالات جديدة في إعجاز القرآن" ^(١) ، ومنها نشرة : "معجزة محمد الخالدة" وهي تحمّل نفس الضلال ..

ومن أكاذيبهم في هذه النشرات ^(٢) :

قالوا إن "بسم الله الرحمن الرحيم" فيها ١٩ حرفاً ؛ وتكرّر كلماتها من مضاعفاته ، وقالوا إن لكل حرف في القرآن معنى باطنياً غير الظاهر ؛ وزعموا أن مثل كلمة "محمد" لا تعني الرسول - بحدّ زعمهم - بل إن لكل حرف منها معنى يرمز له ، وقالوا أن ١١٤ عدد سور القرآن من مضاعفات ال ١٩ .

(١) وضعه مصري مُعاصر ؛ قضى وقتاً طويلاً في بلاد الغرب لدراسة الهندسة الزراعية ، لكن في فكره وتصوراتهِ ضلال وانحراف واضح عرّضه للنقد.

(٢) انظر مجلة البحوث الإسلامية العدد (٩) ص ١٢ وما بعدها ١٤٠٤ هـ. إعداد هيئة كبار العلماء بالمملكة ، وفي هذا العدد جاء نص محاضرة الباحث المذكور ؛ وردود كبار العلماء عليه ؛ ومنهم الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ؛ فقد ردّ عليه وانتقد أباطيله.

ثم تطور بهم الفجور والبهتان ؛ فزعموا زوراً أن الآية : (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) قالوا: ليس المقصود الملائكة خزنة النار؛ بل المقصود منها بيان عدد حروف البسملة الـ(١٩)، وسمّوه تفسيراً جديداً على حد اعتقادهم الفاسد.

ثم أتوا بما هو أدهى وأقبح من ذلك ؛ فشاركوا الله في صفاته بادعاء علم الغيب ، عندما زعموا بحساباتهم وأرقامهم أنهم يعرفون وقت قيام الساعة

أصول هذه البدعة ، وموقف العلماء منها :

إن أصل هذه البدعة الذي نبعت منه : هو التفسير الباطن اليهودي الذي يعتمد على الحروف والأرقام ؛ ويجعلون لكل حرف معنىً باطلاً.. واعتمادهم على (طريقة اليهود) في التفسير بالأرقام والحروف ؛ من غير عقل ولا نقل.. حتى تجرّؤوا على وضع تاريخٍ محدّدٍ للقيامة!

وإن (علماء الشريعة) قد فطنوا لذلك الباطل وتصدّوا له بالحقّ والعدل ؛ وبنوا بالرجوع إلى المعاجم المعتمّدة في مفردات القرآن أن كلمات كثيرة كذبوا في القول بأن عددها في القرآن (١٩) أو مضاعفاتها ؛ وبيّن العلماء أن قول هؤلاء في (التسعة عشر) أنها حروف البسملة .. أنه قول خاطئ كاذب.

وأن الحق هو أن التسعة عشر هم ملائكة الله تعالى (خزنة النار)، وأن هذا هو المفهوم الصحيح من لفظ وسياق الآية الكريمة.

ومن أولئك العلماء الأبرار : الشيخ (عبد العزيز بن باز) رحمه الله ، قال: (والمذكور ليس له علم في الشريعة ؛ إذ هو يحمل شهادةً في الهندسة الزراعية مما لا يؤهّله للقيام بالدعوة إلى الله على وجهٍ صحيح ، وقد غرر ببعض المسلمين الجدد والعامّة باسم الإسلام..)^(١).

وقال - رحمه الله - في مَعْرِضِ الإنكار على بدعة هذا المبتدع : (وما تفوّه به هؤلاء من إنكار السُّنة والقول بَعْدَ حجّيتها وعدم الحاجة إليها .. يُعْتَبَرُ كُفْرًا وِرْدَةً عن الإسلام ؛ لأن مَنْ أنكر السُّنة فقد أنكر الكتاب ، ومَنْ أنكرهما أو أحدهما فهو كافر بالإجماع)^(١).

ومن تصدى لفرية الإعجاز العددي :

(الشيخ حسين ناجي) في كتابه الذي سمّاه (تسعة عشر ملكاً ؛ فرية الإعجاز العددي خدعة بهائية)^(٢) ؛ وفيه ردُّ على تأويلهم الفاسد بآية المدثر ، ويبيّن أن افتراءهم هذا ناسِلٌ من جذور يهودية وإلحادية ؛ وهي البهائية..

ومما يبيّن ضلال هذه الفرية : أننا لو فرضنا صدقها فإنها لا إعجاز فيها أبداً ؛ لأنها خالية من الفائدة والنتائج .. ولا إعجاز فيما لا ثمرة له ، ولو فرضنا جدلاً أن فيها إعجازاً ؛ فما علاقتها بآية التسعة عشر ملكاً؟ ولماذا تحريف معاني القرآن؟!

نسأل الله العافية والهداية ؛ والسلامة من الضلال والغواية.

(١) المصدر السابق ص ٤١ .

(٢) وقد اطلعتُ عليه واستفدتُ منه هنا.

فرقة (البابية والبهاية) وضلالاتها في العدد ١٩ :

إن الفرقة تُقدّس الرقم (١٩) وتدّعي نسخ القرآن وتطعن في الإسلام ..
فماذا عن البهاية؟!

هي فرقة منحرفة ضالة ملحدة ؛ متفرّعة من الاثنى عشرية الراضية وعن
الماسونية الصهيونية ؛ ظهرت قبل قرنين تقريباً من يومنا هذا على يد طاغوتين هما
(الباب) و(بهاء الدين) بدعمٍ من الاستعمار الروسي واليهودي ، بهدف إفساد
عقيدة المسلمين وتفكيكهم ؛ وقد ادعيا النبوة ، وادّعيا الوحي بكتاب اسمه
(البيان) ثم (الأقدس) وافتريا أنهما نسحا القرآن !

وهذا المذهب البهائي مذهب كافر وأتباعه مارقون على الإسلام ، وقد ذاب
وخاب - والحمد لله - بعد أن انتشر في بعض البلدان ، وأنشؤوا له مراكز ومحافل
حول العالم ، لكن سرعان ما خابوا.

أما مُعتقدتهم: فإنهم يشركون بالله تعالى ، ويقولون بصَلْب المسيح ونَسْخ
الإسلام ، ويُنكرون الملائكة والآخرة ، ولا صلاة ولا حج عندهم ، ويقدّسون
العدد (١٩) ؛ حتى جعلوا الشهور ١٩ وكل شهر ١٩ يوم ، ويصومون الشهر
الـ ١٩ ، ويُفسّرون القرآن به .. إلى آخر هرائهم وضلالاتهم^(١) .

(١) انظر الاستزادة : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١ / ٤١٢ ، والموجز في

الأديان والمذاهب المعاصرة ص ١٦٥ وما بعدها.

أقرب ما قيل في الإعجاز العددي :

وأقرب ما قيل في الإعجاز العددي استنباط توازن بعض الكلمات في القرآن ؛
كالكلمات التي ذكّرت بنفس العدد ، ومما ذكروا في الإعجاز العددي في القرآن
الكريم :

أن الدنيا قد ذكّرت في القرآن ١١٥ مرّة والآخرة كذلك ، الحياة قد ذكّرت في
القرآن ١٤٥ مرّة والموت كذلك ، النفع قد ذكّر في القرآن ٥٠ مرّة والفساد كذلك ،
الناس قد ذكّرت في القرآن ٣٦٨ مرّة والرسول كذلك ، وإبليس قد ذكّر في القرآن
١١ مرّة والاستعاذة منه كذلك ، والمصيبة قد ذكّرت في القرآن ٧٥ مرّة والشكر
كذلك ، الإنفاق ذكّر في القرآن ٣٧ مرّة والرضا كذلك ، المسلمون قد ذكروا في
القرآن ٤١ مرّة والجهاد كذلك ، والذهب قد ذكّر في القرآن ٨ مرات والترف
كذلك ، والزكاة قد ذكّرت في القرآن ٣٢ مرّة والبركة كذلك ، العقل قد ذكّر في
القرآن ٤٩ مرّة والنور كذلك ، والرغبة قد ذكّرت في القرآن ٨ مرات والرغبة
كذلك ، الجهر قد ذكّر في القرآن ١٦ مرّة والعلانية كذلك ، والشدة قد ذكّرت في
القرآن ١١٤ مرة والصبر كذلك ، الرجل قد ذكّر في القرآن ٢٤ مرّة والمرأة كذلك ،
والله أعلم.

ومن ذلك قالوا : إن البحر قد ذكّر في القرآن ٣٢ مرة ، أما البرّ فذكر ١٣
مرة ؛ وهذا نفس ما توصل إليه العلماء الوقت الحاضر من أن (اليابسة) في الأرض
تعدل ثلثها فقط ، وأن (الماء) يُشكّل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية!
وغير ذلك من التوازن المعجز^(١).

(١) القرآن يتحدّى ؛ ص ٢٣٧ لأحمد عز الدين ط١ ، وإعجاز القرآن د. طارق السويدان ، وانظر
مواقع الإعجاز على شبكة الإنترنت.

لكن رغم أن هذا التوازن العددي يدعو للعجب ، إلا أنه لا فائدة في معرفته لأنه يُشغِل عن مقصود القرآن وتدبره.

ولذلك يجب (سد الذرائع) التي تساير أفكار أهل الزيغ واهتماماتهم ومعتقداتهم الفاسدة ، كالبهائية وتقديسها بعض الأعداد والاعتماد عليها؛ والعدد ١٩ ودعواهم الكاذبة فيه.

ومن عجائب الأعداد في القرآن :

التضخيم والتهويل ؛ كما في قول الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ**

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ العنكبوت: ١٤

لَمْ يَقُلْ (٩٥٠) عامًا؛ بل أتى بالألف .. تعظيمًا لشأن الدعوة ؛ وتقديرًا لصبر نوح عليه السلام ، ومُراعاة للفروق اللغوية بين (السَّنَة) و(العام).

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ **لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ القدر: ٣ ، عبّر بالألف

عن الأعوام إظهاراً لعِظَم شأن ليلة القدر.

وقوله تعالى : ﴿ **إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ..** ﴾ التوبة: ٨٠ ؛ من باب التكثير فقط.

الفصل الرابع عشر

مُعْجِزَةُ الشِّفَاءِ بِالْقُرْآنِ
وَأَنَّهُ دَوَاءٌ لِلْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ

القرآن شفاءً ورحمة

إن من خصائص القرآن الإعجازية ؛ ومن فضائله الربانية : أنه شفاءٌ ودواء وزادٌ للأرواح وغذاء.

فهو شفاءٌ لكثيرٍ من أسقام الأرواح والأبدان ، وحِصْنٌ من الشيطان وهذه فضيلة يظهر فيها إعجاز القرآن العظيم.

والشفاء : هو البُراء والسلامة والعافية من الأمراض الجسدية والمعنوية الجسدية والقلبية ، لقول النبي ﷺ : (ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً ؛ علمه من علمه وجهله من جهله) ^(١).

والقرآن أعظم (الشفاء) ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ۖ

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۗ ﴾ الإسراء: ٨٢

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَ تَكْم مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴾ يونس: ٥٧.

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي

ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۗ ﴾ فصلت: ٤٤.

(من) في قوله " **مِن الْقُرْآنِ** " للجنس لا للتبويض ، فلا تعني أن بعض

القرآن شفاء دون بعض ؛ بل كُله شفاء ورحمة ^(٢) ؛ لكن آياته وسُوره تتفاضل في ذلك.

(١) رواه البخاري (٥٦٧٨) كتاب الطب ، وأحمد (٣٥٧٨) ، وابن حبان (٢٨٨).

(٢) الطب النبوي ؛ لابن القيم ص ٣٥٢. حرف القاف.

القرآن كُله شفاء (دلالةً وذاتاً)

يجب أن نعتقد أن القرآن شفاءٌ ورُقِيّةٌ نافعة للقلب وأمراضه ، وللبدن وأسقامه ، وللمجتمع وأدوائه ، وأنّ معنى كونه شفاءً : أي دلالةً وذاتاً. (فهو شفاء دلالةً) : لأنه يدل على أسباب الشفاء والسلامة والسعادة والحِميّة من الأضرار.

(وهو شفاء ذاتاً) : أي بذاته ، فهو ذاته دواء ؛ لأنه كلام الله - تعالى - أودع فيه التأثير بنفسه ؛ والنزول على الأفئدة ومداواتها ، ومَن أنكر ذلك فهو آثم ؛ لأنه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

و"الشافي" من أسماء الله الحُسنى ؛ اسمٌ عظيمٌ ثابتٌ له - سبحانه - فهو الشافي ؛ الذي يَمْلِكُ الشفاء والعافية ، الذي لا يَقْدِرُ على مَنَحِها أو رَفْعِها إلا هو وَحْدَهُ ، وقد أودع شيئاً من ذلك في كتابه.

قال ابن القيم - رحمه الله - : (إن الداء لا يُقاوم القرآن ؛ وكيف تُقاوم الأدوية كلامَ رَبِّ الأرض والسماء ، الذي لو نَزَلَ على الجبال لصدَّعها ، أو على الأرض لقطَّعها ، فما من مَرَضٍ من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن دلالةً على دوائه والحِميّة منه ؛ لِمَن رَزَقَهُ اللهُ فَهَمَّ كتابه) أهـ^(١).

وصدق القائل :

يزيدُ على مَرِّ الجديدين جِدَّةً	وألفاظُهُ مهما تَلَوْتَ عَذَابُ
فيه الدواء من كُلِّ داءٍ فَثِقُ به	وفيه علومٌ جَمَّةٌ وثوابٌ
وفيه هُدًى للعالمين وَرَحمةٌ	فوالله ما عَنَّهُ ينوبُ كِتَابُ

(١) زاد المعاد لابن القيم ٣٥٢/٤ تحقيق الأرئوط.

ترابط الإيمان والقرآن

الإيمان والقرآن مترابطان لا ينفكان ؛ ترابط المُسَبَّب بالسبب والمشروط

بالشرط ، فالإيمان مشروط للعمل بالقرآن ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

هُدًى وَشِفَاءً ﴾ فصلت: ٤٤ ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُمِيزُونَ الصَّلَاةَ وَبِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ البقرة : ٣ .

فاشترط (الإيمان) و(التقوى) للانتفاع بالقرآن والاهتداء بهديه .

"وما كُلُّ أَحَدٍ يُوَفَّقُ لِيُوفَّقَ لِلإِسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ ، فَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ التَّدَاوِي

بِهِ ؛ وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ وَقَبُولٍ تَامٍّ ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ وَاسْتِيفَاءٍ لَشُرُوطِهِ لَمْ يُقَاوِمِهِ الدَّاءُ أَبَدًا " أ.هـ^(١) .

والقرآن والعسل شفاء ، وفي الأثر: (عليكم بالشفاءين : العسل

والقرآن)^(٢) .

فأما القرآن : فللمؤمنين خاصة ، وأما العسل : فشفاء للناس كلهم المؤمن

والكافر ، كما قال تعالى : ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ النحل: ٦٩ .

وقال (فيه) ولم يقل هو ، وهذا يعني أن القرآن كله شفاء للمؤمنين ، وأن في

العسل شفاء محدود ولكل الناس ، ويزيد نفعه إذا أُضيف إليه أعشابٌ أخرى .

وهذا هو الفارق ؛ أنّ القرآن علاجٌ روح ، والعسل علاجٌ جسد ، وشَتَان

بينهما .

يا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى لِخِدْمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فِضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

(١) المصدر السابق .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - موقوفاً ، وضعفه الألباني .

وَرَحِمَ اللهُ الإِمَامَ الزَّرْكَشِيَّ ؛ عِنْدَمَا قَالَ عَنِ الاسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ :
 (وَلَنْ يَنْتَفِعَ بِالْقُرْآنِ إِلاَّ مَنْ أَخْلَصَ لِهَيْبَتِهِ ، وَتَدَبَّرَهُ فِي عَقْلِهِ وَسَمِعَهُ
 وَعَمَرَ بِهِ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحَهُ ، وَجَعَلَهُ سَمِيرَةً فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَتَمَسَّكَ بِهِ
 وَاتَّبَعَهُ ؛ هُنَالِكَ تَأْتِيهِ الْحَقَائِقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَانَ فِعْلُهُ
 مُكَذَّباً لِقَوْلِهِ) اهـ (١) .

وَكَمْ مِنْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ؛ عَلِمُوا بِفَضْلِ كِتَابِ رَبِّهِمْ ، وَأَيَّقَنُوا بِنَفْعِهِ
 وَطَبَّقُوهُ فِي وَاقِعِهِمْ ، وَاسْتَشْفَوْا بِهِ ؛ فَذَهَبَ هُمُومُهُمْ ، وَهَنَأَ نَوْمُهُمْ ، وَزَالَتْ
 وَحْشَتُهُمْ ، وَانْقَطَعَ شَكُّهُمْ ، وَكَمُلَ يَقِينُهُمْ ، وَاطْمَأْنَنَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَاغْتَنَى
 فَقْرُهُمْ ، وَتَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّهِمْ..، نَسَأَلُ اللهُ بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْهُمْ .

(١) البرهان في علوم القرآن ؛ للإمام محمد الزركشي ٤٣٦/١ ؛ تحقيق محمد أبو الفضل .

التداوي بالقرآن والسنة هدي نبوي

إن القرآن يشفي (القلوب) من شكوكها وفسقها، و(الأبدان) من أسقامها وأوجاعها، و(العقول) من زيغها وضلالها، و(النفوس) من شهواتها وفجورها ويشفي (المجتمعات) من ذنوبها وأسباب هلاكها ..

بل ويشفي كلَّ الأسقام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ الشعراء: ٨٠.

ويشفي الصدور ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ١٤.

ويشفي من الضرِّ والكرب: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ النحل: ٥٣.

وقال عن نبيه أيوب: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ﴾ الأنبياء: ٨٤.

وكان النبي ﷺ يرقى نفسه ويقول: (اللهم أذهب البأس ربَّ الناس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يُغادر سقماً) (١).

لقد كان النبي ﷺ يتداوى بالقرآن والتعويدات المشروعة، ويُعلم أمته ذلك، وعلمنا أن نقرأ "الإخلاص" و"المعوذتين" و"آية الكرسي" بعد كلِّ صلاةٍ وعند النوم وفي الصباح والمساء؛ مع النفث على الجسد؛ استشفاءً وتداوياً وجمية وحصانة ..

ولما سُحِرَ ﷺ أنزل الله المعوذتين - الفلق والناس - فرقى نفسه بهما وشفي،

وقال ﷺ: (ما تعوذُّ متعوِّدٌ بمثلهما) (٢)، وفي رواية: (لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ) (٣).

(١) رواه البخاري (٥٧٥٠)، ومسلم (٢١٩١).

(٢) رواه أبو داود (١٤٦٣)، والنسائي (٥٤١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٤٩).

(٣) رواه مسلم (٢١٠١) كتاب فضائل القرآن.

وَوَجَّهَ ﷺ عند الأرق والقلق في المنام أن نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ

بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١﴾ .

وقد تكفل الله - تعالى - لرسوله بجمع القرآن وقرآنه ؛ أي توضيح معانيه وتفسيره ؛ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ؛ ولكنه لم يتكفل لرسوله بالعمل والاتباع ؛ بل أوكلها إليه فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ، فأمره بالعمل والاتباع والاهتداء ، والأمر له ولأُمَّته عامّة .

وكان (الصحابه الكرام) - رضي الله عنهم - خير من قرأ القرآن وعمل به بعد النبي ﷺ ؛ فكانوا هم الجيل الفريد ؛ والفجر الجديد ؛ الذي غير مجرى التاريخ وكانوا أبر الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ..

ومن قصص اهتمام السلف الصالح بالاستشفاء بالقرآن :

ما ذكر عن أحد الصالحين أنه أصابه عُسر البول - وهو المعروف اليوم بمرض "الحصى الكلوي" - فكتب في ورقةٍ : البسملة ؛ وقول الله تعالى: ﴿وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ، وقوله: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا دَكَّةً وَوَحْدَةً﴾ ، وقوله: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ، ثم وضع الورقة في ماء ؛ وكرّر قراءة هذه الآيات فيه وشرب وغسل منه ؛ فشفاه الله ؛ وألقى الحصى (٢) .

(١) انظر: تفسير الشيخ أبو بكر الجزائري عند الآية ٩٧ من سورة المؤمنون.

(٢) البرهان في علوم القرآن ؛ للزركشي ٤٣٥/١ .

شِفاء القرآن لأمراض (القلوب)

إن القرآن شِفاءً (للقلوب) من أمراضها التي تُسقمها أو تميتها..

ومن تلك الأمراض المهلكة :

الكُفر ، والشرك ، والنفاق ، والشهوات ، والشبهات ، والخوف ، والحزن

والهم ، والغم ، والوسوسة ، والقلق ، والتعلق بغير الله..

قال تعالى : ﴿ **الْأَبْيَضُ كَرٍ اللَّهُ تَطْمِينُ الْقُلُوبِ** ﴾ الرعد: ٢٨ ، فمن قرأ القرآن

وَأَمَّنْ بِهِ وَتَدَبَّرَهُ وَتَبِعَهُ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْقَامِ وَالْآفَاتِ ، وَأَطْمَأَنَّ قَلْبُهُ .

وفي قوله تعالى : ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾ آل عمران: ١٧٣ ، شفاءً من

الخوف والحسرة ومن مكر الأعداء.

وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ البقرة: ١٥٦ ، شفاءً من الحزن ولوعة

المصائب والبلاء.

وفي قوله : ﴿ **مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ** ﴾ الكهف: ٣٩ ، شفاءً من الحسد والعين.

وفي قوله : ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ الأنبياء: ٨٧

شفاءً من الغمّ والهمّ والكرب.

وفي قوله تعالى : ﴿ **وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ غافر: ٤٤ ،

شفاءً من الخوف من المخلوقين ومن كلّ مرهوب.

شِفاء القرآن لأمراض (الأبدان)

(أما الأبدان): فالقرآن أيضاً شفاءً لها ، فقد كان النبي ﷺ إذا ألمه ألمٌ وَضَعَ يده عليه وقرأ عليه من القرآن وِقرأ وِيدعو وَيَنفث ؛ فِيشْفَى بإذن الله .
فَعَن عائشة - رضي الله عنها - : (كان ﷺ يَنفث بالمعوذات على نفسه في المرض الذي مات فيه ؛ فلما ثَقُلَ كنت أنفث عليه بهنّ وأمسح بيده رجاء بَرَكتها) ^(١) .

وفي صحيح البخاري ؛ قصة الرَّجُل الذي لُدِغَ ؛ فقرأ عليه الصحابة الفاتحة فكان القارئ يقرأ وَيَنفث ؛ فبرئ الملدوغ ؛ وأخذوا عليه جَعلاً وأقرهم النبي ﷺ على ذلك ؛ وقال : (وما يُدريك أنها رُقِيَةٌ ؛ أصبتم ؛ واضربوا لي معكم بسَهْم) ^(٢) .

وعن خارِجة بن الصَّلْت ؛ عن عَمّه ؛ أنه أتى بِرَجُلٍ مَعْتَوْه في القيود ، فَرَاقاه بِأَمِّ القرآن - الفاتحة - ثلاثة أيام غُدوةً وَعَشِيًّا ؛ كُلِّمَا خَتَمَهَا نَفَثَ عليه فَبَرِئَ المَعْتَوْه وَنَشِطَ ، فَأَعْطَوْا الرَاقِي شيئاً ، فَذَكَرَهُ لرسول الله ؛ فقال ﷺ : (كُلْ ؛ فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقِيَةٍ باطلٍ لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَةٍ حَق) ^(٣) .

وفي سورة (الفلق) الرُقِيَّة والعلاج من "أربعة أمراضٍ جَسَدِيَّة" ؛ هي :
(شَرُّ الأَشْرار ، وَشَرُّ اللَّيْلِ ، وَالسَّحَر ، وَالعَيْن).

وسورة (الناس) لعلاج "الوسواس" .

ومِن شِفاء القرآن للأبدان أنه يعالج الأمراض النفسية التي تؤثر على الأبدان.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٠١٦) باب فصل المعوذات.

(٢) رواه البخاري (٥٧٤٩) كتاب الطب ، وفي كتاب الإجارة برقم (٢٢٧٦).

(٣) رواه أبو داود (٣٤٢٠) ، وابن حبان (٦١١١) ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٢٧).

شفاء القرآن للسحر والعين والمس

إن (السحر والعين) أسوأ داءين يُصيبان الجسد ويُسببان القلق والآلام والتخيلات ..

وعلاجهما سهلٌ ويسيرٌ بالقرآن والتعويدات وأذكار الصباح والمساء، فإذا قرئتُ الفاتحة والكرسي وخواتم البقرة وأوائل الصافات وأواخر الحشر والإخلاص والمعوذتين الفلق والناس ؛ مع آيات السحر وآيات العين والتعويدات المشروعة .. شفت وكفت بإذن الله تعالى^(١).

أما علاج السحر بالسحر - النشرة - والاستعانة بالجن والسحرة والكهنة في فكّه فإنه مُحَرَّم ولا يصح ؛ لأنه يقود للشرك وفساد العقيدة ، ولا فائدة منه ؛ ولأنه وهمٌ مزعوم ؛ يهدف لابتزاز الناس من حيث لا يشعرون ، ويُفسدون عقائد الناس بإيكا لهم للخلق دون الخالق - جلّ وعلا ..

وأما (تلبس الجن بالإنسان) في داخل جسده وخارجه فهو حقيقة ثابتة بأدلة القرآن والسنة ، وأنه يتخبّط الإنسان بالمس ، وأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم وأن علاج هذا التلبس سهلٌ ويسيرٌ بما شرع الله لعباده من الأدعية والأذكار والطهارة والصلوات والرقية القرآنية الشرعية.

(١) سيأتي ذكر الرقية الشرعية الثابتة من الآيات الكريمة والسنة النبوية.

شِفاء القرآن للأسرة والمجتمع

كذلك فإنّ القرآن شفاءٌ لأمراض المجتمع الفتاكة به ؛ كالسُّخرية ، والتناؤز والغيبة ، والنميمة ، وسوء الظنّ ، والتكبر ، والعداوة ، والبغضاء ، والقطيعة والعقوق ، والزنا ، والفاحشة ، والقتل ، والسرقه ، والزور ، وأكل الحرام ، والظلم ، والرِّبا ، وتتبُّع العورات ، والنظر المحرّم ..

وكُلُّ ذلك مما جاء في القرآن دواؤه والنهي عنه وتحريمه ومُعاقبة أهله ، وذلك

بَيْنَ لِمَنْ تَأْمَلُ قَوْلَ اللَّهِ - تعالى - : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۗ

أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقِي ۗ تَحْنُ

نُرُزُفُكُمْ وَإِيَاهُمْ ۗ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۗ وَلَا تَقْتُلُوا

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ الأنعام: ١٥١ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ النحل: ٩٠ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿ النحل: ٢٣ .

وقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ۗ ﴿ البقرة: ٢٧٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿ الإسراء: ٣٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴿ الإسراء: ٣٦ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿

الفرقان: ٧٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴿ الحجرات: ١٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴿ النساء: ١٩ .

وقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء ١١٤

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور: ١٩.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ النور: ٣١.

فلو أنزلنا هذه الآيات الكريمات وأمثالها على أمراضنا وأدواتنا الأسرية والاجتماعية بصدقٍ ويقين وإيمان.. لذهبت تلك الأمراض، ولسلم منها المجتمع المسلم؛ وصار مثلاً يُحتذى به، فهي رُقية وشفاء لهذه المشاكل قبل وبعد وقوعها، وهي حمية قبل تفشيها.

وفي سورتي (النور والحجرات) الكثير من الدواء والعِظَات لسلامة الأسر والبيوت والمجتمعات وستر العورات، ومن تدبرهما رأى العَجَب.

كما أن السور: (البقرة والنساء والأحزاب والطلاق) فيها الكثير من علاج أمراض الأسر والخلافات الزوجية والبيوت؛ وذلك ظاهرٌ للمتدبرين.

شفاء القرآن للقلق والأرق وضيق الصدر

ما أحوج مجتمعاتنا المعاصرة إلى هداية القرآن للسلامة من هذا الداء الوييل في عالمٍ تتنازعه الحضارة المادّية ، والشهوات الجسدية ، والمَلذات الدنيوية .
ولقد غَلَبَ القلقُ على البعض في هذا العصر ، وليس هُوَ نَتَاجُ فَقْرٍ أو بَحْثٍ عن قوتٍ .. ، ولكنه الخَوَاءُ الروحي الناتج عن ضَعْفِ الإيمان ؛ وَعَدَمِ الرضى بالقضاء والقدر ؛ والناتج أيضاً عن إشباع مطالب الجسد وإهمال مطالب الروح من القرآن والذِّكْر ، إضافةً إلى انتشار الشهوات والفتن والفضائيات وخليع القنوات وبرامج التواصل وشبكة الإنترنت ..

وحيثُ تستولي - على البعض من أفراد المجتمع - الأمراض النفسية والقلق والوسواس والاكتئاب والهم والغم والصرع والعين والسحر ، وبالتالي الجريمة ؛ إذا لم يحصل ضبط النَّفس بالإيمان والصبر والقرآن ..

وكلُّ ذلك نتيجة الإعراض عن ذكر الله وعن القرآن ، كما قرّر الله ذلك فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ طه ١٢٤ .

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ الزخرف ٣٦ .

ولا بد للإنسان من تعرّضه للأسقام ، والدنيا ممزوجة بالكدر ، ولا راحة إلا في (الجنة) ؛ تلك الدار التي قال عنها النبي ﷺ: (يُنَادِي مُنَادٍ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَرْبَعٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبَّهُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا) (١) .

(١) رواه مسلم (٧١٠٦) ، والترمذي (٣٣٦٨) ، وأحمد (٨٢١٠) .

ضوابط الانتفاء بالقرآن والسنة والاستشفاء بهما

١- قبل وقوع المرض ينبغي التحصن بالقرآن والتعويدات الشرعية ، وحفظ الفرائض والصلوات الخمس في وقتها والحشوع فيها ، والأذكار والتعويدات المشروعة للصباح والمساء ، وتحقيق الإيمان والتوكل بالقلب على الله.

٢- بعد وقوع أي مَرَضٍ على الجسد أو القلب والنفس فإنه ينبغي الإسراع إلى الدُّعاء واللجوء إلى الله ؛ ثم الأخذ بالأسباب المشروعة ؛ وأعظمها (الرقية الشرعية) من القرآن والسنة ، وسيأتي بيان هذه الرُّقية إن شاء الله.

٣- أن يَعْتَقِدَ المريض وَمَنْ يَرْقِيهِ أن النفع والضرر من عند الله تعالى ؛ وأن هذه مجرد أسباب مشروعة.

٤- الحذر من البدعيات والشركيات ؛ وما قد يفعلُه الجهلة والفسقة ؛ كالسِّحْرَ والكهنة الذين يكتبون طلاسم ورموز ومربعات وشعوذة ويعكسون كتابة الآيات ، أو يقرأون في الكفّ أو الفنجان ؛ لتوهيم الجهال والتقرب للشياطين ليخدموهم في الكفر والشرك.

ولا نفع ولا شفاء إلا بالطرق المشروعة التي على هدى من القرآن والسنة كما قال النبي ﷺ: (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك) (١).

(١) رواه مسلم (٥٧٢٣)، وأبو داود (٣٨٨٦)؛ باب الرقى؛ بلفظ: "ما لم يكن شركاً".

القرآن والصحة النفسية

إن للقرآن والذكر والدعاء والصلاة أثراً عظيماً ودوراً كبيراً في حصول الصحة النفسية والطمأنينة القلبية ، بل شهد الواقع بذلك ؛ وأثبتت دراسات علمية ميدانية أنه لا يُمكن لإنسان أن يكون صحيحاً في نفسيته ؛ ولا قوياً في شخصيته ؛ ولا مُتفائلاً ولا مُتزنّاً ؛ ولا صابراً ؛ ولا قادراً على تحمّل المسؤوليات وحلّ المشكلات ؛ ولا يتنصر على النفس والهوى والإحباط والتردد والشهوات إلا إذا كان من أهل القرآن : تلاوةً وتدبّراً وعملاً ؛ ومن أهل الصلاة : حفظاً وإخلاصاً وخشوعاً ، ومن أهل الأذكار والأدعية المشروعة : تحصّناً وتأملاً واستشفاءً ، والعكس بالعكس ..

وأن في القلب فراغاً ؛ لا يملأه إلا الإيمان بالله وطاعته ؛ وفيه وحشة لا يؤنسها إلا ذكر الله عزّ وجلّ.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

القلوب ﴾ الرعد: ٢٨ .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي

فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ سورة الفجر ٣٠ .

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ الشمس: ١٠ .

زكّاهَا : أي نقّاهها بالإيمان والتوحيد والإخلاص والصدق والعمل الصالح.

دسّاهَا : أي دسّسها بالكفر أو الشرك أو النفاق أو المعاصي أو الشهوات ..

العلاقة بين شفاء الروح وشفاء الجسد

وقد أثبت الأطباء أن شفاء الروح وسلامة النفس هو خطوة أولى وقائية لشفاء الجسد ، كيف؟!

ذلك أن المسلم المتخلق بأخلاق القرآن يكون هادئاً مطمئن القلب .. لا يغضب ولا يحرص ولا يحسد .. ، فيصير بذلك سليم الروح والجسد.

أما (الغضوب والحسود والحريص والقلق والمهموم) لإهماله القرآن والذكر فإنه يصاب بمرض السكري والضغط ومرض القلب والشرابين والانفعال والتوتر والخوف .. ؛ لأنه لم يُروِّض روحه على القرآن والذكر وعلى الدعاء.. ؛ فهذا قال الله عنه : ﴿ **وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ الإسراء: ٧٢.

بل أثبت (العلم والطب) أن الصلاة والذكر دواءٌ لأوجاع الجسد والقلب والروماتيزم والأمراض النفسية والوسوسة والسحر والعين ، ودواءٌ كذلك للمفاصل وفقرات الظهر والرقبة والرُّكْب.

وفي هذا كله (رَدُّ) على من يزعم أن القرآن والذكر شفاء للروح دون الجسد والأمراض العضوية ؛ وأن هذا قولٌ باطلٌ ، والحق أن القرآن شفاء للقلب وللجسد بل وللمجتمع أيضا ..

الرُّقِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

لعلاج (السَّحَر) و(العَيْن) و(المَس) و(الهم) و(السُّقْم)

وإخراج الشيطان من البيوت والأجساد) وغير ذلك

القرآن كله شفاء ودواء ، ويُخَصَّ منه سُورٌ وآيات ؛ هي شفاء ودواء لكثيرٍ من الأسقام والسَّحَر والعَيْن ..، إضافةً لبعض التعاويذ النبوية ، كما يلي :

● **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ^(١) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ② **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ③ **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ④ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ⑤ **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ⑥ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴿سورة الفاتحة.

● **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿الْمَدَّ﴾ ① **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ② **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ③ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ④ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿سورة البقرة.

● **أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿سورة الكرسي. تُكرَّر هي والفاتحة ثلاثاً ثلاثاً، أو أكثر.

(١) ينبغي تكرار (الاستعاذة بالله) والاهتمام بها ؛ لأنها رُقِيَّةٌ عظيمة ، وفيها اعتصام بالله تعالى .

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءِ
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءِ
وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءِ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ءِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ءِ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ أواخر سورة البقرة.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا
بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٥﴾ إِنْ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ءِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ءِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾
أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ءِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ءِ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ، بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾ أواخر المؤمنين.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَالصَّافَاتِ صَفًا ﴿٢﴾ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ﴿٣﴾ فَالَّتِي لَيْتَ ذِكْرًا ﴿٤﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٦﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٧﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقْفَذُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٩﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ خَطَفَ السَّحَابَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١١﴾ أوائل الصفات.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ من سورة الأحقاف.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِيءُ الْآءَ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشَعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ أواخر الحشر.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلَمَّتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا ﴿ أوائل سورة الجن.

• ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ .

• ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

• ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

• ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

• ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي﴾.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

وعند رقية المسحور وعلاج السحر: مع قراءة سورة الفاتحة ، وآية

الكرسي ، والمعوذتين ، والآيات المذكورة تُقرأ أيضاً (آيات إبطال السحر) وهي :

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلٰكِنَّ

الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

هٰرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ

مِنْهُمَا مَا يَفْرِقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ

فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِيَسَّ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿البقرة ١٠٢﴾

﴿ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾

الأعراف: ١١٩

﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

يونس ٨١

﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سِحْرًا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ طه: ٦٩

وعند رقية (العين والحسد) يضيف - إلى ما سبق - قول الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾ آل عمران: ٧٣ .

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ النساء: ٥٤ .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

يس: ٩ .

﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ﴾ الفلم: ٥١ .

وسورة الفلق ؛ مع تكرار الآية: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ الفلق: ٥ .

وعند رقية (المس) مسّ عشق ، أو مسّ عين ، أو مسّ سحر ، أو

مسّ إيذاء ، أو مسّ لغير ذلك .. يضيف - إلى جميع ما سبق - قول الله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ

اللَّهُ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ البقرة ١٦٥

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ

كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهَادَةٌ عَلَيْهِمَا إِذِ انْتَبَهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٢

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ

أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب: ٥٨

**ثم يقرأ - مع ما سبق - التعويذات النبوية المشروعة - للسحر والعين والمس
وكلّ داء - ومنها:**

(اللهم أذهب البأس ربّ الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ،
شفاءً لا يُغادر سقماً). رواه البخاري ومسلم.

• (بسم الله أرقيك ؛ من كلّ شيء يؤذيك ؛ ومن شرّ كلّ نفسٍ أو
عينٍ حاسدٍ ؛ الله يشفيك ، بسم الله أرقيك). رواه مسلم.

• (أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق) ٣ مرات.

• (أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر) ٧ مرات.

• (اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ؛
لا إله إلا أنت) ٣ مرات.

• (بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو
السميع العليم) ٣ مرات.

• (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كلّ
شيء قدير) ١٠٠ مرة كلّ يوم. رواه البخاري^(١).

(١) ثبتت هذه الرقية من القرآن والسنة عن الرسول ﷺ ، وأنه رقى بها الصرع والمس ؛ كما روى

أحمد (٢٠٧٩٧) ، وابن ماجه (٣٦٣١) ، وانظر: الأذكار للنووي ص ١٩٣ تحقيق الأرنؤوط.

تنبيهات :

- هذه الرقية تَنفَعُ لكلِّ داء ؛ سواء (مَسِّ) أو (سِحْرٍ) أو (عَيْنٍ) أو (سرطان) أو (هَمٍّ) أو (وسواس) أو أي مَرَضٍ نفسيٍّ أو عُضْوِيٍّ .. إذا قرئتْ بتدبُّرٍ وإخلاصٍ .

- (سورة البقرة) أيضًا رُقيةٌ عظيمةٌ ؛ لكلِّ الأَدْوَاءِ والأَسْقَامِ ولِطَرْدِ الجِنِّ والشياطين ، فإذا قرئتْ مع الرقية السابقة كان النفعُ عَظِيمًا جدًّا .. ، وفيها قال رسول الله ﷺ : (اقْرَأُوا سُورَةَ البَقْرَةِ ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَهٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ) (١) .

- إذا قرئت الرقية في (زيت زيتون) ، أو في (ماء مهروس معه ورق السدر) ويُشْرَبُ منه ويُغْتَسَلُ به يكون أعظم أثرًا ونفعًا

والعين حقٌ ، والسِّحْرُ حقيقةٌ ، وقد سِحِرَ النبي ﷺ ؛ سَحَرَهُ يهوديٌّ ؛ حتى يرى أنه يأتي أهله ولم يأتهم ، ونزل عليه الوحي بتحديد مكان السِّحْرِ في بئر مهجورة ، واستُخْرِجَ السِّحْرُ وتم إبطاله ، ونزلتْ حينئذٍ سورتي الفلق والناس .

فكان لإبطال السِّحْرِ طريقان مشروعان :

- حلُّ العُقَدِ وإتلافها ؛ إذا تمَّ العثور على مكانها الذي خُبِتَتْ فيه .

- والرقية الشرعية .

أما إبطال السِّحْرِ بِسِحْرٍِ مثله - النُّشْرَةُ - فهو طريقٌ محرَّمٌ غير نافع ؛ وهو كذبٌ وخداعٌ ووقوعٌ في الإثمِ والشركِ .

وأما (العَيْنُ) فتَبْطُلُ بالرقية والتعويدات الشرعية ، وبالتبريك ، وبالاستغسال .

(١) رواه مسلم (٨٠٤) ، وابن حبان (١١٦) ، والبَطَلَةُ : هُمُ السَّحْرَةُ والكَهْنَةُ وكلُّ شَيْطَانٍ ..

استحباب النفث بعد تلاوة الرقية الشرعية

النفث : هو النفخ من الفم بدون ريق أو مع ريقٍ خفيف ؛ على مكان الألم أو على الماء الذي يُشرب ويُغتسل به للرقية وعلاج السحر والعين ..

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ : (كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما : "قل هو الله أحد" و "قل أعوذ برب الفلق" و "قل أعوذ برب الناس" ؛ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ؛ يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات)^(١).

وقياساً على ذلك : آيات السحر والعين والتعويدات الشرعية ؛ تُقرأ مع النفث عن قرب ؛ في مكان الألم أو في الماء المقروء عليه ؛ يَنفع بإذن الله.

شبهات وخرافات

يعتقد البعض أن (الرقية الشرعية) لا تكون إلا للسحر والعين والمس والجان ، أو أن كل مريض أو كسل أو قلق هو من السحر والعين..! وهذا فهم خاطي ، فالرقية الشرعية تكون لكل مريض وداء ؛ وللهم والغم والكرب ، والأمراض النفسية والعضوية ، وقسوة القلوب ، وضيق الصدر ، ولجميع ما يشتكي منه الإنسان ، وهم الديون ، وولادة النساء ..

ومن الشبه والأباطيل والدجل : ما يفعله بعض السحرة من التضليل والأوهام ، ككتابة آيات قرآنية مع طلاس وخطوط وجداول ؛ وهي في الحقيقة سحر ، وكالخط في الرمل والنظر في الفنجان ، وكالتمتمة بألفاظ غير مفهومة.

(١) رواه البخاري (٥٧٤٨) ، وابن حبان (٥٥٤٤).

الرُّقِيَّةُ أَوْ الاسْتِرْقَاءُ ؟

لا شكَّ أن رُقِيَّةَ المريض لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ هو المشروع والأفضل ؛ فَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ المريضُ عَلَى الأَلَمِ ، وَيَنْفِثَ عَلَى نَفْسِهِ .

أما رُقِيَّةُ الغَيْرِ : فإذا فَعَلَ ذلكَ لَهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ يَرْقِيهِ بِالآيَاتِ وَيَقْرَأُ وَيَنْفِثُ عَلَيْهِ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ ؛ وَأَخْذًا بِالأسْبَابِ ، وَاعْتَقَادَ المَرِيضُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَافِعُ الضَّارِ الشَافِي ، وَأَنَّ الرَاقِي سَبَبٌ ، وَلَمْ يَتَذَلَّلِ المَرِيضُ لِغَيْرِ اللهِ ، وَلَمْ يَتَوَكَّلْ بِقَلْبِهِ عَلَى غَيْرِ اللهِ .. جَازَ ذَلِكَ وَصَحَّ وَنَفَعَّ بِإِذْنِ اللهِ .

لكن الأفضل والأكثر نفعاً هو رُقِيَّةُ الشَخْصِ لِنَفْسِهِ دُونَ الغَيْرِ ؛ تَحْقِيقًا لِتَوْحِيدِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ ، فَإِنَّ (السَّبْعِينَ أَلْفَ) الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ هُمْ : (الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ^(١) .

وَمَعْنَى "لَا يَسْتَرْقُونَ" : أَي لَا يَطْلُبُونَ الرُقِيَّةَ مِنْ غَيْرِهِمْ اتِّكَالًا عَلَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى ؛ فَهَذَا شَيْءٌ مَذْمُومٌ مُحَرَّمٌ .

(١) رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث عكاشة بن مُحصَن. رضي الله عنه،

ونسأل الله أن يجعلنا ووالدينا وذريتنا منهم.

خطر إهمال الرقية وعدم الاستشفاء بالقرآن

قد يوجد في حياتنا الكثير من الشقاق والفراق وسوء الأخلاق ، والعنف والقسوة ، والقلق والأرق ، والخمول والفتور ، والكسل عن أداء الصلاة وعن قراءة القرآن وعن الأذكار والدعاء..

ومن أعظم أسباب ذلك : إهمال الرقية الشرعية ؛ وعدم ذكر الله تعالى في البيوت ؛ فيكون ذلك الإهمال باباً للشيطان أن يلعب لعبته في الأسرة المسلمة بصدّها عن ذكر الله وعن الصلاة ؛ وإيقاع أفرادها ضحيةً للهَمِّ والقلق والوسواس والسُّحْر والغفلة ..

والعلاج كُلُّ العلاج : هو في ذكر الله ؛ والاهتمام بالصلاة الخاشعة وأذكار الصباح والمساء ، والقيام بأوامر الله ؛ والبُعد عن ما حرّمه الله ، وإخلاء البيوت من صُور ذوات الأرواح ؛ ومن القنوات الخليعة ، ومداومة الرقية الشرعية في البيوت ؛ **وبالذات** : سورة الفاتحة ، وسورة البقرة ، وآية الكرسي ، وأواخر سورة الحشر ، والإخلاص ، والفلق والناس ؛ مع التعويذات المشروعة .. تُقرأ في ماء ؛ ويُستعمل للشرب والطبخ ورشّ الملابس وزوايا البيت .. ، فذلك سدّ منيعٌ صلبٌ في وجوه الشياطين والسُّحْر والساحرين ، وسببٌ عظيمٌ لسلامة البيوت وسعادتها وطمأنينتها.

لا ننسَ (قصة) الرَّجُل الذي به لَمَمٌ ؛ فرّقه النبي ﷺ بالفاتحة ، وأوائل البقرة وأواخرها ، وآية الكرسي ، (وشهد الله ..) من آل عمران ، (وإن ربكم الله..) من الأعراف ، وأواخر سورة المؤمنون ، وأوائل الصافات ، وأواخر الحشر ، وسورة الإخلاص ، وسورتي الفلق والناس ، فقام الرَّجُل كأنه لم يشتك قط" (١).

(١) رواه أحمد في المسند ، وانظر : الوابل الصيب ص ١٧٥ ، والأذكار للنووي ص ١٩٣ .

الفصل الخامس عشر

تقارير وشهادات وأخبار
بعد معرفة ما في القرآن من الإعجاز
والأسرار

الحق ما شهدت به الأعداء

يندهش المتأمل في تقارير ومقولات أهل الكفر عن هذا القرآن العظيم، والحق ما شهدت به الأعداء.

وأقصد بالكفار: أي كفار الغرب والشرق ؛ ومن يمثّلهم منهم ؛ من مستشرقهم وعلمائهم وباحثيهم المقسطين ؛ سواء من أسلم منهم ؛ أو بقي على كفره كعدو شاهد ؛ بعد الاطلاع العميق المتأنّي على القرآن ومحتواه وعجائبه ..

وعجّب - والله - ما قالوه وما قرروه حول القرآن - باختيار أو اضطرار - في توثيقه ، ولغته ، وأسلوبه ، وفي مضمونه ، وفي إعجازه ، وفي تأثيره ، وفي مقارنته بغيره .. ؛ إنه بدّل أفكارهم ، وغير نفوسهم ، وهزّ وجدانهم !.

والأعجب من ذلك أنهم تأثروا بالقرآن ؛ وظهرت لهم عظمتهم ؛ رغم جهلهم بجمال اللغة العربية وغموض أساليبها عليهم ، إذ إنهم يفتقدون ذلك بحكم أعجميتهم ، بل وكثير منهم لم يطلع على سوى ترجمة معاني القرآن ، فكان نصيبهم الإدهاش والإعجاب ، وأسلم منهم الكثير ، فكيف لو كانوا بصيرين بلغة القرآن وأساليبه وبلاغته ؟

إن ذلك يُذكرنا بقريش العاتية التي أخضعها القرآن ؛ وهُدّي ببلاغته الكثير منهم ؛ كعمر ، والطفيل ، وليد بن ربيعة ، وحسان بن ثابت ، والنجاشي ..

أقوال وتقارير حول القرآن الكريم

فيما يلي نقتطف - بتصرف - بعضاً مما كتبه الدكتور "عماد الدين خليل" وفقه الله ؛ في كتابه : (القرآن الكريم من منظور غربي) ؛ الذي أورد فيه الكثير من أقوال وتقارير كفار الغرب عن القرآن ، نقلها نقلاً موثقاً من عشرات الكتب والمراجع والترجمات المنقولة عنهم ، وسوف أشير إلى هذه المراجع المستفاد منها في مواضعها إن شاء الله تعالى^(١) .

أولاً : توثيق القرآن

أجمعوا على أن النَّصَّ القرآني محفوظ الحدود كما نزل على محمد ﷺ ، مكتوب في الورق ، ومحفوظ في القلوب ، وسالمٌ من أي تحريف أو تغيير أو زيادة أو نقصانٍ ؛ عبّر العصور ، وهو في ذلك خلاف سائر النصوص الدينية الأخرى التي نالها التحريف والتبديل^(٢) .

ثانياً : "عمومية القرآن"

وقالوا: أن القرآن لا يخاطب المسلمين فقط ، ولا يعني بشؤونهم فقط ، إنما هو يخاطب البشر جميعاً ، ويرعى شؤونهم جميعاً ، ولو أقبل عليه البشر وحكموا توصياته لكانت البشرية في وضع أفضل بكثير مما هي عليه^(٣) .

(١) وقد تصرفتُ بعض الشيء في الترتيب واختصار النقول مع التحري ودقة التوثيق.

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٥١ ، مترجم.

(٣) في خطي محمد ص ٣٥٨ مترجم أيضاً.

ثالثاً : لغة القرآن وأسلوبه

قالوا : إن القرآن لسِحْرٌ حلال ، وإنه لمن المستحيل على غير العربي أن يدرك ما فيه من الجمال ، وهذه العربية التي جعلها الله قِمة اللغات .. كان القرآن قِمتها ؛ فهو قِمة القِمم ، ذلك بأنه كلام الله ^(١) .

وقد ترك الكثير منهم اليهودية أو النصرانية إلى الإسلام بمجرد مطالعة القرآن. وقال قائلهم : "إنني وُلعت به ولعاً شديداً وكنت أطرب لتلاوته".

وقال أحد مُفكرّهم : "لو لم يكن في القرآن غيرَ بهاء معانيه ؛ وجمال مبانيه ؛ لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بالقلوب".

ومما قالوا : "إنه كتابٌ لا سبيل إلى محاكاته ، وحجمه مناسب ، فليس بالطويل ؛ وليس بالقصير أكثر مما ينبغي" ^(٢) .

رابعاً : محتوى القرآن ومضمونه

كان العجيب في نظرهم ؛ إذ قال قائلهم : "إنه مُرشدٌ روحي ، ونظامٌ خُلقي ، وقانونٌ ديني وديني معاً ، وإنه يحمل الشريعة الخالدة الكاملة والمطابقة لحقائق البشرية ؛ والحاجات الاجتماعية ؛ في كل الأزمنة والأمكنة".

وقالوا : "إن القرآن يوجِد الحُلُول لجميع القضايا ، ويربط بين القانون الديني والأخلاقي ، ويخلق في المجتمع نظاماً وَوَحْدَةً ، ويخفف البؤس والقسوة ، ويأخذ بيد الضعفاء ، ويوصي بالبر والرحمة ، ويشرع قواعد التعاون والعقود والمواريث والأسرة والأطفال والأرقاء والحيوان والصحة والملبس والمأكل .." ^(٣) .

(١) في خُطى محمد ص ٣٤١ وما بعدها .

(٢) دفاع عن الإسلام ص ٥٦ مترجم .

(٣) الحضارة العربية ص ٥١ .

خامساً : عقيدة القرآن

قالوا: "إن القرآن - بعقيدته - يبعث في النفوس أسهل العقائد ، وأقلها غموضاً وأبعدها عن التقليد بالمراسم والطقوس ، وأكثرها تحوراً من الوثنية والكهنوتية ، وقد كان له أكبر الأثر في رفع مستوى المسلمين أخلاقياً وثقافياً، وحرر عقولهم من الخرافات والأوهام ومن الظلم والقسوة ، وأوجد بينهم درجة - لا نظير لها في العالم - من الاعتدال والبعد عن الشهوات ". اهد بتصرف^(١).

سادساً : إعجاز القرآن

أما "إعجاز القرآن للبشر" فلهم فيه تقارير وأبحاث ومقالات ونقولات كثيرة ومدهشة ، فقد قال قائلهم: "كيف استطاع محمد^(٢) الرجل الأمي الناشئ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن ، ولا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها "؟!^(٣).

وقالوا: "إن القرآن يقدم خطوطاً عريضة وإشارات كبرى عن الكون، وبعدها يترك الإدراك البشري يبحث فيها بحرية وطلاقة ؛ لا يصدّها عائق؛ ولا يغلّها قيد ، وذلك بما يتوافق تماماً مع مرتكزات الدين و يقينيات الإيمان، لا مرتطمًا بها ولا متعارضًا معها "^(٤).

وهذا إبراهيم أحمد - كافرٌ أسلم - يقول: " إن القرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل ناحية بالبيان والتعريف "^(٥).

(١) قصة الحضارة ١٣ / ٦٨ مترجم.

(٢) ﷺ

(٣) رجال ونساء أسلموا ٨ / ١٠٩

(٤) دفاع عن الإسلام ص ٥٧

(٥) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٤٧ - ٤٨

سابعاً : تأثير القرآن على الفرد والمجتمع

قالوا عن ذلك عجباً أيضاً ، ووصفوه بأنه تأثيرٌ واسع متشعب ، يمتد بالعمق والطول والعرض ، ويغطي الفرد والمجتمع ، ويتناول الروح والجسد والسياسية والفكر ..، فيؤثر فيها ويصلحها، ويعيد صياغتها كما يريد الله ورسوله أن تكون.

وقالوا: " إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يُصغي إليه حساً عميقاً من المهابة والخشية ، وفي مصر وحدها من الحُفَّاء أكثر من القادرين على تلاوة الإنجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها " ١. هـ ^(١).

وها هي امرأة إنجليزية تتحدث عن تجربتها الذاتية مع القرآن ؛ فتقول:
"لن أستطع أن أصف أثراً تركه القرآن في قلبي ، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة منه حتى وجدّنتني ساجدةً لخالق هذا الكون ، فكانت أول صلاة لي في الإسلام وكانت بداية هداتي" ^(٢).

وأعجب ما قالوه عن القرآن قول مفكّر نمساوي أسلم ؛ حيث قال:
"إن القرآن لم يرسم أي خط فاصل بين الإيمان والسلوك الاجتماعي" ^(٣).
بل إن مُغنين ومطربين - يهود ونصارى ومجوس - لما أراد الله لهم الخير والنجاة وطالعوا القرآن وجربوا تلاوته.. أقرّ الكثير منهم بعظمة القرآن وتأثيره، **وقالوا:** "عملنا بكل غناء وطرب ، فلم تُؤثّر فينا بسعادة ، ولم يصل شيءٌ إلى قلوبنا مثل القرآن ، وإننا لنطرب لتلاوته".

(١) المصدر السابق ص ٩٥

(٢) رجال ونساء أسلموا ١ / ٥٩ - ٦٠.

(٣) الطريق إلى مكة ص ٣١٨

وقالوا عن مجتمع الصحابة - رضي الله عنهم -: "والقرآن الذي صنع مجتمعاً كهذا قادراً على أن يصنعه في القرن العشرين والقرن الخامس والعشرين^(١)، ذلك أن الأدوات التي يوفرها القرآن قادرةٌ لا ريب على بناء مجتمع حديث"^(٢) (٣).

ثامناً : مقارنة القرآن بالكتب السابقة المحرّفة

لقد بحث كثير من أهل الكتاب ومن المشركين عن الحقيقة ، فمنهم من هدى الله ؛ ومنهم من حقت عليه الضلالة.

وأخذوا يقارنون القرآن بالتوراة والإنجيل وغيرهما ، فتبين لهم ما في القرآن من الحق والنور والعدل والصدق والتوثيق والتوافق مع الفطر والعلم ، كما تبين لهم ضلالة وبطلان ما عدها من الكتب في هذه الجوانب وفي غيرها.

وتوصلوا إلى أن القرآن تميّز عن غيره من الكتب بالشمولية والتفصيل ؛ حتى حقق التغطية العقدية والتنظيمية لكل كثير وقليل ، وعاد بالمعطيات الدينية إلى نقائها الأصيل ، وحُفظ من التحريف الذي أصاب التوراة والإنجيل^(٤).

يقول أحد المستشرقين الأمريكيين : "لقد كانت التوراة مرشداً دينياً ، ثم جاء المسيح والإنجيل فتبعه المسيحيون ، ثم حل القرآن مكانها فكان أشمل منها ؛ وصحح ما طرأ عليها من التبديل ؛ وحوى كل شيء ..، إذ إنه خاتم الكتب السماوية" ا.هـ بتصرف^(٥).

(١) بالميلادي ؛ وهو الخامس عشر هجري.

(٢) إنسانية الإسلام ص ٣٤٥.

(٣) وكلامه هذا صحيحٌ إذا عاد المسلمون إلى القرآن و تمسكوا به وعملوا بهديه.

(٤) القرآن من منظور غربي ص ٥٢ ، د عماد خليل.

(٥) حياة محمد ص ٧٢

ويقول هندي نصراني هداه الله للإسلام: "إن دراستي للقرآن الكريم وضّحت لي إشكالات فكرية ، وصححت لي التناقضات التي طالتها في الكتب السماوية السابقة" (١).

إلى غير ذلك من الحقائق المتنوعة التي شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء ،
 وصدق ربنا تعالى إذ يقول - وقوله الحق - : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي
 أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ فصلت: ٥٣.

خاتمة رسالة

أن من المؤسف المؤلم ؛ أن هؤلاء القوم بعد أن عَرَفُوا ما عَرَفُوا مِنْ مضامين القرآن وإعجازه .. قَدَّمُوا للمسلمين رسالةً وشكايه كبيرة ، وعَرَضُوا عليهم مشكلة خطيرة ، فقالوا قولتهم الشهيرة : "إن كتاب الله يكاد يكون بالنسبة لغير المسلمين مجهولاً ، أو هو معروفٌ على غير حقيقته".

فالله المستعان ، إن القرآن في نظرهم لا يزال غامضاً ؛ وإعجازه وعظّمته وسماحته لا تزال مجهولة عند البعض منهم.

بل إن كثيراً من المسلمين اليوم - فضلاً عن غيرهم - لا يزالون يجهلون الكثير عن القرآن وعلومه وحقائقه !

وهذا يوجب على المسلمين ودُعَاتهم أن يقوموا بمهمة التوجيه والتبليغ والبيان ، وإيصال القرآن للبشرية بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فذلك عهد الله وميثاقه على العلماء ؛ أن يُبَيِّنُوهُ للناس ولا يكتُمونه ..

وأن يُبَيِّنُوا للعالم أن القرآن الكريم هو رسالة الله الخالدة ، ومعجزته الدائمة ورحمته الواسعة ، وحِكمته البالغة ، ونعمته السابغة ، وأنه في فضله وعُلُوِّ مكانته بحرٌ بلا قعر ، لا يُدرِكه قلم ، ولا يُحيط به وصف ، وأنه عمّ الدارين الأولى والآخرة بفضله وفضائله ، حتى فاض فضله فعَمَّ "الشهور" فكان الشهر الذي نزل فيه سيد الشهور ، وعمّ فضله "الناس" فصار خيرهم مَنْ تعلّمه وعَلَّمه.

وأن من فضائله : أنه انتشل البشرية من الشرك والوثنية والخلاف ، وأنه فاء بحاجات البشر ، وهو المَخْرَجُ مِنَ الفتن ، وهو سبب للرحمة والسكينة والنور ، وهو مَرَجِعٌ لكلِّ فَنٍ وَعِلْمٍ ..

ويوم القيامة : يشفع لأهله ، ويُثَقِّلُ لهم ميزان الحَسَنَاتِ ..

فما أحوجنا إلى (تدبر القرآن والعمل به)..

فإن المقصود من القرآن هو العمل بما جاء فيه ؛ من توحيد الله تعالى وطاعته وتقويم السلوك على ما يريده الله تعالى مِنَّا ، والطريق إلى ذلك هو تدبر القرآن.

والتدبر: هو التفكير في دلالات القرآن الكريم ، وتفهيم معانيه وأوامره ، والنظر فيه مرّة بعد مرّة ، تفكراً وتفهماً يدفع للعمل به واتباعه وانتفاع القلب بآياته ومعجزاته ^(١).

والتدبر أمرٌ واجب على كل قارئ ، سواء أكان من العلماء المجتهدين أم من العامة ، فهو واجب على الجميع ، قال الله تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص: ٢٩ ، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد: ٢٤

ولقد كان همّ الصحابة - رضي الله عنهم - هو تدبر القرآن وفهمه ، وتعلّقه فجمّعوا بين التلاوة والحفظ والفهم ، وكانوا مع القرآن تدمع أعينهم ، وتقشعر قلوبهم.

وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - رقيق القلب ؛ وإذا قرأ القرآن لا يتمالك دمه ^(٢).

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (أنه مكث يتعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة ، فلما ختمها نحر جزوراً) ^(٣).

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٤ / ٢٧٣ ، والتعريفات للجرجاني ص ٥٤.

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٣) انظر تفسير القرطبي ١ / ٤٠١.

- وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: (لا يُغْرَنُكُمْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَلَكِنْ انظُرُوا مَنْ يَعْمَلُ بِهِ)^(١) .

- وقال الحسن البصري - رحمه الله -: (قراءة آيةٍ بفهمٍ وتدبُّرٍ، خيرٌ من قراءة ختمةٍ بغير فهمٍ ولا تدبُّرٍ)^(٢) .

ولو تأملنا الحِكْمَةَ من مشروعية تعلُّم القرآن وتعليمه ، والتعبُّد بتلاوته ، وصلاة الليل ، والتجويد ، والاستعاذة ، والجهربه ، والإنصات له .. لوجدنا أن ذلك كله من أجل (التدبُّر) القائد للتعاطي فالعمل فالهداية فالفلاح .
والقلب فيه حاجةٌ ووَحْشَةٌ وفاقةٌ وخوفٌ وقلقٌ ؛ ولا يسُدُّه ولا يؤنسه ولا يُغْنيه ولا يؤمنه إلا ذكر الله تعالى ؛ وتدبُّر القرآن والتلذذ بخطابه .

قال إبراهيم الخواص - رحمه الله - : (دواء القلب وشفاءؤه في خمسة أمور: قراءة القرآن بتدبير ، والصلاة الخاشعة ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، واستغفار الأسحار ، ومجالسة الصالحين)^(٣) .

وُنظِمَت شِعْرًا :

دواءُ قلبكَ خمسةٌ عندَ قسوتِهِ	فدُمُ عليها تُفزُ بالخيرِ والظفرِ
خلاءُ بطنٍ ، وقرآنٌ تدبُّرُهُ	كذا تُضرِّعُ بالكِ ساعةَ السَّحَرِ
كذا قيامُكَ في صلاةٍ خاشعًا	وأنْ تُجالسَ أهلَ الخيرِ والخبرِ

(١) اقتضاء العلم العمل ؛ للخطيب البغدادي ص ١٩٨ تحقيق الألباني .

(٢) مفتاح دار السعادة ؛ لابن القيم ١/٢١٤ .

(٣) التبيان للنووي ص ٦٧ ، تحقيق الأرنؤوط ، وخلاء البطن : إشارة الى الصوم .

وليس التدبّر هو الغاية ..

بل الأهم والأعظم والغاية.. هي العمل والاتباع والتخلّق بأخلاقه ؛ لأن حملة القرآن - حقاً - هم العالمون بأحكامه والعاملون به.

لذا قال ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار) (١).

فقيّد تمام المنّة بالقرآن: بالقيام به والعمل به، وإلا لا حسد، أي: من أوتي القرآن ولم يعمل به فليس عنده ما يُحسد عليه، وسيكون القرآن شاهداً عليه وحجة ضده يوم القيامة أنه ضيّعه وهجره، ولم يقم بحقه..

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ

يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿البقرة: ١٢١﴾

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ

أَسْفَارًا ۖ بَشَرًا مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿الجمعة: ٥﴾

قال الإمام الآجري في حال البعض مع القرآن:

"ومن الفتنة أن يُظهر على نفسه شعار الصالحين بتلاوة القرآن ، وقد ضيع في الباطن ما يجب لله، وأعجب بحفظ القرآن وإشارات الأصابع، وإلى ذوي الجاه يُسارع ، يتلو القرآن بلسانه وقد ضيّع أحكامه ، أخلاقه أخلاق الجهال ؛ فمن كانت هذه أخلاقه صار فتنةً وداعياً إلى الشر ؛ وتعرّض لعظيم ، وثبتت عليه الحجة ، ولا عُذر له إلا أن يتوب" اهـ (٢).

(١) رواه مسلم (١٨٤٤) باب فضل القيام بالقرآن.

(٢) أخلاق حملة القرآن ص ٥١ وما بعدها بتصرف.

ولا شكَّ أن مَنْ توكل على الله تعالى ؛ وأخذ بأسباب التدبير والعمل ؛ فإنه سيَبُلُغ - بإذن الله - الغاية والأمل..

ومن تلك الأسباب :

تعظيم الله تعالى ، وحبُّه وخشوع القلب له ، وجمْعُ القلب وحضور العقل والسمع ، والحياء من الله تعالى أن يخاطبه وهو مُعْرِضٌ عنه ، وأن يحذر من سماع الأغاني وأصوات الشيطان ، ويحرص على قراءة التفسير لفهم المعاني والمراد ، ويكثر من قيام الليل ؛ ويختار لذلك المكانَ والزمانَ المناسبين ؛ وأفضله ما كان في هدوءٍ وسكينة وصلاةٍ ليل ، فإن قيام الليل بالقرآن وسيلةً عظيمةً لتدبر القرآن والعمل به والانتفاع بمواعظه.

فإذا أحب العبدُ كلامَ ربه ؛ وجمَع له قلبه وعقله ؛ وتفقه في معانيه ؛ وأكثر من تلاوته وتأمله في التهجد والقيام ؛ ونزه جوارحه عن المعاصي وسماع الأغاني .. فجديراً به أن يتدبره ويتعظ به ؛ وبالتالي يعمل به فينجو ..
اللهم اجعلنا من هؤلاء ؛ يا واسع الفضل والعطاء ، وصلى الله وسلّم على أفضل الرُّسل وخاتم الأنبياء.

تم بحمد (الله) وتوفيقه

المراجع (*)

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.
٣. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري.
٤. جامع الترمذي للإمام محمد بن عيسى الترمذي.
٥. سنن أبي داود الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني.
٦. سنن ابن ماجه الإمام محمد بن يزيد بن ماجه.
٧. المسند للإمام أحمد بن حنبل.
٨. أثر القراءات في التفسير والأحكام .د عمر بازمول.
٩. أثر القراءات في الفقه .د. صبري عبد الرؤوف.
١٠. أحاديث مقبولة مشتهرة على ألسنة الناس. سعيد الرقيب.
١١. أحاديث مردودة مشتهرة على ألسنة الناس. سعيد الرقيب.
١٢. أحكام التجويد على رواية ورش. حسين بوطاوي.
١٣. اختصاص القرآن بعودة إلى الرحمن للإمام .محمد الضياء.
١٤. أخلاق حملة القرآن. للإمام محمد الآجري . ط ١
١٥. أدب الدنيا والدين .للماوردي . تحقيق محمد سكر.
١٦. أدلة التشريع المختلف فيها .د. عبد العزيز الربيعة.
١٧. إرشاد الفحول في علم الصول . للإمام محمد الشوكاني.
١٨. أسس التعامل مع القرآن .د. عيادة الكبيسي.
١٩. أصول في البدع والسنن (اختصار الاعتصام للشاطبي). محمد العدوي.
٢٠. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن. للشنقيطي.
٢١. إعلام الموقعين لابن القيم.

٢٢. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان . لابن القيم ، تحقيق محمد عفيفي .
٢٣. حُكْم أخذ الأجرة على القرآن . للشيخ عبد العزيز بن باز .
٢٤. أقسام الألفات في كتاب الله . محمد داود .
٢٥. الإتقان في علوم القرآن . للإمام السيوطي .
٢٦. الاختيار في القراءات . عبد الفتاح شلبي .
٢٧. الأذكار للإمام يحيى النووي . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط .
٢٨. الاعتصام بالكتاب والسنة أصل العبادة . سعيد بن وهف .
٢٩. الإعجاز العلمي في القرآن د. وهبة الزحيلي .
٣٠. الإعجاز القرآني . للإمام الباقلاني .
٣١. الإعجاز القرآني تاريخه وضوابطه د. عبد الله المصلح .
٣٢. الأعراف البشرية في ميزان الشريعة د. الأشقر .
٣٣. الإكليل في معرفة أحكام التنزيل . للإمام السيوطي ط بيروت .
٣٤. الباعث على إنكار البدع والحوادث . للإمام عبد الرحمن أبو شامة .
٣٥. البديع في ضوء أساليب القرآن أ.د عبد الفتاح لاشين ط ٢ .
٣٦. البرهان في علوم القرآن . للإمام محمد الزركشي . تحقيق محمد أبو الفضل .
٣٧. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د. محمد حسنين .
٣٨. التبيان لعلوم القرآن . للعلامة طاهر الدمشقي .
٣٩. التبيان في آداب حملة القرآن . للنووي ط ١ تحقيق الأرناؤوط .
٤٠. التذكار في أفضل الأذكار . للإمام القرطبي . ط ٣ تحقيق بشير عيون .
٤١. الترية في القرآن . لمحمد السمان ط ٦ .
٤٢. التصوير الفني في القرآن . لسيد قطب .
٤٣. التعبير الفني في القرآن د. بكري أمين ط ٢ .
٤٤. التعليق المفيد على كتاب التوحيد . للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله .

٤٥. التفسير والمفسرون . د. محمد الذهبي .
٤٦. التكفير جذوره وأسبابه . د. نعمان السامرائي .
٤٧. التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم . د صبري المتولي .
٤٨. الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي .
٤٩. الجامع لمسائل أصول الفقه د. عبد الكريم النملة .
٥٠. الحجة في القراءات السبع . للإمام أبي زرعة .
٥١. الحلقات القرآنية دراسة منهجية شاملة. لعبد المعطي طليمات .
٥٢. الدعاء والرقى د. سعيد بن وهف .
٥٣. روائع الطب الإسلامي. د محمد الدقر .
٥٤. الدلائل القرآنية في أن العلوم العصرية داخلة في الإسلام. للسعدي .
٥٥. السنة ومكانتها في التشريع . مصطفى السباعي . ط ٤
٥٦. الشرح الميسر للفقه الأكبر د. محمد الخميس .
٥٧. الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية د. عمر الأشقر .
٥٨. الطبقات لابن سعد .
٥٩. العقيدة الطحاوية وشرحها . لأبي العز الحنفي .
٦٠. العقيدة الواسطية وشرحها . لابن تيمية رحمه الله .
٦١. الغذاء لا الدواء د. صبري القباني .
٦٢. الغربية والاعتراب لابن القيم ، تحقيق بشير عيون .
٦٣. الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني د. محمد محيسن .
٦٤. الفروق اللغوية وأثرها في التفسير د. محمد الشايع ط ٢ .
٦٥. الفقه الأكبر لأبي حنيفة وشرحه . للإمام الملا القاري .
٦٦. الفيزياء ووجود الخالق أ.د جعفر شيخ .
٦٧. القابضون على الجمر . خالد أبو صالح .

٦٨. القاموس المحيط ، للفيروزآبادي.
٦٩. القراءات القرآنية تعريف وتاريخ .د. عبد الهادي الفضيلي .
٧٠. القراءات القرآنية ثبوتها وأحكامها . عبد الحليم قابه .
٧١. القراءات وأحكامها د. شعبان محمد إسماعيل .
٧٢. القرآن أنواره وآثاره . محمد الصواف .
٧٣. القرآن الكريم من منظور غربي .د. عماد الدين خليل.
٧٤. القرآن يتحدى د. أحمد عزالدين ط ١
٧٥. القواعد الحسان لتفسير القرآن . للعلامة السعدي رحمه الله .
٧٦. الوافي شرح الشاطبية . عبد الفتاح القاضي .
٧٧. اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي .
٧٨. المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح . للإمام الدمياطي .
٧٩. المصنّف في النسخ والمنسوخ . للإمام ابن الجوزي ت د. حاتم الضامن .
٨٠. المعجزة القرآنية د. محمد حسن هيتو.
٨١. المغني لابن قدامة . تحقيق د. عبد الله التركي .
٨٢. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة . ناصر القفاري.
٨٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب . ط ٣ إشراف د. مانع الجهني.
٨٤. الناسخ والمنسوخ للإمام الزهري . ت د. حاتم الضامن .
٨٥. النبأ العظيم . محمد دراز ط ٣ .
٨٦. النبوات ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، تحقيق محمد عوض.
٨٧. النصيحة لكتاب الله د. حافظ محمد الحكمي.
٨٨. الهدى والبيان في أسماء القرآن الكريم . للشيخ صالح البلهي ط ٣ .
٨٩. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب . لابن القيم. تحقيق بشير عيون.
٩٠. الوافي شرح الأربعين النووية . د. مصطفى البغا.

٩١. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم د. سليمان القرعاوي.
٩٢. أيسر التفاسير . لأبي بكر الجزائري .
٩٣. بدع الناس في القرآن . من فتاوى ابن باز واللجنة الدائمة للإفتاء .
٩٤. بذل المجهود في إثبات مشابهة الرفض لليهود . عبد الله الجميلي .
٩٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . للفيروزآبادي.
٩٦. تاريخ الخلفاء . للإمام السيوطي.
٩٧. تدبر القرآن . سلمان عمر السندي .
٩٨. تطور كتابة المصحف الشريف وطابعته د. محمد العوفي .
٩٩. تفسير المشكل من غريب القرآن . للإمام مكي بن أبي طالب.
١٠٠. تفسير القرآن العظيم . للإمام ابن كثير .
١٠١. تقييدات في إعجاز القرآن : د. محمد الشظيفي .
١٠٢. تناسق الدرر في تناسب السور . للسيوطي . تحقيق عبد القادر عطا.
١٠٣. تنبيه الغافلين . للسمرقندي.
١٠٤. تيسير الكريم الرحمن . تفسير السعدي رحمه الله.
١٠٥. جواب أهل العلم والإيمان بأن "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن . لشيخ الإسلام ابن تيمية .
١٠٦. حفظ القرآن الكريم . محمد الدويش .
١٠٧. حق التلاوة . للشيخ حسني عثمان. ط٩
١٠٨. حكم تحكيم القوانين . للشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله.
١٠٩. حلية طالب العلم د. بكر أبو زيد .
١١٠. خصائص القرآن الكريم د. فهد الرومي.
١١١. دراسة حديث الأحرف السبعة . د. عبد العزيز القارئ .
١١٢. دفاع عن السنة . للشيخ د. محمد أبو شهبه .

- ١١٣ . ديوان الإمام ابن دقيق العيد. تحقيق علي الصافي .
- ١١٤ . ديوان الإمام الشافعي .
- ١١٥ . ديوان الإمام الصنعاني .
- ١١٦ . رسالة الإمام أحمد للخليفة المتوكل في مسألة القرآن . ت علي الشبل .
- ١١٧ . رسالة القرآن غير مخلوق . للإمام إبراهيم الحربي .
- ١١٨ . رياض الصالحين للإمام يحيى النووي . تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- ١١٩ . زاد المعاد في هدي خير العباد . لابن القيم . تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- ١٢٠ . سجود التلاوة وأحكامه . د صالح اللاحم .
- ١٢١ . شرح أسماء الله الحسنى . حسنين مخلوف .
- ١٢٢ . شرح حديث الغربية لشيخ الاسلام ابن تيممة . تحقيق مختار الجبالي .
- ١٢٣ . صفوة الآثار والمفاهيم . الشيخ عبد الرحمن الدوسري .
- ١٢٤ . صلة السنة بالقرآن . محمد المطيعي .
- ١٢٥ . ضبط المتشابهات في القرآن الكريم . محمد الصغير .
- ١٢٦ . ضرب الأمثال في القرآن أهدافه وآثاره . لعبد المجيد البيانوني .
- ١٢٧ . عقيدة المؤمن . لأبي بكر الجزائري .
- ١٢٨ . عقيدة المسلمين . صالح البليهي .
- ١٢٩ . علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن . د. نور الدين عتر .
- ١٣٠ . غاية المرید في علم التجويد . عطية نصر .
- ١٣١ . فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء .
- ١٣٢ . فتح القدير للإمام محمد الشوكاني .
- ١٣٣ . فتح المجيد في حكم بالتغني والتجويد . د سعود الفينيسان .
- ١٣٤ . فضائل القرآن الكريم . عبد الله بن جار الله .
- ١٣٥ . فضل القرآن تعلمه وتعليمه . للإمام محمد بن عبد الوهاب .

١٣٦. فقه السنّة . للسيد سابق .
١٣٧. قاموس غريب القرآن . محمد الصادق قمحاوي .
١٣٨. كتاب النسخ والمنسوخ . للإمام السدوسي . تحقيق د. حاتم الضامن
١٣٩. كتاب التعريفات . للإمام علي الجرجاني .
١٤٠. كتاب السنّة . لعبد الله بن الإمام أحمد .
١٤١. كتاب الحوادث والبدع . للإمام محمد الطرطوشي . ت بشير عيون .
١٤٢. كيف نتدبر القرآن . فواز زمرلي .
١٤٣. لسان العرب . لابن منظور .
١٤٤. لطائف المعارف . للحافظ ابن رجب . تحقيق إبراهيم رمضان .
١٤٥. مباحث في علوم القرآن د. مناع القطان .
١٤٦. مجلة البحوث الإسلامية . هيئة كبار العلماء بالمملكة .
١٤٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .
١٤٨. مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة . للشيخ عبد العزيز بن باز .
١٤٩. مختار الصحاح . للإمام محمد الرازي .
١٥٠. مختصر تليس إبليس . لابن الجوزي . اختصار: على الشربجي .
١٥١. مختصر شعب الإيمان . للإمام عمر القزويني بتحقيق الأرنؤوط .
١٥٢. مختصر صحيح مسلم . للحافظ عبد العظيم المنذري . تحقيق الألباني .
١٥٣. مختصر منهاج السنّة النبوية . لابن تيمية رحمه الله .
١٥٤. مختصر منهاج القاصدين . لابن قدامة المقدسي .
١٥٥. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د. عدنان زرزور .
١٥٦. مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع . للسيوطي . ت د. محمد الشوربجي .
١٥٧. مع القرآن الكريم . للشيخ محمود الحصري ؛ رحمه الله . ط مكتبة السنّة
١٥٨. معرفة شأن القرآن الكريم . محمد أبو البشر .

١٥٩. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة. للإمام السيوطي. ط ١٤٠٢ هـ.
١٦٠. من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم . عبد العزيز السلطان .
١٦١. مناهج الجدل في القرآن د. زاهر الأملعي .
١٦٢. مناهل العرفان في علوم القرآن . للزرقاني.
١٦٣. منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز . محمد الأمين الجكني.
١٦٤. موارد الظمان في دروس الزمان . عبد العزيز السلطان .
١٦٥. مواقع كثيرة على شبكة الإنترنت.
١٦٦. موجز التاريخ الإسلامي . لأحمد معمور ط ١
١٦٧. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. د. أحمد شوقي إبراهيم.
١٦٨. ميزان الاعتدال . للإمام الذهبي .
١٦٩. ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه . لابن البارزي . ت د. حاتم الضامن
١٧٠. نحو أداء متميز لحلقات تحفيظ القرآن . إصدار المنتدى الإسلامي .
١٧١. نزول القرآن الكريم د. محمد الشايع ط ١ .
١٧٢. هبة الرحمن الرحيم في فضائل القرآن الكريم . اختصار الميادينبي.
١٧٣. هجوم الإنترنت على القرآن أ.د توفيق علوان .
١٧٤. وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه . الشيخ ابن باز رحمه الله
١٧٥. وصايا لحافظات كتاب الله . محمد المنجد .
١٧٦. يا أهل القرآن . للشيخ الدويش.

فهرست المواضيع

الموضوع	الصفحة
مقدمة الكتاب.	٥
تمهيد في معنى علوم القرآن وتاريخها وفوائدها دراستها.	٧
الفصل الأول: تعريف القرآن وجمعه وخصائصه وحقوقه	١٣
تعريف القرآن الكريم	١٥
جمع القرآن ومراحل تدوينه	١٧
القرآن في عقيدة أهل السنة	١٨
خصائص القرآن وصفاته	٢٠
حقوق القرآن علينا	٢٢
القرآن والناس	٢٣
الفصل الثاني: معنى الإعجاز وحقيقته وضوابطه وأنواعه	٢٥
تعريف الإعجاز	٢٧
حقيقة الإعجاز القرآني	٢٩
مواقف المشركين من الإعجاز	٣٢
نماذج ممن أسلموا متأثرين ببلاغة القرآن وإعجازه	٣٣
نماذج ممن طغى عليهم الكبر والعناد رغم تأثرهم بالقرآن	٣٥
ضوابط البحث في الإعجاز	٣٧
أنواع الإعجاز القرآني	٣٨
الفصل الثالث: الوحي ونزول القرآن وما فيه من الإعجاز.	٤١
الروح الأمين	٤٣
تعريف الوحي	٤٥

أنواع الوحي وبأيها كان القرآن	٤٦
انقطاع الوحي وختامه	٤٧
نزول القرآن الكريم وأنواع نزوله	٤٨
الفرق بين (نزل) و(أنزل)	٤٩
يوم وشهر نزول القرآن	٥٠
مقدار النازل من القرآن	٥٠
الحكمة من نزول القرآن منجّماً	٥١
فوائد تنجيم القرآن في التربية والتعليم	٥٢
أول ما نزل وآخر ما نزل	٥٣
فائدة معرفة تاريخ النزول	٥٤
الفصل الرابع: حقيقة القرآن ومكانته ومقارنته بالكتب.	٥٥
القرآن كلام الله ليس بمخلوق ؛ وكفر من يخالف ذلك	٥٧
اللفظ والملفوظ والتلاوة والمتلوّ	٥٩
حكم المحكي من القرآن وأنه من كلامه تعالى	٦٠
بدعة القول بخلق القرآن وصمود الإمام أحمد في وجهها	٦٢
شبهة المتوقفة في بدعة خلق القرآن ، والرد عليهم	٦٤
آيات معبرة في عظمة القرآن ، من نونية القحطاني	٦٥
مقارنة القرآن بالكتب السابقة وبيان منزلته منها	٦٦
لماذا كان القرآن أعظم الكتب المنزلة ؟	٦٨
عدالة القرآن وإنصافه	٧٠
تحريم اقتناء غير القرآن من الكتب المحرفة	٧١
القرآن هو البديل الحق	٧٣

مقارنة القرآن بالحديث القدسي والحديث النبوي	٧٥
الفصل الخامس: القرآن والسنة وعلاقتها ببعض	٧٧
القرآن والسنة هما مصدرا التشريع	٧٩
عناية القرآن بالسنة	٨٠
اهتمام السلف الصالح بالقرآن والسنة معاً	٨١
ضلال القرآنيين وشبهتهم	٨١
ضلال من يكتفي بالقرآن دون السنة	٨٢
السنة أوسع من القرآن في الشرح والبيان	٨٤
بدعة عرض السنة على القرآن	٨٦
حاجة القرآن للسنة النبوية	٨٧
تعاضد الوحيين.	٨٩
الفصل السادس: سور القرآن وآياته وتحزيبه ومُحكّمه	٩١
ومتشابهه وقراءاته وتفسيره وقصصه وأمثاله وأقسامه وناسخه	
سور القرآن أنواعها وأسمائها	٩٣
آيات القرآن أسمائها وشيء من فقهاها	٩٦
تجزئة المصحف وتحزيبه وترقيمه	١٠٠
مُحكّم القرآن ومتشابهه	١٠٢
أصناف الناس نحو المتشابه	١٠٥
القراءات القرآنية	١٠٨
تفسير القرآن وشروط المفسر	١١٠
أنواع التفسير	١١١
قصص القرآن وما فيها من الإعجاز	١١٣

أمثال القرآن وما فيها من الاعجاز	١١٥
أقسام القرآن وما فيها من الاعجاز	١١٨
الناسخ والمنسوخ في القرآن	١١٩
الفصل السابع: الإعجاز الغيبي والاعجاز التشريعي.	١٢٥
معنى وأمثلة الإعجاز الغيبي	١٢٧
معنى ودلائل الاعجاز التشريعي	١٢٩
معنى آيات الاحكام وعددها.	١٣٢
طُرق استنباط الأحكام من الآيات	١٣٣
الفصل الثامن: الإعجاز اللغوي والبلاغي للمعاني والمباني.	١٣٥
تمهيد في بلاغة القرآن وبيانه	١٣٧
قاعدة في المعاني والمباني	١٣٨
مبهّمات القرآن	١٣٩
أسباب الإبهام في القرآن	١٣٩
ما يحرم بحثه من مبهّمات القرآن	١٤٢
المترادفات اللغوية في القرآن	١٤٣
هل في القرآن ألفاظ مترادفة؟	١٤٣
تناسق القرآن لفظاً ومعنى	١٤٦
ألفاظ قرآنية واسعة المعنى والاعجاز	١٤٧
ترجمة المعاني القرآنية وأحكام الترجمة	١٥١
الفصل التاسع: إعجاز الأسلوب والتأثير على القلوب.	١٥٥
علم أساليب القرآن	١٥٧
السّرّ العجيب في جمال الأسلوب القرآن	١٦٠

تنوع أساليب القرآن وأغراضها	١٦١
أمثلة لأنواع أساليب القرآن (٣٧ أسلوباً ؛ مع الشرح)	١٦٢
أسلوب التعجب ؛ وهل يوصف الله تعالى بالتعجب ؟	٢١٦
الفصل العاشر : تناسب القرآن الكريم وما فيه من الاعجاز.	٢١٩
تمهيد في أهمية علم التناسب القرآني	٢٢٠
تعريف علم المناسبات	٢٢١
أقسام وانواع التناسب القرآني	٢٢١
تناسب الفواصل القرآنية	٢٢٢
أثر الفواصل في بلاغة وجمال القرآن	٢٢٤
تناسب المعاني القرآنية	٢٢٦
تناسب صدر الآية وذيلها	٢٢٧
تناسب الآيات مع بعض	٢٢٩
تناسب السورة الواحدة	٢٣١
تناسب السور مع بعض	٢٣٢
تناسب الفاتحة البقرة وال عمران	٢٣٣
تناسب البقرة وال عمران والنساء	٢٣٥
تناسب سورة الانعام وسورة الأعراف	٢٣٧
تناسب الانفال والتوبة	٢٣٨
تناسب ذوات (الر)	٢٣٨
تناسب النحل والاسراء والكهف ومريم وطه والانبياء	٢٣٩
تناسب الحج والمؤمنون	٢٣٩
تناسب الفرقان .. إلى الزمر	٢٤٠

تناسب الحواميم السبع	٢٤٠
تناسب سورة محمد والفتح والحجرات	٢٤٠
تناسب الأجزاء الأربعة الأخيرة من القرآن	٢٤١
تناسب قصار السور	٢٤١
الفصل الحادي عشر: رسم القرآن وما فيه من الإعجاز.	٢٤٣
الرسم العثماني خصيصة قرآنية	٢٤٥
فوائد الرسم العثماني	٢٤٦
الرسم العثماني توقيفي	٢٤٧
شبهة وردّها ؛ حول الرسم العثماني	٢٤٧
علاقة الرسم العثماني بالقراءات	٢٤٨
كلمات حُذِفَ منها "حرف" للدلالة على قراءة أخرى	٢٤٨
كلمات زيد فيها "حرف" للدلالة على قراءة أخرى	٢٤٩
الفصل الثاني عشر: الإعجاز العلمي للقرآن.	٢٥٥
معنى الإعجاز العلمي	٢٥٧
الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي	٢٥٩
الضوابط العلمية والشرعية للبحث في الإعجاز والتفسير	٢٦٠
آيات حيوية إعجازية. (خلق الانسان - الدواب - الدماغ)	٢٦٥
آيات سماوية إعجازية. (أعمدة السماء - الكواكب - الشمس)	٢٩٣
آيات أرضية إعجازية. (الجبال - الألوان - المادة)	٣١٣
آيات بحرية إعجازية. (طلّمت البحر - حواجز البحر)	٣١٩
آيات طيبة إعجازية	٣٢٥
الإعجاز العلمي والطبي في قيام الليل	٣٣٠

الإعجاز العلمي والطبي في الألوان والمناظر الطبيعية	٣٣٢
تنبيه مهم حول إعجاز الألوان	٣٣٥
نماذج إعجازية من السنة النبوية	٣٣٦
الفصل الثالث عشر: الإعجاز القرآني وواقعنا المعاصر.	٣٣٧
وجوب النظر والتفكير.	٣٣٩
سرّ نجاح جيل الصحابة بالقرآن	٣٤١
الحذر من المغالاة في الإعجاز	٣٤٢
المعاصرون والإعجاز ؛ وأي إعجازٍ يدركون ؟	٣٤٣
هل ظهر الإعجاز العلمي في عصر الصحابة	٣٤٥
الإعجاز والدعوة إلى الله تعالى	٣٤٦
إزالة الشك باليقين في أمر الإيمان	٣٤٨
بدعة الإعجاز العددي.	٣٥٠
أصول بدعة العدديين	٣٥١
تصدي العلماء لضلالة العدديين	٣٥٢
ضلالات فرقة البابية البهائية	٣٥٣
أقرب ما قيل في الإعجاز العددي	٣٥٤
الفصل الرابع عشر: معجزة الشفاء القرآني.	٣٥٧
القرآن شفاء ورحمة	٣٥٩
القرآن شفاء دلالة وذاتاً	٣٦٠
ترابط الايمان والقرآن	٣٦١
التداوي بالقرآن والسنة هديّ نبويّ	٣٦٣
عموم شفاء القرآن للقلوب	٣٦٥

شفاء القرآن للأبدان	٣٦٦
شفاء القرآن للسحر والعين والمسّ.	٣٦٧
شفاء القرآن للأسرة والمجتمع	٣٦٨
شفاء القرآن للمشاكل النفسية المعاصرة	٣٧٠
ضوابط الاستشفاء بالقرآن	٣٧١
الصحة النفسية في القرآن	٣٧٢
العلاقة بين شفاء الروح وشفاء الجسد	٣٧٣
الرقية الشرعية من القرآن والسنة	٣٧٤
شبهات وخرافات حول الرقية	٣٨٢
الرقية والاسترقاء	٣٨٣
خطر إهمال الرقية بالقرآن	٣٨٤
الفصل الخامس عشر: القرآن الكريم في أنظار الكفار.	٣٨٥
الحق ما شهدت به الأعداء	٣٨٦
أقوال وتقارير حول القرآن	٣٨٧
خاتمة ورسالة	٣٩٣
المراجع	٣٩٨

اقرأ للمؤلف

- التلخيص المفيد في علوم القرآن وأحكام التجويد (مطبوع) ط ٣
- آداب التلاوة وأخلاق القراء وقواعد الحفظ والتجويد والإقراء.
- التأصيل والتفريع في الفقه والأحكام والتشريع. (رسالة علمية).
- التبيّهات في علم المتشابهات.
- التحفة البهية في القواعد الفقهية.
- اللباب في الحقوق والآداب.
- أصول روايتي قالون وورش عن الإمام نافع المدني من طريق الشاطبية.
- المصفى في صحيح سيرة المصطفى (في فقه السيرة النبوية).
- الصيام آداب وأحكام.
- الحج والعمرة والزيارة آداب وأحكام .
- ٩ غنائم أو ٩ مهالك في حفظ الصلاة أو تضييعها.
- الخلاصة السديدة في التوحيد والعقيدة.
- كنوز العجائب من علم الأمثال والحكم والوعظ والتاريخ والتجارب.
- النفع الحثيث في علم الفرائض والتوريث.
- دور الوسائل والتقنيات في طلب العلم والمعلومات.
- الروح والريحان في فضائل القرآن.
- جرائم الحدود والحراية نوازلها وعقوباتها في الفقه الإسلامي (رسالة علمية).
- تربية البنين والبنات في زمن التحديات.
- روضة الأبرار في جوامع الدعاء والأذكار (مطبوع).
- هدى وشفاء " حول الصحة النفسية والأسرية والاجتماعية في ضوء الوحيين".
- خواطر المنابر " مجموعة من الخطب الفقهية والاجتماعية والتربوية".
- يحبهم ويحبونه. فيمن يحبهم الله ومن لا يحبهم عز وجل.



رقم الإيداع : ١٤٤٢/٦٦٣٣

ردمك : ٠ - ٧٣٦٨ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨